

د. أحمد عبد بن نعمان

فرنسا والأطروحة البربرية

الغلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل



الدكتور أحمد بن نعمان

فرنسا

و الأطروحة البربرية

الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل

الطبعة الثانية

1997



جميع الحقوق محفوظة

**الطبعة الثانية
1417 هـ / 1997 م**

**شركة مدار الأمة
للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع**

**ص.ب. 109 برج الكيفان
16 120 الجزائر
الهاتف: 04 20 22 (02)
الفاكس: 04 20 24 (02)**

**تصميم الغلاف
محمد سنوسي**

**الطبعة الأولى
دخلت 1990 م**

**إيداع شرعي
97 / 3**

ردمك ISBN. 9961-67-022-1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأهداء

الى كل من سار - مخلصا - في درب الجهاد الطويل،
ضد الصليبية، واللاتينية والتغريب قديما...
والفرنسة، واللاتكية الدينية و "اللغوية" حديثا...
وفي طليعة هؤلاء المجاهدين، عقبة وطارق في
الأولين، وعبد القادر وفاطمة انسومر وابن باديس وابن
بولعيد وابن مهدي وعميروش والحواس وأمثالهم من
المجاهدين الأحياء منهم والمنتظرين في الآخرين... من
اجل أن تعود الجزائر حرة قوية، وتظل مسلمة عربية.

المؤلف

!

!

!

!

!

مقدمة الطبعة الثانية

عندها صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1990 تعرف القراء على حقائق مذهلة واكتشفوا مؤثرات رهيبة ضد الوطن ووحدة الأمة، جعلتهم يذكرون بعض خلفيات الصراع المتواصل من أجل تحقيق الاستقلال التام عن فرنسا التي أخرجها الأحرار من بعض الديار... وفي نفسها الشيء الكثير من الحقد المكبوت والرغبة الملحة في الشار والانتقام من شعب الشهداء بالعملاء الذين غرستهم ووطنتهم المخططات، وتعهدتهم ورقتهم التواطؤات والخيانات... فاستؤمنوا على مقدرات الأمة في أهم مقدساتها ومؤسساتها الحيوية والحساسة، تحت شعار "عفا الله عما سلف" وتحت شعار "الخبرة الفنية" و"الأقدمية الوظيفية" فباتوا يحكم الامتيازات والحصانات المكتسبة في المرحلة الجديدة مطلقى الأيدي والأرجل لاتمام المهمة بالنيابة عن أولياء النعمة في الاستحواذ على مكاسب الاستقلال "بالاستحلال" والتخطيط في هدوء وطمأنينة للعودة إلى الوراء من نفس الشغرات الملقمة التي أحدثوها في الجدار الوطني ذات يوم احتياطا وأملا في إعادة الكرة لتحقيق الهدف المنشود في اليوم الموعود تحت غطاء "الشرعية الدولية" والحق في فرض التعددية اللغوية لصالح "الأقلية العرقية والقومية" التي ما انفك خبراءها يُروّجون لها بكل الوسائل وينفخون في رمادها لاشعال نار فتنتها ضمن مجال نفوذهم اللغوي في الضفة الغربية لجنوب "البحيرة" المتوسطة التي يأبون إلا أن تبقى تحت الهيمنة الفرنسية!!

كل ذلك كان الكتاب قد تناوله بكيفية غير معهودة من الجرأة والشمولية في الطرح والدقة في التشخيص، والصراحة في العلاج واقتراح البدائل، والوضوح في الرؤية المستقبلية التي أثبتت الأيام اللاحقة (وبكل تواضع) مصداقية توقعاتها في العديد من المجالات والأحداث اللاحقة كما سيتبين القارئ ذلك بنفسه من خلال إعادة قراءة المقدمة وبعض الفصول ذات الطابع الاستشرافي المبني على معطيات صحيحة ومقدمات سليمة ...

وهذا ما يفسر نفاذ الطبعة الأولى من الكتاب في أقل من سنة غير أن عوامل متعددة (ليس هنا مجال لذكرها) حالت دون إصدار طبعات لاحقة له، سواء بلغته الأصلية، أو بترجمات كما كان مقترحا على المؤلف من بعض الجهات والشخصيات الوطنية... وقد أعدت الترجمة إلى اللغة الفرنسية في حينه، وقدمت إلى عدد من دور النشر في الجزائر والمغرب وفرنسا ذاتها، ولكنها لم تجد سوى الرفض المرفوق باعتذارات مفادها التخوف من نشر هذا الكتاب الذي يسير عكس التيار، وضد مصالح الطرف القوي والقادر على إلحاق الضرر بالدار التي تقدم على نشره!! (وقد ننشر هذه الردود المكتوبة مستقبلا إذا واثت الفرصة ذلك)

ونظرا لأن موضوع الكتاب ما يزال حيا يتصدر بعض أحداث الساعة والساحة الوطنية والجهوية، وسيظل كذلك -في اعتقادنا- لسنوات عديدة قادمة لارتباطه بمصالح استراتيجية لقوى نافذة في المنطقة... إلى أن تستكمل الجزائر والدول المجاورة لها مقومات استقلالها وهويتها وسيادتها بالكامل من نفس المستعمر السابق باستئصال جميع مخلفاته من مراكز ومواطن التأثير في الواقع!

ونظرا لأن غيوم الإرهاب الفكري الأحادي الذي ظل سائدا في البلاد لعدة سنوات قد بدأ في الانقشاع لصالح الحق والوطن، وأخذت ردتها الظلامية الظالمية تتقلص من الساحة بعودة المبادرة والثقة بالنفس لأصحاب هذا الحق، ببداية عودة المياه الديمقراطية لمجاريها الانتخابية في جو من الحد الأدنى

المضمون لحرية التعبير والبحث والتقرير المكفولة "بالنصوص" القاضية بمقارعة الحجة بالحجة وليس قمع الفكرة بالعصا والصولجان، والصاق التهم الجائرة لأي كان في أي آن... دون محاكمة أو دفاع لاثبات التهمة أو إبطالها بالبينة والبرهان!!

واقتناعا بأنه من الجرعة بمكان في حق الوطن والتاريخ أن يتجرأ أعداء الأمة وأبناؤها المرتدون على الجهر بالكفر، والدفاع عن الباطل بالباطل، ويصمت في وجل أو يجبن في خجل أبناؤها الشرعيون عن القيام ببعض الواجب في دحض الباطل والدفاع عن الحق بالحق، وفاء للشهداء وفضحا لمناورات ومؤامرات الأعداء!!

وتلبية مني لرغبة آلاف القراء الذين مازالوا يطلبون الكتاب من داخل الوطن ومن خارجه في الأقطار الشقيقة الذين قرأوا عنه العديد من الأخبار والتعليق في الصحف العربية، وخاصة جريدة "الشرق الأوسط" التي اشترت حقوق نشره بالكامل في حلقات (خلال شهر أغسطس 1990).

بناء على ذلك كله، قررت إعادة إصدار هذه الطبعة الجديدة من الكتاب في دار نشر جديدة، وبمقدمة وإضافات وتعليق وملاحق جديدة اقتضتها الظروف الجديدة...

ومراعاة لانخفاض القدرة الشرائية لدى القارئ من جهة، وارتفاع تكلفة الطباعة والنشر من جهة أخرى... فقد أرتأيت تقليص عدد صفحات الكتاب إلى النصف تقريبا، وذلك بحذف بعض الفصول الواردة في الطبعة الأولى، واقتصرت على ثمانية منها، مما هو ذو صلة عضوية، وعلاقة وظيفية ومنهجية صميمة بالموضوع... وأدرجت الفصول المحذوفة من هذه الطبعة في الطبعة الجديدة من كتابي القديم "كيف صارت الجزائر مسلمة عربية؟" الصادر عن دار البعث بقسنطينة سنة 1981.

وهكذا سيعاد نشر الكتابين معا في نفس الوقت، وفي حلة جديدة، وبأسعار مناسبة جدا بعد تخفيض التكلفة إلى النصف تقريبا...

وهذا كله خدمة لما نراه أنه الحق في المعرفة والتوعية والتثقيف، وهو قبل كل شيء، حق الأمة على من قد يضعهم القدر في عداد المحسوبين على الثقافة من أبنائها، ويقع على عاتقهم واجب الدفاع على هذا الحق والتزام توحيه والسير في نهجه - دون انحراف أو التفاف - اضطلاعا بهذه الرسالة التي تعتبر تكليفا من الأمة لهم وضريبة منهم لها، بقدر ما تعتبر تشريفا منها لمن يستحقها من هؤلاء الأبناء الجديرين بهذه البنوة وهذا الانتماء.

المؤلف

الجزائر في 25 - 01 - 1997

مقدمة الطبعة الأولى

يُعرّف سكان شمال إفريقيا عموماً، (أو المغرب العربي حالياً) منذ القديم باسم البربر، وهذه المجموعة السكانية تتوزع على الرقعة الجغرافية الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى أقصى الحدود الليبية المصرية شرقاً ... حيث ما يزال إلى يومنا هذا من بين السكان في بعض المناطق الريفية والجبليّة البعيدة - عموماً - عن العمران، والإشعاع الحضاري العربي الإسلامي عبر القرون ... من يستعملون في حديثهم اليومي الدارج بكيفية تلقائية مختلف اللهجات المحلية المتفرعة - أصلاً - عن البربرية الأولى «المفترضة» المندثرة من الوجود منذ عشرات القرون ... والتي تختلف اختلافاً بيناً وجوهرياً عن اللهجات «البربرية» الحالية التي ما يزال سكان تلك المناطق يستعملون أسماء قبائلهم منها، والذين نجد من بينهم في المغرب الأقصى على سبيل المثال:

«الشلح» «الريافة» «السوس» وهم القبائل الذين ما يزالون يستعملون على التوالي «تاشلحيت» «تاريفيت» «تامازيغت» .

وفي الجزائر : نجد الأكثر شهرة هم : الشاوية، القبائل (الصغرى، والكبرى) الميزابيون، (أو بنو ميزاب)، التوارق، الشناوة، والرقيبات ... وكل هذه المجموعة تنتسب باسمائها إلى لهجاتها المحلية، وهي على التوالي كما هو معروف «ثاشويت» «ثاقبايليث» «ثامزابيث» «ثاتارقيث» «ثارقبييث» «ثاشنويث» الخ ... وعلى هذا المنوال يمكن أن نذكر أيضاً الجراية في تونس، والغراية أو العراية بالجليل الغربي بليبيا ...

على أن ما يجدر ذكره في كل هذا هو أن معظم هؤلاء السكان (ذوي الانتسابات القبلية المختلفة) لا يستطيعون التفاهم فيما بينهم دون اللجوء إلى اللغة الحضارية والثقافية المشتركة ألا وهي اللغة العربية، سواء في شكلها القرآني الفصيح، أو في شكلها العامي الدارج، ... ومن ثمة فإن أي طرح للمسألة البربرية على أي أساس (قبلي أو جبلي) داخل أي قطر عربي مغربي على حدة، هو طرح تفتيتي انعزالي انفصالي عن بقية سكان المناطق الأخرى داخل القطر الواحد، ناهيك عن الوطن الأكبر الذي كان وما يزال يصبو إلى تحقيقه كل المخلصين من الموحددين في هذه الأمة .

وإن المهتم بشؤون الساعة والساحة الوطنية والقومية المتتبع لظواهر ومظاهر التطور الإجتماعي والتغير (السياسي - الثقافي) الحاصل في هذه الأقطار نتيجة الارتقاء الملموس لمخيط الكمامات التي كانت موضوعة على الأفواه الناطقة (وغير الناطقة) يلاحظ أن الديمقراطية وحرية التعبير التي تعتبر حقا عزيزا المنال تهون في سبيله الحريات والأعمار لدى العديد من الشعوب المكبلة والحكمة ... قد يصبح هذا الحق من ذلك النوع الذي يراد به باطل إذا وضع (ومن غير شروط دقيقة ومحكمة) في أبادي قصر وارثين للثروة عن الآباء أو الأجداد دون تعب أو مشقة، يتولى رعايتهم وتوجيههم أديباء للقرابة والنسب، قتلوا الآباء ثم نصبوا أنفسهم أوصياء على الأبناء حتى يشتد عودهم ويعتمدوا على أنفسهم في التوقيع على عقد الهبة أو البيع (...) للمقرب قبل الغريب !!

وإذا لم يكن ليوجد في الدنيا ورد من غير شوك، فالحكمة تقتضي من العاقل أن يعمل على تفادي الشوك من الورد، بدلا من أن يحصد الشوك دون الورد. وهذا هو نوع الحصاد الذي سخر لخدمة باطل في بلداننا النامية ديمقراطيا...

وإذا لم يكن من الحكمة ولا من الشجاعة رفض الورد من أجل الشوك، فمن الغباء - أيضا - حصد الشوك من غير ورد! ومن هنا ينطلق الرهان في اللعبة الديمقراطية والتعددية التي أوجدتها بلدان، واستوردتها بلدان من بلدان، وصدرتها

بلدان الى بلدان، وشجعته بلدان في بلدان ... على أن إسم الديمقراطية اذا كان واحدا فان المسمى يبدو جد مختلف، في العديد من الأفهام، وهو راجع الى كون ما هو صالح لبلد، أو في بلد، قد لا يكون بالضرورة صالحا بنفس الكيفية ونفس الشروط (بكيفية مستطرية) لبلد آخر، ولو كان الناس ذوي ثقافة واحدة لكانوا أو لكونوا - منذ الأزل الى الابد - أمة واحدة !

ومن هنا يمكن تقسيم استقلال الأمم والشعوب من الناحية الاصطلاحية والموضوعية الى قسمين اثنين، لا يتم الاستقلال الحقيقي لاية أمة أو شعب الا بتكاملهما معا، ولا يتم الاحتلال الحقيقي - أيضا - لاية أمة، و اتمام السيطرة للغاصب على مقدراتها، الا بزوالهما معا ألا وهما:

أولاً: استقلال الجنسية:

و هو أن يصبح للشعب المحتل جنسية مغايرة لجنسية الدولة التي كانت تحتل أرضه وما يستتبع ذلك من وجود عَلم وطني، وعملة وطنية ونشيد وطني، تمثل جميعها رموز السيادة على التراب الوطني ... وهذا النوع من الاستقلال سهل المنال نسبيا، والدليل على ذلك أن أكثر من ثلاث عشرة دولة افريقية حصلت عليه دفعة واحدة دون حرب، في فترة رئاسة الجنرال دوغول أثناء ثورة التحرير الجزائرية المسلحة (1954 - 1962) (أنظر مذكرات الجنرال دوغول : الأمل ...) وذلك للتفرغ المادي والمعنوي للقضاء على هذه الثورة، لكون الجزائر ظلت دائما تمثل البوابة الاستراتيجية للاستقلال والاحتلال - في نفس الوقت - لجل البلاد الافريقية الأخرى في المنظور الفرنسي ... بدليل أن جميع الأقطار الافريقية قد احتلتها فرنسا بعد احتلال الجزائر، ومنحتها الاستقلال السياسي (أو استقلال الجنسية) قبل استقلال الجزائر سنة 1962 والذي دفعت فيه الجزائر من الشهداء، وتركت فيه فرنسا من الأشلاء، ما يفوق بأضعاف مضاعفة ما تركته فرنسا في غير الجزائر، وما دفعت المستعمرات الفرنسية في افريقيا مجتمعة، على امتداد فترة الاحتلال الأصغر لها !!

ثانيا. استقلال الشخصية:

وهذا النوع من الاستقلال هو الأصعب دوماً كما أنه لا يتم بسهولة بعد احتلال الجنسية ولا ينتهي بسرعة أو بسهولة - أيضا - بعد استقلال الجنسية، وهنا تكمن القضية !!

فالاستراتيجية الاستعمارية (التقليدية والعصرية معا) بإمكانها أن تتخلى عن عشرات الاستقلالات للجنسية، ولا تتخلى عن استقلال واحد للشخصية *، لأي قطر مهم من مستعمراتها السابقة، وخاصة إذا كان هذا القطر في حجم وأهمية الجزائر، التي لو استقلت شخصيتها (العربية الإسلامية) استقلالا كاملا بالإضافة الى استقلال الجيران الاشقاء في المغرب العربي، سيقضي - حتما - على احتلال الشخصية للبلدان الأفريقية الأخرى غير العربية، والذي تراهن عليه الاستراتيجية الفرنسية في الوقت الحاضر، ومستصعب - نتيجة لذلك - جل البلاد الأفريقية المقسمة حاليا الى دول فرنكوفونية (أي ناطقة بالفرنسية) ودول انجلوفونية (ناطق بالانجليزية) الى دول (إسلاموفونية) أي مسلمة ناطقة بالعربية، كلغة حضارة (متعايشة مع لغاتها، ولهاجتها المحلية غير المكتوبة) الى جانب انها لغة عقيدتها الصامدة أمام المد الصليبي منذ قرون في القارة السمراء !

وهكذا، فلنكي يسترجع الاستعمار الفرنسي باليمن ما افقته باليسرى، كان لزاما عليه أن يضع ثقله للحيلولة دون تحقيق استقلال مقومات الشخصية للجزائر، ولا استقلال للشخصية، كما هو معلوم، دون استقلال تام للثقافة في عمومياتها وثوابتها الطابعية والمميزة لأية أمة من الأمم الحية في هذا الوجود، عن الأمم الأخرى، ولا تحقيق للاستقلال الثقافي لأية أمة بدون تحقيق الاستقلال اللغوي الذي يبدأ من استعمال اللغة الوطنية في نظم أبيات الشعر، ونسج بيوت الشعر الى اختراع القنابل الذرية واطلاق الصواريخ العابرة للقارات والمحيطات

* المقصود بالشخصية هنا هي مقومات الهوية الوطنية والقومية التي يطلق عليها عادة اسم الثوابت الوطنية (بالنسبة للجزائر وبلا. المغرب العربي عموما) وهي مقدمة هذه الثوابت: الإسلام واللغة العربية.

والحاملة للأقمار الاصطناعية في طبقات الجو العليا ... مثلما هو الشأن الطبيعي لدى الأمم ذات الشخصية المستقلة الجديرة بالبقاء في عالم الأقوياء، ولا نعدم الأمثلة الكثيرة عن مثل هذه الأمم المستقلة الشخصية اليوم والتي لم يكن بعضها شيئا مذكورا قبل قرن من الزمان، والحقيقة بعبارة أخرى تنحصر في أن بقاء استقلال الشخصية لأي شعب في الدنيا كفيلا باسترجاع استقلال الجنسية ولو بعد ضياعها، مهما طال الزمن، مثلما وقع لألمانيا - مثلا - مع فرنسا أو اليابان - إلى حد ما - مع أمريكا، أو الفياتنام مع فرنسا، أو فرنسا ذاتها مع ألمانيا، أو اليابان مع كورب، ويمكن أن يضاف إليه مستقبلا يوغسلافيا وبلجيكا، وكندا واسبانيا وقبرص، وتركيا وربما سويسرا وإيطاليا من جهة ... وما حدث في ألمانيا، والفياتنام، واليمن والصين، وما قد يحدث مستقبلا في كوريا وأذربيجان، وأرمينيا وكردستان ... من جهة أخرى لأسطع برهان على ما نقول حيث يبرهن لنا المثال الأول على عدم جدوى الجمع القسري للأمم متمزة الشخصية، في جنسية سياسية واحدة، حيث لا تلبث أن تطالب ذوات الشخصية المتميزة بالاستقلال السياسي (أو استقلال الجنسية) لمجرد أن تشم قيود الاستبداد رياح الحرية، ويبرهن لنا المثال (الحي) الثاني، بكيفية ساطعة وقاطعة على عدم جدوى الفصل لأفراد أمة واحدة، في دولتين ذات شخصيتين سياسيتين (أو جنسيتين مستقلتين) موزعتين - قسرا - بين معسكرين متعارضين، حيث لا تلبث الدولة المعزولة أن تطالب بالاندماج الكلي، رغم الجدار (الاسمى المسلح) الوهمي، العازل ماديا وسياسيا للجنسية عن الشخصية !! ففي الحالة الأولى يقع انفصال بعد اتصال، لأختلاف الشخصية، وفي الحالة الثانية يقع اتصال بعد انفصال لاتفاق مقوات الشخصية !!

وانطلاقا من الحيثيات السابقة، وإدراكا لخطورة المرحلة الراهنة، وتفاديا لكل استغلال محتمل (وغير برئ) للتجربة الديمقراطية الفتية في بعض بلداننا المغربية الموضوعة - حاليا - تحت المجهر (في المخبر الشمالي) كبوابة (وواسطة بريئة) لا محيد عنها لتبييض وتأييد الاستعمار الأسود للعقول والقلوب البيضاء في القارة

السمراء، هذه القارة التي ما تزال معظم أقطارها ضائعة في دوامة البحث عن الذات، الخارجة - لتوها - من قبضة الاحتلال الاصغر، ذون أي زاد حضاري لتحسين شخصيتها انقاء للاحتلال الأكبر ... يتعين على بلداننا المغربية أن تتقن وتعي اللعبة الذكية، حتى لا يصبح بعضهم مطية مفضلة للعبور على ظهرها لتكريس الاستعمار الثقافي واللغوي، وتقاسم النفوذ السياسي والاقتصادي بين دول الشمال، والمتاجرة في سوق المزداد (الجنوبية) في العقول والقلوب بعد الحقول والأجساد الأفريقية !!

لم يجد أرباب سوق الشمال بُدًا من أن يبذلوا قصارى جهدهم لتصبير بلداننا المغربية جنوبا ثقافيا ولغويا لأوروبا اللاتينية، بعد أن كانت ولقرون خلت، شمالا لإفريقيا المسلمة التي لم تعرف في معظم بلدانها غير لغة القرآن أداة حضارية، ولا حروفا غير الحروف العربية وسيلة لتدوين الأفكار والأشعار، قبل أن تعرف القارة كل هذه الأنواع من الاستعمار القديم والجديد الذي يصر على العودة إليها من نفس الباب (أو الأبواب) التي أخرج منها !!

والشاهد على ذلك أن المتتبع لأحدث التقلبات الاستراتيجية في السياسة الاستعمارية الجديدة ... يلاحظ ما يشبه التراجع التكتيكي عن مبدأ «فرّق تَسُدْ» ليصبح «جَمْع تَسُدْ» من باب أن تجارة الجملة أفيد له وأربح من تجارة التجزئة التي كان يمارسها من قبل ... وهذا هو السبب الكامن وراء الحث والتشجيع الذي تتلقاه بلدان المغرب العربي من بعض بلدان سوق الشمال الغربي على ضرورة الاتحاد والظهور بمظهر المحاور الواحد بدلا من محاورين متعددين (1)

والدليل على ذلك أننا بقدر ما نلاحظ الحث من طرفهم على اتحاد بلدان المغرب بمعزل عن بلدان المشرق، نلاحظ المناهضة الشديدة لاتحاد المغرب ببلدان المشرق، وذلك بهدف مواصلة مخططات التفتيت لأطراف الأمة، وإبقاء المغرب (الفرنسي) سابقا بمعزل عن المشرق العربي لاحقا، في إطار تقسيم مناطق النفوذ (العسكري) القديم، بمقاييس نفوذ (ثقافي سياسي اقتصادي) جديد، وبرهاننا على ذلك تلاحظه في الشواهد التالية :

1 - ان ثلاثة ارباع بلدان المغرب العربي مُنضمّة - رسميا - الى قسم البلدان الفرنكوفونية في كل من الكيك (بكندا) 1988 وداكار (بالسينغال) 1989 وهذا يجعلها (نظريا على الأقل ومن الناحية الثقافية) بلدانا افريقية أكثر منها عربية في نظر أقطاب الحركة الفرنكوفونية لأن جل البلدان الافريقية غير العربية ليس لها خيار في اختيار إحدى لغات الاستعمار، أما بلدان المغرب، فلها لغة تملك حق (القيمتو) في الأمم المتحدة، الى جانب اللغات الخمس الأخرى، ولذلك فانضمام هذه البلاد المغربية الى قمة داکار، واعتماد لغة (دكار) كوسيلة عمل في إدارة الأمصار كان عن قصد واختيار، مع سبق الإصرار !!

2 - لم يشر تعجب وانتباه وحيرة العالم (غير العالم) غياب بلد عن قمتي الكيك وداكار أكثر مما أثاره غياب الجزائر . مما جعل بعضهم يطمئن نفسه بوصف هذا الإجراء بأنه تصرف ظرف، و سحابة صيف ! مما يوحي بانقلاب في المفاهيم أرجع الاستثناء قاعدة والقاعدة استثناء في عرف التايعين، وصور غياب ابناء خلدون، وأبناء باديس عن قمة داکار في السنة الماضية عقوبا للوالدين !!

3 - لیبحث معي بموضوعية وليفدني كل قارئ للصحافة (الفرنسية) في الجزائر وفي كل أقطار البرية، اذا وجد صفة (عربي) مكتوبة في أي تعرض للحديث عن بناء (المغرب .. ؟ ..) الكبير) في السنوات الاخيرة . وهذا التوجيه والتمويه الذي لا يخفى على نبيه، لا يحتاج الى بيان أو برهان بأنه يعني عدم الاعتراض على بناء (المغرب الكبير) اذا كان فرنسيا (أو غير عربي) اللسان والوجدان . والجنسية الحقيقة للأمم والشعوب لا تقاس بالأوراق والجوازات، وإنما تقاس بالانتماءات الحقيقية أو الفعلية (لحضارية والثقافية) الناجمة - أصلا وفصلا - عن انتماءات اللغات المستعملة في الميدان، وليست المقررة باللسان أو المسطرة في البيان !!

فكم كان عندنا في بلدان المغرب العربي سابقا من عرب مسلمين رغم الجنسية الفرنسية، وكم أصبح عندنا من فرنسيين (مسلمين وغير مسلمين) رغم أوراق الجنسية العربية حاليا !

فالسبيرة - اذن - ليست بأوراق الجنسية التي تمنح وقد تمنع، انما هي في الشعور بالهوية والتضحية في سبيل تمثيلها قولاً وفعلاً، وهو النموذج الفعّال؛ لأنه قد حدث ويحدث في الدنيا أن توجد شعوب بدون أوطان أو توجد أوطان بدون شعوب (...) ولكن اذا تعذر تحقيق المثل الأعلى المتمثل في تطابق ثقافة (أي هوية) الشعوب مع جغرافية الأوطان (كما هو الشأن في الحالات الطبيعية والسوية للبلدان) فقد تفاضل الشعوب الذكية، بين العيش كشعب بدون وطن (مع أمل وعمل) كما هو الحال في الضفة الغربية وقطاع غزة والجلولان في الوقت الحاضر، على أن تعيش في وطن بدون أمل في تحقيق هوية الشعب، كما هو الحال - مثلاً - في الأراضي العربية المفتصة (جغرافياً وثقافياً) في فلسطين المحتلة سنة 1948 .

وليُقَس على هذا المثال ما لم يذكر من الأحوال في بلدان الجنوب أو بلدان الشمال .

4 - وتأكيداً للنقطة السابقة المتعلقة ببناء المغرب (غير العربي) الكبير ... يلاحظ المتتبع لمراصد الاستقصاء الغربي، بدون استثناء، أن التحفظ الكبير كان على الوفاق الأخير بانضمام قطب خامس فاعل، لن يكون لهم عليه تأثير، بلغة فولير أو شكسبير، الى جانب التخوف من دوره الفعّال في مد الجسر الذهبي الرابط بين المغرب العربي الكبير والمشرق العربي الأكبر* . ويضاف الى هذا وذاك قلق، بل فزع من الدور الأخطر، الذي يضطلع به القطب (المغربي) الأقدر على الجهاد الأكبر، بالسلاح الرياني الذي مارسه طارق وعبد القادر والمقراني وابن باديس بعد الافغاني ! ادراكاً منهم بأن الطائر (المغربي) الكبير اذا لم يكن بالامكان ان يطير - عربياً - بدون أجنحة، فمن المستحيل أن يعيش ويحيا من غير قلب وضمير، وبرهان ذلك كان عند جيش وجبهة التحرير !

5 - وبغرض التضييل وتمييع الجهود المخلصة التي ما فتىء يبذلها ابناء المغرب الغربي الأوفياء منذ العشرينيات من هذا القرن حتى الآن، مروراً بمؤتمر طنجة الكبير (1968)، الذي نحى كل سنة ذكراه في الضمير ... نلاحظ كيف

* المقصود بذلك إنضمام الجماهيرية العربية الليبية - رسمياً - لإتحاد المغرب العربي في السنة الماضية.

صنع لنا الفاعلون بؤر اهتمام ومجمعات وانتماءات لا تعد ولا تحصى في المنطقة، من اذاعة البحر الأبيض المتوسط التي تسوي في الاستماع بين سكان تيطوان، ووهران والقيروان عندنا، بسكان (نيس و بوردر و باريس) عندهم، وقس على هذا النموذج (الوحدوي) اللساني، والتقسيم الوجداني ... كل الأشكال الأخرى من الابعاء التكتلية على أساس حزب اليمين وحزب اليسار، ووالي باريز - داكار، ودول جنوب الصحراء أو الشمال، ودول الساحل وساحل الدول، وبلاد ما وراء البحر الذي كان يعبر (باريز) سابقا في الخريطة المدرسية الفرنسية (...) كل هذه التقسيمات يخطط لها الفاعلون في الأذهان، وينفذها بعض نواب الفاعل عندنا بأمانة واتقان !!

واننا لنجزم - سلفا - بأنه اذا لم تسر الديمقراطية، والتعددية السياسية المطبقة حاليا، في الاتجاه المأمول لها في مخاير الشمال ... وسقّ الشعب الجزائري العربي المسلم في صناديق الانتخاب أحلام الأحزاب «النائبة للفاعل» في تمرير المشاريع والبرامج المسطرة لعزل القلوب عن العقول، وعزل الأرواح عن الأجساد، وفصل المغرب عن المشرق، وإحناق الشمال الافريقي بالجنوب الأوروبي ... فان أول من سيطعن في «جدوى الديمقراطية» وسيدعو الى محاربة هذه التجربة في البلاد، أولئك الداعون اليها اليوم، والمتحمسون لها أنفسهم، وسيحاربونها بدعوى «عدم النضج» للتطبيق الديمقراطي في مناخ «الجهل والتعصب، واللاتسامح» على غرار مقولة «الفاعلين» القدامى لترسيخ أقدام الاحتلال الصليبي الفرنسي للجزائر، والمتمثلة في «التنوير» للعقول والكهوف الافريقية، بأضواء باريس «التحضيرية»!!

وانني اتحدى هنا - وللتاريخ - جميع (نواب الفاعل) من هذه الأحزاب ان تطبق وتحترم كل مواد الدستور الذي أوجدها، ومنحها لاعتراف بالشرعية في الجزائر، وأتحداه - أيضا - ان تقبل بنتائج الانتخابات العامة في الوطن، وتخضع لارادة اغلبية الشعب، مثل الأحزاب الديمقراطية الوطنية في الجزائر، أو الأحزاب الديمقراطية الحقيقية في فرنسا ذاتها، والتي أذعننت لنتائج استفتاء الشعب الجزائري على تقرير مصيره الأخير سنة 1962 م . وبعبارة أخرى صريحة أتحداه

أن تقتدي بفرنسا في فرنسا في كل شيء (١١) وتكف عن سياسة النعرات العنصرية و«الكوطات» الجهوية «المليحة أو القبيحة» وتتخلى عن المطالبة بكل الوسائل «الفرنسية وغير الفرنسية» بتغيير المادة الثانية والثالثة من الدستور الحالي، وذلك هو بيت القصيد (٢١) من وراء كل الممارسات «الديموقراطية» (أي المطالبة بالديمقراطية الشعبية، مع الاصرار على رفض نتائجها «الوطنية» في نفس الوقت ١١) ففي هذا السياق الرهائي تدخل النزعة (البربرية) كرأس حربة مغروسة «باتقان» في الجناح الغربي من جسم الأمة الإسلامية الناطقة بالعربية. ومن هذا المنطلق كان «تخصير» رموز هذه الحركة، كأفضل «وأسلم» وسيلة لترسيخ وترسيم الفرنكوفونية في البلاد المغربية، عبر الحقل «الديمقراطي» الذي تجري فيه التجربة ويقع عليه الرهان المشروط ١١

ولتبين الخيوط البيضاء من الخيوط السوداء «أو الحمراء» في هذه «المسألة - القضية» الطافية على السطح، بعد كمون طويل نسبيا أخصص هذا الكتاب الذي فرضته المرحلة بكل أبعادها الحاضرة والمستقبلية، وليكون القارئ الوطني والعربي مدركا وشاهدا، ويكون ولاية الأمور على بيته من أمرهم، أمام التاريخ الذي يشهد لهم أو عليهم، كما يشهد لنا - على الأقل - أننا قد بلغنا، ولم نقصر (بأوسط الإيمان) الذي لا تملك غيره، حامدين الله - عز وجل - على كل حال، سائلين إياه أسباب العون والتوفيق لما فيه خير هذه الأمة التي كانت قد أخرجت للناس منذ قرون، والتي يجب أن يعمل أبنائها المخلصون دوما على أن تبقى كذلك إلى يوم يبعثون، لأنه إذا كان الزمان غير الزمان، فالإنسان - دائما - هو الإنسان، ومثلما يوجد في كل عصر آباء لهبه، ومسيلماته، وكسيلاته، يوجد - أيضا - في كل عصر آباء بكره، وصلحاء دينه، وأبناء خلدونه، وأبناء ياديسه، وأبناء نوفبره، ورجال صومامه، وأبطال جرجرته وأوراسه ... والتاريخ بيننا هو الشاهد الأمين .

الجزائر في : 23 . 03 . 1990 م .

الفصل الأول

شهادة فرنسا على نفسها، قبل أن تبدأ سياسة « فرق تسد » إبان الاحتلال

في سنة 1857 احتل الفرنسيون منطقة القبائل، وفي السنة الموالية (1858) جمع المترجم العسكري الفرنسي، (الفونس مايبير)، معلومات من أفواه شيوخ المنطقة وقدمائها عن أصل السكان هناك، وقدم هذه المعلومات الى (المجلة الإفريقية)، فنشرتها سنة 1859 (ص 357) تحت عنوان (أصل سكان بلاد القبائل حسب العرف المحلي)، وحلاصة المقالة أن شيوخ بلاد القبائل يعتقدون أن أصلهم من العرب ماعدا قبيلة (فراوسن وايجر وغويري) التي قالوا إنها فارسية، والمهم في هذا المقال أنه مكتوب قبل أن تبدأ فرنسا سياسة (فرق تسد) في هذه الناحية من الجزائر، وأنه مستقى من أفواه شيوخ وكبار الناحية بناء على التقاليد والاعراف المحلية (أو ما يعرف اليوم بالتاريخ الشفوي).

ومترجم النص هو الأستاذ محمد الشريف واشق، وقد نشر لأول مرة باللغة العربية في جريدة الشعب،⁽¹⁾ ومما تجدر الإشارة إليه قبل استعراض بعض الفقرات منه هو أن الباي محمد الوارد اسمه في النص هو محمد الفريوا، المشهور بالذباح، حاكم ولاية التيطري التي كانت تتبعها بلاد القبائل فترة طويلة، وتولى أيضا قيادة سباو، بعد إنشائها، وكان من القادة الكراغلة البارزين أمثال محمد الكبير، والحاج أحمد، وهو مولود في المنطقة أيضا، ومن خريجي زاوية تيزي راشد المشهورة بالعلم في ذلك الوقت...

(1) البحث منشور كاملا تحت عنوان « قبل أن يبدأ الإستعمار سياسة فرق تسد » بتاريخ 29 - 04 - 1981 .

ومما ورد في هذه الشهادة الفرنسية الناطقة والحية مايلي بالحرف الواحد: «... يثبت العرف أن سكان جبال القبائل ينحدرون في غالبيتهم من بلدان أخرى، كما سنلاحظ فيما بعد...»

ويجب أن نعرف قبل كل شيء، أن مدينة الجزائر قبل وصول الأتراك، لم تكن سوى بلدة ليس بها حكومة منتظمة، وبعد أن حل بها الأتراك اختاروا رئيسا من بينهم له السلطة أيضا على سكان مدينة الجزائر.

وامتدت السلطة التركية بالتدرج نحو متيجة، ثم نحو أهالي يسر ثم الى المدية ومليانة وأخيرا الى المناطق الغربية التي أخضع الأتراك سكانها وأذاقوهم كثيرا من الظلم، وعندما أصبح الباي محمد قائدا نشر جنوده الفساد والفوضى واضطهدوا العرب، وقد هرب هؤلاء الى الجبال بعد أن أصبحوا بدون ملاذ آخر، ولم يجدوا الأمن على الأشخاص سوى في الجبال، وأمام ذلك سار الباي محمد بجيشه لمحاربتهم فهزمهم، وقد خاضوا ضده معارك مشهودة أظهروا خلالها كثيرا من الشجاعة، ولكن بعضهم هربوا أمامه منهزمين، بينما الآخرون منهم ردوه على عقبه، وتفاوض الباي مع هذا القسم من العرب وتوصل معهم الى صلح، وبناءً على هذا الصلح فانهم لا يدفعون اليه شيئا، كما أن لهم الحرية في الذهاب الى أي مكان يرغبون فيه مع ضمان الأمن لهم.

وسنقدم الآن أصل سكان جبال القبائل كما جاء في شهادات قدماء الناحية

أهل فليسة:

أن سكان فليسة من أصل عربي، وقد جاء بعضهم من يسر والآخرون من بني ثور، ومتيجة وبني عاتشة، وجاء آخرون من بني جعد وبني سليمان، وكلهم استوطنوا هذه الجبال، وهذا هو أصل كلمة (فليسة) :

إن أول رجل أتى الى هذه الناحية يسمى (فليسة) واستقر في مكان يسمى (تيمليلين) يقع في الجبل المسمى حاليا باسم (فليسة البحر) لأنه يطل على البحر، كان لفليسة خمسة عشر ولدا، وثروة طائلة، وقد التحق كثير من الناس بفليسة مهاجرين وخضعوا اليه وطلبوا منه أن يكون رئيسا عليهم، فقبل ذلك وأعطى اسمه الى الناحية كلها.

وقد سار الباي محمد على رأس جيشه ضد فليسة، وخاض معه معركة، ولما وصل الباي الى جبل يسمى (ياسين) هزمه فليسة، وقتل له عددا كبيرا من الجنود، وطارده، والسيف مصلت وراءه، مسافة حوالي سبعة أميال، ولما وصل الباي الى مدينة الجزائر كتب الى فليسة يخبره بإعفاء قبيلته من السخرة، ومن دفع الضرائب، ولهذا السبب لم تكن فليسة البحر تدفع ما كانت الحكومة في العادة تفرضه.

وبعد هذه الحملة بقليل شن الباي محمد حملة أخرى ضد الذين التجأوا الى الجبل المسمى (فليسة أو مليل) وتوجه الى مكان يسمى (جبل مزغيت) ولما علم فليسة بهذه الحملة أرسل أحد أبنائه ضد الباي على رأس 500 رجل، وحين وصل ابن فليسة الى جبل مزغيت سارع السكان الذين ثاروا ضد الباي منذ وصوله، الى وضع أنفسهم تحت أمرته بحماس، وكان ابن فليسة يعرف الطريقة التي يعامل بها الباي الذي سبق أن حاربه في قبيلة أبيه فليسة، وهكذا وضع سكان جبل مزغيت بين أيدي ابن فليسة، ووعدوه بالطاعة العمياء، وانطلق ابن فليسة ضد الباي وهزمه شر هزيمة وطارده الى يسر.

وبعد هذه الهزيمة كتب الباي محمد الى ابن فليسة، رغم اعترافه به عدوا له، قائلا ان قبيلته لا تخضع لأية سخرة ولا تدفع أية ضريبة مهما كان نوعها. وعلى أثر هذه الأعمال التي قام بها ابن فليسة سمي رئيسا للناحية بصفة نهائية. ان عدله وعلمه قد جعلوا سكان هذه الناحية يتركون له ادارة شؤونهم، وهكذا استقر بجبل مزغيت تاركا والده واخوانه في تيمليلين.

ومنذ استقراره أصبحت هذه الجهة تسمى (فليسة أو مليل)، (فليسة) مأخوذ من اسم والده و (أو مليل) من تيمليلين، وهو اسم المكان الذي تركه ابن فليسة قبل استقراره في جبل مزغيت...

بني واqnون :

كان الجبل الذي احتل من طرف « بني واqnون » يسمى « جاديس مزرانة » وكان أول من استقر بهذه المنطقة يسمى « قنون » وقد هاجر كثير من الأشخاص

الى هذه المنطقة وتركوا له ادارة شؤونهم، وبصفته رئيسا على المنطقة فقد سمي الجبل باسمه، واتخذ السكان اسم (بني واقنون)، وقد خضع (بني واقنون) الى المخزن، حيث كانوا يدفعون الضرائب للأتراك، وذلك للأسباب التالية :

في البداية كان الباي محمد عندما يتقدم اليهم، يدفعونه، الشيء الذي أرغمه على أن يسلم اليهم رسائل اعفاء تشبه التي ذكرت أعلاه.

وبعد فترة من الزمن جاء عندهم (سيدي عمر بن ابراهيم) الجد الأول للشرفة (الاشراف)، وكان رجلا متضلعا في علوم الفقه وفي الشريعة الإسلامية، حيث استقر في مكان يدعى (ثالة انتملال) ووهب نفسه لتعليم الأطفال..

و ذات يوم بينما كان (سيدي عمر) يقوم بالتدريس، ضرب أحد تلاميذه، عقابا له، ولفائدة تحسين تعليم التلاميذ، غير أن الطفل هرب يبكي مسرعا الى أبيه، الذي غضب غضبا شديدا فجمع اخوته ثم ذهبوا الى الشيخ « عمر » وضربوه ضربا شديدا، فشكا الشيخ من آلامه وقال لهم : « يا بني واقنون أطلب الله أن يسلط عليكم المخزن، حتى يعذبكم ويضطهدكم كما عذبتهموني واضطهدتوني) وبعد مضي حوالي شهرين من دعائه أرسل الباي محمد مرة أخرى جيشه لمحاربة هذه القبيلة، حيث دمر البلد، وأحرق المنازل وقطع بعض الرؤوس وفرض أخيرا العشور، والأشغال الشاقة، وأشياء أخرى كان يفرضها المخزن على السكان...

وبعد أن دخل الباي الى مدينة الجزائر، اجتمع (بني واقنون) حول (سيدي عمر) وطلبوا منه العفو، وهم يذكرونه بدعائه فقال لهم : (ان المخزن لن ينسحب من عندكم)، ولكن لن يلحق بكم أي أذى.

شيد (بني واقنون) عزهم على سمعة السيد عمر، بعد الحوادث المذكورة، وأعلنوا أنهم في خدمة هذا الشريف، وحتى بعد موته استمروا في خدمة ابنه (سيدي سعيد) ثم ابن هذا الأخير (سيدي بوكري) وبعبارة مختصرة كل أحفاده الى يومنا هذا .

بني جناد :

ان أول رجل جاء ليستقر في هذا البلد، هو عربي يسمى (جناد)، وكان قويا ذا ثروة هائلة، وكان معه اخوته ومجموعة من الفرسان تتكون من ثلاثمائة

فارس، استقر في مكان يدعى الآن « أبيزار » يقال ان « جناد » سمي هذا المكان تخليدا لأحد اخوته الذي كان يسمى « بيزر »، والذي قتل في جولة على يد الباي محمد كما سنرى فيما بعد.

وعند وصول « جناد » الى هذا البلد التحق به كثير من الاشخاص، واعلنوه رئيسا عليهم، وعندما هاجمه الباي محمد هزمه (جناد) وكبده خسائر كبيرة، وكعادة الباي محمد أرسل الى (جناد) رسائل اثبات تقضي بأن لا يدفع أي رسم ولا يقدم أي عمل للمخزن، مهما كانت طبيعته، وبانتصار (بني جناد) على الباي استطاعوا التمتع بالإعفاء الكامل الذي بقي يشملهم الى أيامنا هذه، وقد أعطى (جناد) اسمه للقبيلة التي يحكمها، والتي يقال أن أصلها من « يسر » ومن فرع « بني كعنون » هذا كل ما عرفناه عن هذه القبيلة.

زخفاوة :

ان أول رجل، جاء يحتل هذا الجبل كان يسمى « زريخفة »، ويتبدل حرف « غ » بحرف « خ » الذي نجده صعبا في النطق، يصبح اسمه « زريخفة »، وأخذت القبيلة التي يحكمها اسم « زخفاوة » ويقال ان أصل « زخفاوة » من حمزة (البويرة).

لم يهاجم الباي محمد هذه القبيلة لأنها انتصرت عليه حين حارب بني جناد، وهو لا يريد العودة الى هذا الجانب، لأنه يعلم بمساعدة الزخفاويين (بني جناد) في حربه، مما جعل الداوي ينظر اليهم كما ينظر الي (بني جناد)، كما أنهم معفون في رسائله التي وجهها لبني جناد، والتي تقضي بإعفائهم من التزامات المخزن، وهكذا نرى لماذا لا يدفع الزخفاويون الضرائب.

بني راتن :

أول من استقر في هذا الجبل كان يسمى « أورتعين »، وكان رجلا قويا كامل الطاقة وملك أموالا طائلة.

وقد أتى أناس من مقاطعات مختلفة، ليجتمعوا حوله ويخضعوا لسلطته، وبذلك أخذت هذه القبيلة اسمه الذي تم حذف حرف الواو منه لسبب إعطاء نعمة وأصبح بذلك « بني راتن ».

وقد سار الباي محمد ضد « بني راتن » حيث حاربهم ودفعهم الى غاية تيزي راشد، حيث كان يسكن الشيخ أعراب، شيخ إحدى المدارس التي كان يعلم فيها الفقه والشريعة الإسلامية، وعندما وصل الجنود بيته، خرج الشيخ ووقف على عتبة الباب، ومد يديه نحو الجنود الذين تم طردهم وملاحقتهم حتى الساقية، وبعد هذا التدخل الذي قام به الشيخ أعراب، والذي حصل بعده على النصر، أصبح « بني راتن » يخضعون كل الخضرع الى هذا القائد والى خلفائه، وعند عودته البائسة، كتب الباي محمد الى « بني راتن » رسالة قائلاً لهم : أنه لن يقوم بأي عمل ضدهم، كما أنهم لن يدفعوا أية ضريبة، ماعدا ضريبة تجارية سنوية لا تتعدى (50 ريال الصحاح) (أي 125 فرنك) هذا ما عرفناه عن بني راتن.

بني عيسى :

أول من احتل المنطقة التي يوجد فيها حالياً بني عيسى كان من أصل عربي من قبيلة أولاد سيدي عيسى، وقد تم تلقيبه بالعيساوي نسبة الى قبيلته، كما تم حذف حرف الواو للنعمة، ومنح اسم بني عيسى للقبيلة التي كان يحكمها. امتدت تسمية بني عيسى على المعاتقة، وبني زمناز وبني دواله وبني محمود، ومن بين هذه القبائل، هناك المعاتقة، وبني بوهينون التي كانت تدفع الضرائب، وتخضع لشروط المخزن لوجودهم قرب الساحل، أما بني محمود والسكان القاطنون في الجبال فلم يخضعوا ابدا لقيود الحكومة، ولم يدفعوا أية ضريبة.

بني يني - بني بودرار - وبني علي أو حوزون :

1- بني يني :

أول من أقام في هذه القبيلة كان يسمى « نايلي » نسبة الى بلده الأصلي، حيث كان ينسب الى قبيلة عربية « بأولاد نايل » وكان اسمه صعب النطق مما أدى الى حذف اللام الذي استبدل بالنون والباء في مكان حرف النون، وبعد هذا التغيير تم تسمية سكان القبيلة بني يني.

(2) - بني بودرار :

أول من أقام في هذا الجبل كان يسمى (بودارا) وتم إضافة « راء » ثانية الى اسمه الذي أصبح بودرار، وتمت تسمية القبيلة التي كان يحكمها باسمه الخاص، مسبقة بكلمة بني (أولاد) ويقال أن بودار من عرب (الزاب).

(3) - بني علي أو حرزون :

أول رجل حكم هذه القبيلة من أصل عرب التيتري وهو الملقب « بعلي أو حرزون » وقد قبل من جاوره الخضوع الى سلطته، كما أخذوا اسم علي أحرزون . لم يتجه الباي محمد الى هذه القبائل الثلاث والسبب يتلخص في الآتي : عندما قام بحملة ضد بني راتن، علم أن فيالق هذه القبائل الثلاث أتت لمحاربتة، كما وقفت أيضا مع أعدائه، وبذلك ضمهم الى من كانوا يتمتعون بالإعفاء، مثلما كان الحال بالنسبة لبني راتن، وسجلهم في سجل واحد فكانت هذه القبائل الثلاث معفاة من الضرائب ومن أعمال السخرة الحكومية.

بني يحيى :

أتى شخص يسمى « يحيى » من أصل عرب بني سليمان يقيم في هذا البلد، وأعطى اسمه للقبيلة التي كان يحكمها.

ايلولة :

يرجع أصل هذا الاسم الى أول إنسان أقام في هذا البلد الذي يقيمون فيه حاليا، واسمه « ملول » وقد حذف حرف الميم لتسهيل النطق ووضع مكانه حرف الألف مكسورا، وأصبح بذلك « ايلولة » الذي تحمله القبيلة المذكورة، ولم يوضع اسم (بني) قبله لأنه قد يكون ثقيلًا على السمع ويلول من أصل عرب « فرجيوة » الموجودة شرق سطيف. (1).

ويورد الباحث العديد من الملاحظات في النهاية عن أصل وتسمية بعض القبائل، والتغيير الذي طرأ على نطق أسمائها محليا..

(1) جريدة الشعب، نفس المرجع السابق.

ومن هذه الملاحظات قوله عن أصل ما يعرف في المنطقة بالمرابطين أو الأشراف فيقول :

« سنتحدث هنا عن مرابطي الزوايا مثل : شرفاء بني راقنون - شرفاء بهلول - شرفاء أو زريق في بني جناد ، وكل من يحمل اسم شريف في زوايا القبائل.

يقال أنهم كلهم من أصل غربي (أي من الغرب) ، فعندما يصل أحد علمائهم يستقر في القبيلة التي تعجبه ، يستقبله سكانها بإعجاب واحترام مطالبين إياه بتأسيس مدرسة يعلم فيها أهل القبيلة الواجبات الدينية ويتولى فض الخلافات التي تنشأ بينهم ، وكان الرجل الشريف جد محبوب لدى أفراد القبيلة نظرا لمعرفته الواسعة.

ولا يوجد في هذه القبائل معلمون غير الطلبة (العلماء) الذين استقروا حيث استقبلهم السكان بكل عناية وأحاطوهم بكل احترام.

فعندما يستقر طالب (عالم) في قبيلة ما كان أولاده وأحفاده يستقرون فيها نهائيا ، مع الاحتفاظ بالمكانة التي كان يحتلها آباؤهم وأجدادهم ، فكانوا ولا يزالون معترمين محترمين من طرف سكان القبيلة حيث يوجدون حاليا .»

ذلك هو الوضع - إذن - في بلاد القبائل الحالية ، بشهادة أحد الفرنسيين (المحتلين) أنفسهم ، ومهما يكن من أمر في احتمال المبالغة في وصف قساوة الحكم العثماني (التركي) إزاء الأهالي العرب المسلمين لأسباب وأغراض واضحة ومفهومة (...) فإن الحقائق المذكورة حول أسماء بعض القبائل وأصولها العربية أو الفارسية... هي حقيقة من حيث الرواية على الأقل ، أي أنها قد رويت للضابط الفرنسي ، ولم يكن لفرنسا - حينئذ - أية مصلحة في ذكرها ؟ بل العكس هو الصحيح حيث توجد مضرة بمصالح فرنسا (المحتلة) في ذكرها بالنسبة لتطور أساليب الاحتلال فيما بعد في أحكام قبضته الجهنمية على البلاد والعباد ، ومحاولة تزييب الشخصية وتأبيد الاحتلال الكامل للجزائر ترابا وشعبا ، بهدف ضمها النهائي الى فرنسا « الأم » كما سيتبين - ذلك - وبوضوح في الفصل اللاحق.

الفصل الثاني

بؤادر ظهور النزعة البربرية في عهد الاحتلال الفرنسي

بصرف النظر عن الارهاصات الأولى لهذه النزعة التي تعود الى أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن والتي بدأها المستشرقون والمبشرون ثم تولى أمرها بعض من تأثروا بأفكارهم من الأهالي ذوي الثقافة الفرنسية... إلا أن ظهور هذه النزعة كمحركة ذات طابع سياسي يعود الى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية (1946 - 1947) حيث اندفعت جماعة من الشبان الطلبة الى الانضمام الى الحركة الوطنية من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد احداث 8 ماي 1945 الرهيبة، والقمع الذي أعقبها في كافة انحاء الوطن ومن بينها بلاد القبائل بطبيعة الحال، وقد انضم هؤلاء الشباب بكيفية طبيعية وتلقائية الى حزب الشعب الجزائري و (، ح، أ، ح، د) كغيرهم دون أية شبهة أو فكرة مسبقة عنهم... إلا أن بعض هؤلاء الشبان المناضلين (ومنهم من كان على مستوى معتبر في سلم القيادة، نظرا لنيلهم حظا من التعليم مقارنة بغيرهم...) قد كانوا يخفون ايدولوجية مغايرة لإيدولوجية ومبادئ الحركة الوطنية في الصميم، حيث كانت هذه النواة (المزروعة) داخل الحزب تطالب بالبربرية للجزائر، مع رفض الانتماء العربي الإسلامي للشعب الجزائري، وهم بذلك لم يكونوا متأثرين بالأفكار والأطروحات الاستعمارية الفرنسية فحسب (والتي لقنوا اياها في المدارس الفرنسية) بل ايضا متأثرين الى حد بعيد بالإيدولوجية الشيوعية التي كانت في أوج عصرها الذهبي في ذلك الوقت، وكان لها تأثير عميق في أوساط الطلبة

المفرنسين (أي غير المتشبعين بالثقافة الوطنية العربية الإسلامية)، ويجدر التذكير هنا بأن الشيوعيين الجزائريين (شأنهم في ذلك شأن زعمائهم الفرنسيين) كانوا يعارضون مفهوم « الأمة الجزائرية » الموجودة والمكونة أصلا قبل أن توجد الأمة الفرنسية ذاتها...

وإذا كانوا يدافعون عن شعار « الأمة الجزائرية في طور التكوين » ابتداء من التعايش على نفس الإقليم لمختلف الفئات السكانية، (أو الجاليات): اليهودية، القبائلية، الميزابية، الشاوية، الإيطالية، المالطية، الأسبانية، الفرنسية، العربية... رافضين هكذا الثوابت الأساسية التي أقرتها أحزاب الحركة الوطنية بالإجماع كمبادئ مقدسة جندت من حولها الشعب الجزائري طوال سنوات المقاومة والكفاح ضد المحتل في كافة أنحاء الوطن، وهما: العروبة والإسلام.

ولقد كان الحزب الشيوعي (الجزائري) يتسم بالقوة نتيجة المساندة والدعم المباشر الذي كان يتلقاه من ملهمه وولي نعمته ومثله الأعلى ألا وهو:

الحزب الشيوعي الفرنسي « في الوطن الأم ». هذا الحزب الذي كان تعداده آنذاك قد وصل إلى مليون منخرط، وأكثر من خمسة ملايين ناخب و166 نائبا في الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان).

ونتيجة لهذا الهيلمان، والسلطان أصبح لمبادئه وأفكاره وأدبياته (التي تمجد انتصار الروس على النازية) رواج في الأوساط الشابة المثقفة بالفرنسية والمنتمية - جغرافيا - إلى بلاد القبائل، كما أشرنا، وكشاهد حي على هذا الموضوع برمته نترك القلم للمسيد بن يوسف بن خدة* ليخط مانصه: «... ولهذا ولع الشباب البربري بالماركسية، وكذا بدستور الاتحاد السوفياتي الذي مجد نظام الجمهوريات الإسلامية: أذربيجان، الأوزبكستان، طاجي كستان.. الخ، حيث كانت تؤكد أن كل شعب وكل عرق، كان يتمتع بلغته الخاصة، وثقافته الخاصة ويستفيد من « الاستقلالية » في تسيير شؤونه. وكنا نجد هذه الحججة غالبا عند الأشخاص الذين تحولوا إلى أنصار النزعة البربرية.

* الرئيس الثاني للحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية (1954 - 1962)

طبعاً لا يمكننا تجاهل وجود خصوصية قبائلية بالجزائر، حيث كانت منطقة القبائل فقيرة وكان سكانها يواجهون وضعية صعبة تحت ظل الاستعمار، فكانوا يستخرجون من أحجار جبالهم قوتهم، وكانوا يعملون نزاعاتهم بفضل الجماعة (جمعية العقلاء) وكانوا يطبقون قانون الشرف والأخلاق المستوحى من القيم الإسلامية قصد معارضة قانون فرنسا المستعمرة. وقد استغلت بعثات : « الأباء البيض » بؤسهم المادي وقامت بتجارب منظمة للتنصير : استقبال اليتامى، توزيع نجيلات عينية (الدقيق، التمر، الزيت، الخ... إنشاء مدارس دينية) ورغم ذلك فإن النتائج لم تكن في مستوى المجهودات التي بذلت مقارنة مع العدد النادر للقبائل المنصرين.

ولقد قدر أن منطقة القبائل كانت صالحة لاستقبال الحضارة الأوروبية، حيث كان التمدن متقدماً فيها مقارنة مع باقي مناطق البلاد، وهذا قصد تكوين نخبة مفرنسة، وكان هناك اعتقاد أن سلف القبائل روماني وحتى آري، وتاريخياً يعني أنهم أشد قرابة للفرنسيين، والادعاء بأنهم أقل اتساماً بميزة الإسلام مثل باقي سكان البلاد.

ونتيجة لتفاقم حدة البطالة، توجه عدد كبير من السكان إلى الهجرة إلى فرنسا أو الإقامة بمدن الجزائر، لممارسة مختلف المهن الصغيرة (خياطين، نجار، بائعين متجولين، موظفين بالإدارات، عمال، ملاك صغار) يوظفون بصفة عمال فلاحين في مزارع المستوطنين.

ولقد كانت منطقة القبائل حصناً منيعاً لأحزاب الحركة الوطنية على غرار بعض المناطق الأخرى مثل : متيجة، الجزائر، سكيكدة، عنابة، قسنطينة، وهران، الأوراس، وقد ساهم معظم ابنائها المهاجرين إلى فرنسا بفعالية في بعث نجم الشمال الإفريقي، وكذا حزب الشعب الجزائري.... مساهمين بذلك في إشعال هاتين المنظميتين حتى في فرنسا.

حاول أنصار النزعة البربرية بالجزائر التجنيد في الأوساط الطلابية بالجزائر (المدينة) ومنطقة القبائل، وعلى المستوى القاعدي لم يشرعوا في نشر أفكارهم، ولكنهم لم يتخلوا عن القبح في القسيادة من أجل هدم سلطتها

والتشكيك في النهج السياسي العربي الإسلامي الخاص بالحزب. وكانت أفكارهم تلقى الرفض أثناء المناقشات من طرف الأغلبية الساحقة لمناضلي الحزب لمذهبهم الذي يؤدي بالحزب والشعب الى التقسيم والتشتيت.

ويبدو ضروريا إدراج عاملين هاميين في سياق تكوين نوع من الوعي البربري :

أولا : ان أنصار الحركة البربرية هم من تكوين فرنسي محض، متذرعين بتحدثهم اللهجة القبائلية فقط في الوسط العائلي، وجهلهم شبه الكلي للثقافة العربية-الإسلامية.

ثانيا : خيبة العرب في فلسطين، ودورهم المحزن تجاه الدولة الإسرائيلية المفروضة عليهم، أحدث نوعا من رد الفعل السلبي تجاه العرب لدى بعض شباب منطقة القبائل.

وأول من دق جرس الإنذار هو أحمد بودة عضو اللجنة المركزية اثناء الاجتماع في ديسمبر 1948 ، الذي بلغ عن النزعة البربرية التي تعدت الأفكار الى الأعمال وحاولت التهيكل داخل الحزب نفسه... » (1).

هذا بالنسبة لخلفيات وجذور النزعة البربرية داخل الحركة الوطنية الجزائرية (أي داخل الوطن) أما عن علاقتها وامتدادها من وإلى فرنسا (الأم) فيقول ابن خدة عن ذلك ما نصه :

« لقد كانت أرض فرنسا المكان الصالح لأنصار النزعة البربرية الذين بدأوا نشاطهم هناك، ففي ربيع 1948 التقى بناي بودة رئيس المنظمة الوطنية لـ (ح. ش. ج. ح. ا. ح. د)، وتحدث معه عن طالب « بصدد البحث عنه » من طرف الشرطة، ويرغب في الالتجاء الى فرنسا قصد متابعة دروسه، وهو بحاجة الى أن يوصى به الى قيادة الفيدرالية. وفي الحقيقة فان هذا الطالب ماهو الا (محمّد علي يحيى) الذي سوف يكتشف لاحقا، بصفته محرّضا للنزعة البربرية بفرنسا.

(1) ابن يوسف بن خدة، جنود أول نوفمبر 1954 منشورات دحلب الجزائر 1989 ص 169 - 181 (من النسخة الفرنسية) (ترجمة المؤلف).

وبحسن نية، أعطى السيد بودة موافقة لهناي (وقد كان هذا الأخير مناضلا في الحزب ويخفي نزعته البربرية) وبهذا الشكل التحق محمد علي يحيى الملقب «برشيد» بفرنسا، حيث أدرج في المنظمة، والمعروف عليه أنه يتسم بالنشاط والجسارة إذ توصل إلى ارتقاء مراتب المسؤولية، حتى أصبح طرفا في اللجنة المديرية لفيدرالية فرنسا ل (ح. ش. ج - ح. ا. ح. د) وعندما انفجرت أزمة القضية البربرية في ربيع 1949، توصل إلى دفع اللجنة المديرية إلى انتخاب لائحة تدين، «خرافة الجزائر العربية الإسلامية».

وامام هذه المناورات تمردت القاعدة وأخبرت القيادة بالجزائر للاحتجاج ضد من يصفونهم بالعناصر «الملحدة» التي تحارب الإسلام والعروبة، وفور ذلك أوقدت القيادة السيد شوقي مصطفى إلى باريس وهو، «عضو» في المكتب السياسي في الحزب وصادق سعيدي، شخصية الحزب المعروفة بمنطقة القبائل. وفي عين المكان انضموا الموفدان من القيادة بمحمد خميد، وبلقاسم راجف، فاعترض سبيل الأربعة أشخاص من أنصار الحركة البربرية، الذين يتمتعون بنفوذ كبير داخل المنطقة فمنعهم من الدخول إلى القاعدة.

قدرت نسبة وحدات المنظمة المنشطة من طرف «رشيد» بـ 80 ٪، فكانت الصدمة ! وفي منطقة باريس كانت بعض فصائل الضاحية، أو المحافظات مثل كولومب، والضاحية الـ 19 والـ 20، يقطنها أساسا مهاجرون من منطقة القبائل الصغرى بالجزائر، كانت تعتبر نقاط ارتكاز للمجموعة الجديدة لإعادة تشكيل المنظمة المعككة، وفي المقاطعة، قاومت منطقة جنوب - شرق، بصفة فعالة ضربات أنصار الحركة البربرية بفضل بشير بومعزة بليون.

ولم يتم التوصل إلى هذه النتيجة إلا بعد المرور على محافظة تلو محافظة، وضاحية تلو ضاحية، ومدينة ومقاطعة تلو مدينة ومقاطعة، لإعادة جمع أعضاء الحزب، كهيكله الفصائل والقسمات وإعادة تشكيل فيدرالية فرنسا ل (ح. ش. ج - ح. ا. ح. د)، وقد استغرق هذا العمل ثمانية عشر (18) شهرا بدون انقطاع.

وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة الى نقطتين :

الأولى : الإسهام الإضافي والنهائي والحاسم لحل الأزمة التي لقيت الموافقة من أعضاء فرع طلبة الحركة الوطنية أثناء السنة الدراسية 1948 - 1949 ومن بينهم نذكر : مصطفى لشرف، عبد المالك بن حبيلس، علي مرداسي، محي الدين حفيظ، صغير مصطفى، محمد بن قطاق وتونسين هما الطاهر قيقية، ومصطفى لفيف.

وعلاوة على ذلك، كان يشكل هؤلاء الطلبة لجنة الصياغة للنجم الجزائري، لسان حال الفيدرالية.

الثانية: هي طبيعة النهج السياسي الذي يكون تبعا للنتائج المتحصل عليها، وكان يركز على مفهومين :

أولاً : تنفيذ، بدون لبس، للدعامة العرقية للحركة البربرية أو « الآرية » بدون إعادة النظر في المحتوى الثقافي البربري.

ثانياً : النداء الى الضمير الوطني لمعارضة هذا المذهب الهدام بتحقيق الانسجام والالتزام بدون غموض أو هوادة بالوحدة الوطنية.

ذلك أنه بظهور نزاع مثل الذي عشناه، فان الحركة البربرية تؤدي الى احداث شقاق في الحركة الوطنية للتحرير، والمستفيد الوحيد منها هو المستعمر الفرنسي.

ونتيجة لما سبق حكمت قيادة الحزب بطرد محمد علي يحيى وكل الذين شاركوا في العمل الانعزالي، وتضامنوا معه، وقررت الغاء جريدة النجم الجزائري.

وبعد إعادة التحكم في فيدرالية فرنسا، تأكدت قوة ومقدرة التنظيم لهذه الأخيرة في أول ماي 1950 بباريس عند تنظيم تظاهرة جماهيرية اكتسحت الكونفيدرالية العامة للعمال وأعطت الفرصة للجزائريين للقيام بعرض بعلمهم تحت قيادة (ح.ش.ج - ح.ا.ج.د) وفي الجزائر اعتبر الشيوعيون ذلك العرض مبكرا ويمكن أن يصل (ح.ش.ج - ح.أ.ج.د) الى الانفجار.

لقد كانت القيادة على علم بالأفكار التي نشرها أنصار الحركة البربرية، ولم تقدم بعد على اتخاذ أي قرار، حتى حصلت على دليل مادي للمؤامرة التي حيكت، بفضل الحصول على رسالة مرسلة من السجن المدني بالجزائر من عمر أوصديق إلى بني، والتي سقطت في أيدي القيادة، وبذلك اكتشفت وجود «حزب الشعب القبائلي» (ح.ش.ق) الذي تهكل داخل (ح.ش.ج - ح.ا.ح.د) وقد كشف التحقيق منشط هذا العمل التقسيمي وهم : والى بني، عمر أوصديق، عمار ولد حمودة، صادق هجرس، فعوقبوا ليس على أفكارهم المسموح لها إلى حد ما، ولكن على مؤامرتهم التجزئية. وقد التحق معظم المطرودين بالحزب الشيوعي الجزائري منهم صادق هجرس الذي أصبح أحد قادته... (وما يزال إلى اليوم قائده ١).

لم ينل نشاط أنصار الحركة البربرية موافقة الجماهير . ففي القبائل، من بين اثنتي عشرة قسمة أصبحت واحدة فقط، وهي عين الحمام (بلدية آيت أحمد) منطقة نفوذ لولد حمودة، وبقي الوضع على حاله لمدة سنة أو أقل.

والمعروف أن الثقافة والتحدث بالقبائلية كان مسموحا بهما داخل الحزب... والدليل على ذلك أن خطباء نجم الشمال الإفريقي، حزب الشعب الجزائري، أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية كانوا يستعملون القبائلية في خطبهم، أو حتى في الأغاني والأناشيد الوطنية التي تثير الحماسة والنشاط داخل اجتماعات المناضلين أو تجمعات الجماهير.

وكانت تسود روح أخوية جميع المناضلين، بغض النظر عن الأصل، أو الجهة وحتى الذين لا يتكلمون القبائلية رغبوا في تكلمها، بدون أية عقدة أو نيات غير بريئة.

وكان القبول بالثقافة أو الكلام بالبربرية، بشرط عدم إعادة النظر في المبدأ (العربي - الإسلامي)، الدعامة الإيديولوجية للحزب، فالنشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري : فداء الجزائر، الذي كان ينشده كل المناضلين، كتب من طرف جزائري ميزابي (من بني ميزاب) المرحوم مفدي زكريا. وهذا لم يمنع

من التأكيد على أن القصدية أو مسعى الكفاح الوطني هو الاعتراف باللغة العربية في الجزائر المحررة.

وفيما يتعلق بعبارتي « الجزائر العربية »، و« الجزائر الفرنسية » فضل انصار الحركة البربرية عبارة « الجزائر الجزائرية » التي لا يعني محتواها أي شيء. فهل يدعو الفرنسيون الي « فرنسا الفرنسية » أو الألمان الي « ألمانيا الألمانية » ؟ فشعار « الجزائر الجزائرية » لا يمكن فهمه الا أنه محاولة لازالة الشخصية العربية - الإسلامية للجزائر.

ان رد فعل قيادة الحزب بمعاينة محرضي انصار النزعة البربرية، كان سريعا وقويا ومبررا، لأنه لا تسمح اية قيادة لنفسها بوجود مجموعة منظمة داخل حزبا تختلف ايدولوجيتها مع المذهب الرسمي ؟!

وكان يهدف المكتب السياسي من وراء اتخاذ تلك الإجراءات الى تفادي التقسيم، الذي كان الاستعمار يغذيه باستمرار، في الوقت الذي كان الحزب بأكمله مجندا لتطبيق قرارات زدي* : تدعيم المنظمة السرية من حيث التعداد والأسلحة، الاتصال بالقادة التونسيين والمغاربة والقادة العرب بالقاهرة، من أجل مساعدة ملموسة للمقاومة المسلحة (ماليا وماديا).

فكيف كان موقف حسين آيت أحمد الذي اشتبه به لكونه العقل المدبر لأنصار الحركة البربرية ؟ ومن أجل اختبار نواياه، أوفدت له القيادة شخصين من أعضاء الحزب هما : أحمد بودو وحاج محمد شرشالي اللذين جمعتهما وأياه لقاء. فرد آيت أحمد بالعبارات التالية : « هذه مناورة من طرف القيادة ضد مسؤولي القبائل ». فكان أمام موقف حرج لمساندة أو اعتراض انصار الحركة البربرية. فطلب مدة للتفكير لتحقيق في القضية، وتوجه على أثرها الى منطقة القبائل، وأثناء عودته صرح لنفس المندوبين « ما أكدقاه لي صحيح، ولذا سأفصل عن هذه العناصر (أي أنصار الحركة البربرية).

★ اسم قرية تقع في ولاية عين النطلي بغرب الجزائر (تبعد بحوالي 150 كلم من العاصمة) انعقد بها المؤتمر (حزب الشعب، حركة الانتصار سنة 1947)

ورغم هذا الإنكار، بقيت الشبهات تلاحقه، وكان آنذاك المسؤول الوطني للمنظمة السرية والمكتب السياسي وكان لا بد من عدم الإبقاء عليه في منصب حساس، ولكونه كان من العناصر التي تبحث عنهم الشرطة الفرنسية، وحفاظا على أمنه بالجزائر، فارسلته القيادة الى القاهرة حيث انضم الى مندوبي الحزب: الشاذلي مكي ومحمد خيدر « ويضيف المؤلف مؤكدا (1) بقوله : « ولقد أكدت أحداث ما بعد الاستقلال بوضوح فكرة رأيه في سلامة وحكمة موقف القيادة من أبعاد السيد آيت أحمد، وشبهات القيادة تجاهه وذلك من خلال كتابه «مذكرات مكافح» (صدر بفرنسا سنة 1983) حيث كتب يقول : (والكلام هذا للسيد آيت أحمد منقول بنصه في كتاب ابن خدة).

« الى الشباب المبتدئ في المطالبة باللغة البربرية الذين يلوموننا على عدم تمكننا وعدم معرفة طرح المشكل اللغوي بهذا المؤتمر (مؤتمر حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية) لفيفري 1947. ولقد أوضحت بأننا لم نتهاون في القيام بذلك. لكن البربرية نعيشها. ولو كان للحزب سلطة ملموسة لطلبنا بحق كتابة وتدريس اللغة البربرية...

ولو وجد مجال لمناقشة هذا المشكل داخل الحزب في ذلك العهد لأدى الأمر الى رد فعل عنيف من طرف الأغلبية المعربة المتطرفة... » (2).

ويؤكد هذه الحقائق المؤرخ الجزائري الدكتور ناصر الدين سعيدوني في بحث مطول له بعنوان « جذور المد الشعبي في الجزائر » جاء فيه ما نصه:

« كانت الخطة الفرنسية تهدف الى إيجاد تيار جزائري في مظهره وأصوله، فرنسي في قناعاته وتوجهاته، فهو يرفض مقولة الجزائر فرنسية بحكم الواقع ولكون المعمرين لا يسمحون بذلك حتى لا يشاقسهم جزائريون في امتيازاتهم التي كانوا يحظون بها، كما أن هذا التيار أيضا لا يسلم بفكرة الجزائر العربية الاسلامية، باعتبارها لا تعبر عن طموحهم ولا تتماشى مع انتماءاتهم وقناعاتهم، وقد استطاع هذا التيار الذي ظهر ناطقون باسمه في الجزائر، أن يستقطب في منطقة بلاد القبائل بالخصوص جماعات من الشباب نشأت في احضان المدارس الفرنسية، ذات التوجهات اللاتينية، وترعرعت بتوجيه من القائمين على الادارة

(1) و (2) يوسف بن خدة نفس المرجع السابق.

الفرنسية ١ وقد استطاع بعض الأفراد من هذه الجماعات أن يتسرب الى الساحة الجزائرية وأن تخترق الجناح الاستقلالي للحركة الوطنية التي كان يمثلها آنذاك حزب الشعب الجزائري، وقد تسبب ذلك فيما يعرف بالأزمة البربرية لحزب الشعب سنة 1949، هذا، وكما هو معروف أن هذه الأزمة التي تعكس توجهات السياسة الفرنسية في المجال السياسي، بدأت في شكل تحملل وثورة على موقف حزب الشعب من مجازر 08/ماي/1945 وما أصدرته قيادته من قرارات وتوجيهات متضاربة، ثم تحول القلق الى بحث في الذات والهوية بفعل الواقع الثقافي الذي أوجده الاستعمار، ومع نشاط مجموعة من المنتسبين الى اللجنة الفيدرالية لحزب الشعب، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية في فرنسا (1946 - 1948) وعلى رأسهم أحد الطلاب الجامعيين وهو محمد علي يحيى (المدعو رشيد) أصبحت الحركة ذات توجهات عنصرية، وقناعات جهوية وميولات شيوعية معادية لمبادئ الحزب ومتنافية ووحدة الشعب ومدمرة لتعاسك العمال الجزائريين في المهجر، وقد استطاعت قيادة حزب الشعب آنذاك أن تضع حدا لهذا التوجه الخطير الذي كان يتنافى ومبادئ وقرارات الحزب، وذلك بطرد الداعين له، والتشهير بهم، رغم أن العمل ككل بالنجاح، ووضع حد لهذه الأزمة الا أن خلايا الحزب فقدت العديد من انصارها النشطين وتسببت في تصدع كاد أن يذهب بوحدة الحزب، وقد وصف التقرير العام للجنة المركزية في المؤتمر الوطني الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد في الجزائر 4/6/1953، هذه القضية بما نصه « أن الحزب اصطلح بمعضلة داخلية خطيرة وهي النزعة البربرية التي هي انحراف تعسبي ملون بالصيغة العنصرية والنزعة الشيوعية، وعمل طائفي يرمي للتخريب والتمرد المكشوف على الحزب.. والبربرية يمكن أن تبقى سلاحا في يد الاستعمار مادام الاستعمار قائما ».

هذا وقد اضطر انصار هذه الفكرة بعد طردهم من صفوف الحزب وفشلهم في تكوين تنظيم خاص بهم عرف (بحزب الشعب القبائلي) أن يستعدوا عن الساحة الوطنية، وأن يندمجوا في الحزب الشيوعي الجزائري، بينما واصلت الحركة الوطنية مسيرتها بمنطقة القبائل، وباقي أقاليم الجزائر لتنتهي باعلان الثورة

التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 لاسترجاع المقومات العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وقد كان للبطل المجاهد عميروش مواقف وأعمال خالدة في محو بقايا هذه الترسبات في المنطقة بأكملها»⁽¹⁾.

وعن هذا الموضوع أيضا يقول أحد الباحثين الجزائريين المهتمين بالموضوع، والمعاصرين للأحداث، وهو الدكتور عثمان سعدي في دراسة له: «... لقد تعلم أتباع النزعة البربرية... على أيدي فرنسيين، وعلى أيدي الآباء البيض، فغرسوا في نفوسهم كرههم لكل ما هو عربي وعلموهم بالفرنسية (أن العرب غزاة وأن العربية لغة غازية وأن البربر جرمان هاجروا من أوروبا) ليبرروا (فرنسة الجزائر وفرنسيتها) قبل 1962، وقد بلغت هذه الحملة المسمومة أوجها سنة 1948 عندما اكتشف الوالي الفرنسي الأسبق بالجزائر (شاتينيون) أن قوة حزب الشعب الجزائري خطر على فرنسة الجزائر، فقرر تدميره من الداخل، وذلك بـث النزعة البربرية في صفوفه بواسطة عملائه وبرز بالفعل تنظيم داخل الشعب تحت سم (حزب الشعب البربري)

لكن قادة الحزب من القبائل قاموا بتصفية العملاء جسديا خلال أشهر قليلة وكنا مناضلين في صفوف حزب الشعب فصدرت لنا التوجيهات بمحاربة هذه الفكرة الشريرة...

وأحس كل جزائري بخطورة هذه النزعة المدمرة التي اهتموها (شاتينيون) فتصدوا لها حتى من خارج حزب الشعب، فكتب الشيخ البشير الإبراهيمي مقاله الرائع (عروية الشمال الإفريقي) الذي نشرته صحيفة البصائر سنة 1951 ومما قال فيه: «من أباطيل الاستعمار أنه يسمى السوداني المتجنس بالجنسية الفرنسية ليومه أو لساعته فرنسيا، ويلحقه بنسبه ثم ينكر على البربري، - مثلا - أن يكون عربيا، بعدما مرت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرنا وزيادة، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلا من أجداده على الاستعراب، لا يعرفون الا العربية لغة يتكلمون بها ويتأدبون ويتعبدون، فليت شعري أيهما أقرب الى الواقع: البربري المستعرب أم السوداني المتفرنس؟ وأيهما أنفد؟ احكم الله، أم حكم الاستعمار»⁽²⁾ (ونلاحظ أن الشيخ البشير الإبراهيمي يسمى البربري عربيا...).

(1) جريدة الشعب ليوم 19/2/1990.

(2) جريدة: الشعب ليوم 8/5/1989.

ويستشهد الباحث بالمواقف الوطنية الرائدة لأقطاب وادي ميزاب
البربر الأحرار الذين عرهم الإسلام فيقول : « كما نشر أحد شعراء
الحركة الإسلامية بوادي ميزاب وهو (عيسى حمو النوري) قصيدة نشرها في نفس
السنة بالبصائر جاء فيها :

للشرق أي من جمال خالده	تغنوا لها في العالم الأقطاب
من رائحات الشرق ببووض الخدي	نسل الشمال وانجبت ميزاب
والعبقريه من فضائل نبتة	أن رجعت لأصولها الأعشاب
ودم العروبة في العروق مراحل	تغلي وتومض تحتها الأنساب
أعجب بما قال المهر منلة	إن المهر ساجد لها ذاب ⁽¹⁾

وإذا كانت البلاد المغربية اليوم مقسمة الى أقطار بحدود سياسية.. فإن
استعمارها كان واحدا، ونظرا لأن هذه (الشعوب) اليوم هي شعب واحد في
الحقيقة، فقد انتهج معها الاستعمار الفرنسي نفس الطريقة والأسلوب تقريبا،
وعن ذلك يقول الأستاذ المهدي بنونة (من المغرب الأقصى) في بحث له بعنوان :
« الظهير البربري بوابة للتنصير » مانصه بالكامل كشاهد حي لما وقع في الجزائر
حيث قال: « كان صدور الظهير البربري عام 1930 إيذانا ببداية تصدع المد
التحرري في المغرب وتأطير الحركة الوطنية المغربية، لقد أرادت سلطات الحماية
أن يكون صدور الظهير البربري مدخلا لتقسيم المغرب الى عرب يقيمون في المدن
وبربر يقطعون الأرياف والبادي، على أن يتم في مرحلة لاحقة الغاء الشريعة
الإسلامية بالنسبة للتقاضي بين أفراد القبائل البربرية، ومن ثم الغاء المحاكم
الشرعية وإنشاء محاكم مدنية تطبق الأعراف البربرية القديمة.

وبذل الفرنسيون جهدا مضنيا في البحث عن هذه الأعراف في الكتب
التاريخية القديمة وأعادوا صياغتها تمهيدا لتطبيقها، لتحل محل القوانين التي
تعتمد على الدين الإسلامي، وفي خطوة لاحقة وطبقا للمخطط الذي وضعه
الفرنسيون بمنع تعليم القرآن لأبناء البربر وذلك يعني تلقائيا تعلم اللغة العربية..
ثم تتوج العملية بتنصير أطفال البربر.. ما أمكن ذلك.

(1) نفس المرجع السابق ذكره .

وبالفعل شرع الفرنسيون في فتح مدارس تاهعة للكنيسة في البوادي والقرى والمداشر وقد شيّدوا عشرات الكنائس، وكان ذلك الاتجاه يعوزه المنطق إذ لا يعقل في بلد مسلم كالمغرب لا توجد به الا نسبة قليلة من الأجانب أن تشيد كل تلك الكنائس وان تنتشر هذه الكنائس في القرى والمدن والمداشر النائية والى جانبها المدارس التبشيرية وأديرة الرهبان والراهبات، وفطن المغاربة لهذا المخطط الذي يهدد في الواقع كيانهم الإسلامي العربي.

كان المخطط يرمي الى إشعال نار الفتنة بين العرب والبربر والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا ؟ الإجابة بسيطة وسهلة : كانت فرنسا تسعى لإدماج المغرب في فرنسا وهي كذلك حاولت بالنسبة للجزائر، ولم يكن ذلك متاحا الا بالقضاء على العروبة والإسلام في هذين القطرين.. وكان الفرنسيون على اقتناع أنه لا يمكن أن يكون هناك « فرنسي مسلم » ولا تنسى أن فرنسا هي أحد مراكز المذهب الكاثوليكي في أوروبا.

جاء رد المغاربة على صدور الظهير البربري قويا وعنيفا، ومن مؤشرات اخفاق اللعبة الاستعمارية أن القبائل البربرية كانت أول من انتفض ضد ذلك الظهير المشؤوم، فقد حدثت ثورات تناهض الظهير البربري في آيت حمو وفي إقليم وجدة وإقليم تافيلالت الذي يعرف الآن بإقليم الرشدية، وفي الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والرحمانية ومراكش وناحية آيت شغروشن وخنيفرة وخريبكة وعلى طول وادي أم الربيع وجاء رد الفعل قويا جدا في فاس.

الآن سنرى أن فرنسا انزعجت كثيرا من ردة الفعل ضد الظهير البربري واططر رئيس فرنسا آنذاك « دومبرغ » الى زيارة المغرب ليقف بنفسه على تطور الأوضاع. أعدت سلطات الحماية الفرنسية استقبالات ضخمة للرئيس الفرنسي لتغطي بها ما حدث، إلا أن الشعب عبر خلال الزيارة عن حقيقة ما يجري، وكتب أهل مدينة فاس رسالة لدومبرغ وقعها مئات المواطنين يعبرون فيها عن سخطهم على مؤامرات سلطات الحماية، ووصلتنا في المشرق العربي نسخة من تلك الرسالة فقمنا بنشرها على أوسع نطاق، كما وصلت نسخة منها لرفاقنا في باريس وترجمت الى الفرنسية، لم تتراجع ولم تتخذ قرارا بالغاء الظهير البربري،

والمفارقة أن هذا الظهير لم يبلغ وقي على الورق حتى بعد حصول المغرب على استقلاله، وهناك قوانين كثيرة صدرت في عهد الحماية ولم تلغ إلى حد الآن، رغم أن العمل بها لم يعد جاريا، صدر الظهير البربري في 16 ماي 1930 وكان يوم 16 ماي يوم حزن في المغرب في كل عام، وكان كذلك يوما يضرب فيه الناس عن العمل ويعتصمون بالمساجد بعد صلاة العصر ويقرأون « اللطيف » وهو دعاء معروف بالمغرب يقول : « اللهم باللطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، فلا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر ثم تكرر كلمة باللطيف آلاف المرات.

اعتبر الفرنسيون هذا الدعاء بمثابة تعبئة سياسية ضدهم، لذلك منع الناس من ترديد دعاء اللطيف خاصة يوم 16 ماي « (1).

(1) منبر الفاريج، جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1990/2/26

الفصل الثالث

الخلفيات... والأهداف القريبة و البعيدة للحركة البربرية

لقد ظهرت الحركة البربرية الى الوجود بفعل خطة فرنسية بعيدة المدى شرع في وضعها باتقان علي غرار بروتوكولات « حكماء صهيون » ليسير نشاطها بالتوازي مع محاولة الجزائر لتحقيق التعريب، وأسترجاع السيادة الوطنية بعد الاستقلال، فهي تظهر في الواقع وتختفي بكيفية طردية مع محاولة الدولة الجزائرية لتحقيق التعريب في البلاد على طول امتداد سنوات (الكفاح التحريري) من أجل الاستقلال التام (...)

والمتنبع لهذه الحركة منذ نشأتها سنة 1949 واستئصال جذورها من جسم الحركة الوطنية في ذلك الوقت... * ثم تجديد بعثها بقوة، بتأسيس الأكاديمية البربرية في باريس سنة 1967 بمباركة وتمويل وتخطيط فرنسي وتنفيذ محلي (جزائري) تحت أقنعة متنوعة، وبوسائل متعددة تهدف جميعها الي تحقيق مخطط واحد ذي مراحل متلاحقة ومتراصة كحلقات في سلسلة واحدة، بدايتها في باريس ونهايتها خافية على الكثير من الأذهان، مما يستوجب كشف أهم الأهداف الاستراتيجية (الفرنسية) المستترة وراء الشعار الثقافي لهذه الحركة، والتي يمكن حصرها فيما يلي :

* أنظر الملاحق.

أولاً : القضاء على الأساس الأول للهوية الوطنية المتمثل في سيادة اللغة العربية التي تمثل الفاصل الوحيد بين الجزائر العربية المسلمة والجزائر « الفرنسية المسلمة » أو « الجزائر الجزائرية » وهي الطبعة الجديدة « للجزائر الفرنسية » والتي أبطلها المفاوضات الوطني في اتفاقيات إيفيان (سنة 1962) بالنص الصريح على « الشعب الجزائري العربي المسلم » الموحد، ولا وجود للشعب العربي الموحد، بدون لغة عربية وحيدة وسيدة... على غرار اللغة الفرنسية الوحيدة والسيدة في المجتمع الفرنسي، اللاتكي، والمفروضة على الجزائريين (الفرنسيين) هناك.

ثانياً : القضاء على أهم عنصر في تحقيق الانسجام الثقافي الذي يكون نسج الشخصية الوطنية لأمة في العالم.. ألا وهو عنصر اللغة، لما له من علاقة عضوية بالفكر والشعور والثقافة بكل جوانبها المادية والفكرية والروحية، والسلوكية والعلمية.

ثالثاً : القضاء على الوحدة الوطنية للمجتمع الجزائري العربي المسلم، باصطناع « لغة ثانية » ذات سيادة كلية أو جزئية على التراب الوطني، منافسة للغة الوطنية والرسمية الوحيدة في الدستور، وهو يعلم، أن لا وحدة وطنية بدون وحدة لغوية، في أي قطر من اقطار العالم على الإطلاق، والدليل على ذلك رفضه المطلق (حتى الآن) الاعتراف باللغة البروطانية (في مقاطعة بروطانيا الفرنسية) كلغة رسمية، التي جانب الفرنسية في فرنسا الأم، مع العلم أنه سيعترف في السنوات القليلة القادمة باللغة البروطانية كلغة رسمية في المقاطعة، أو في فرنسا كلها، ليس حبا في تمزيق فرنسا، ولكن كرها في استقلال الجزائر ووحدتها الوطنية (؟) والدليل على ذلك هو أن فرنسا قد اعترفت للغة « البروطان » بالتدريس في المدارس المحلية سنة 1981 (أي بعد أحداث تيزي وزو 1980).

رابعاً : العمل على إرغام الدولة الجزائرية على التخلي عن مخططاتها التعريبية... لاسترجاع سيادتها اللغوية (الدستورية) بإشعارها "بتهديد" الوحدة الوطنية، من قبل المناوئين لوحدة السيادة اللغوية الوطنية، والإيعاء للدولة بالحل الجاهز.. وهو الإبقاء على سيادة اللغة الفرنسية، في القطاعات الاستراتيجية

الهامة (الإدارية والاقتصادية والعلمية والإعلامية والعسكرية...) على غرار ما هو واقع لدى بعض الشعوب (في إفريقيا) التي لم تكن عندها لغة وطنية مكتوبة قبل أن تعرف الحروف اللاتينية، عن طريق الاستعمار اللاتيني، بخلاف (الأمة) الجزائرية الموحدة اللغة والدين قبل أن توجد فرنسا واللغة الفرنسية ذاتها !

خامسا : الضغط على الدولة الجزائرية لإرغامها (بواسطة اللوبي المصنوع لهذا الغرض في الجزائر المستقلة) على الإقرار بالنتيجة الحتمية لهذا الاختلاف (اللغوي - العرقي) المصطنع، بين الفصحى، واللهجات العامية (العربية والبربرية) والإبقاء على سيادة اللغة الفرنسية (جزئيا أو كليا) لتأبيدها في البلاد، كمنقذ أو كعامل توحيد (محايد)، على غرار ما هو واقع في البلاد الإفريقية... أو على الأقل خلق وضع ازدواجي خطير داخل الوطن، على غرار ما هو قائم منذ ما يقرب من قرنين في بلجيكا، وكندا، وسويسرا، حيث تتقاسم اللغة الفرنسية السيادة الوطنية مع لغات أخرى داخل المجتمع الواحد، مما جعل هذه البلدان تعيش في صراع قومي مدمر أفقدها صفة الأمة الواحدة، وجعلها عبارة عن دول مشتتة الولاء بين قوميات متناحرة الى الأبد، ولا بديل للتناحر سوى الإنقسام، إن أجلا أو عاجلا (1) ؛ ؟

سادسا : النتيجة الحتمية الأولى للدعوة الي ترسيم إحدى اللهجات البربرية، دون غيرها إن تحقق.. هي تدمير الروح الوطنية، وتشويش الولاء لوحدة الأمة المحمدية الواحدة، وذلك بمضاعفة عوامل الكره والاختلاف بين الناطقين باللهجات البربرية الأخرى داخل الوطن من جهة، ومن جهة أخرى سينجر عن هذا الانزلاق الأولي الخطير الحق في مطالبة كل جهة من جهات الوطن بترسيم لهجتها هي على الساحة الوطنية، أو على الأقل في رقعتها الجغرافية، ويتحقق حلم فرنسا في تفتيت وحدة الوطن وتشكيل دولة الولايات الجزائرية غير المتحدة !

(1) أنظر كتابنا : التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف؟، منشورات دطب (الجزائر).

سابعاً : النتيجة الحتمية الثانية لترسم إحدى اللهجات، أو كل اللهجات البربرية المنتشرة داخل الوطن... وعددها أكثر من 10 لهجات، هو وضع الحاجز النفسي الرهيب بين الناطقين باللهجات البربرية، فيما بينهم، كل على حدة، ثم بينهم مجتمعين، وبين الناطقين باللهجات العامية العربية، في كافة أنحاء التراب الوطني، كقوميتين متناقضتين على غرار واقع الأكراد المسلمين، والعرب المسلمين في العراق (العلمانية...) وفي هذه الحالة لا يقبل الطرفان المتصارعان لغوياً إلا البديل المحايد، أو «الصديق المشترك» المتمثل في اللغة لفرنسية، عوض العدو المشترك (المتمثل في العربية الفصحى) التي تنفي سيادتها على التراب الوطني (في اعتقادهم) صفة (الجزائر الجزائرية) وحينئذ يتحقق الهدف الحتمي الثالث...

ثامناً : الهدف الثالث حينئذ سيكون، الدعوة (المنطقية) المشروعة الى ترسيم اللهجات الجزائرية المنحدرة من العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية، على غرار ما وقع للغة الفرنسية ذاتها في القرن (16 م) حيث انفصلت (كلهجة) عن اللاتينية لتصبح لغة علم وتكنولوجيا وسيادة داخل التراب الفرنسي الموحد، وخارجه من الأقطار المستعمرة، وبذلك يتزاح أكبر عامل للوحدة الوطنية في الجزائر، وأكبر عائق أمام سيادة اللغة الفرنسية في هذا البلد وهي اللغة العربية الفصحى لغة الحضارة ولغة الدين والدنيا ولغة المجتمع الجزائري منذ عرف الإسلام، ولم يرض عنها بديلاً - رغم فرض اللغة الفرنسية عليه بكل الوسائل في أحلك أيام الاحتلال وما يزال - حتى الآن.

تاسعاً : تحقيق أكبر انتقام من شهداء وحدة الأمة بتمزيق شخصيتها ثقافياً، وتحطيم وحدتها سياسياً، والانتقام من جوهرها روحياً وعقائدياً بالقضاء على لغة الإسلام الوحيدة والموحدة، وتعويضها بترسيم اللهجات الوطنية العامية لتظل الى الأبد أشباحاً باهتة اللون والطعم والرائحة أمام جبروت اللغة الفرنسية، التي أريد لها (بعد الاستقلال) أن تظل جزءاً من شريان الحياة اليومية للمواطن الجزائري، باستثناء ما يتعلق بممارسة الشعائر الدينية في دور العبادة، وهو ما لم تقض عليه فرنسا ذاتها طوال وجودها المادي في البلاد ؛ مع العلم أن اختلاف

الطوائف الدينية في الأمة الواحدة (رغم خطورته) يمكن تجاوزه سياسيا بتطبيق مبدأ العلمانية، كما هو الشأن في فرنسا ذاتها... لكن الاختلاف اللغوي المتجذر بين أفراد الأمة الواحدة لا حل له سوى تشتت الولاء وتقسيم الأمة الواحدة الى عدد من الأمم والقوميات، بتعدد اللغات الرسمية المستعملة، لأنه لا علمانية ولا تعايش أخوي، ولا تقاسم للسيادة على نفس الأفراد، في اللغات المكتوبة والمرسمة، على الإطلاق⁽¹⁾.

مباشرا : الانتقام الفرنسي من الانهزام الساحق أمام المفاوض الوطني في اتفاقيات إيفيان، فيما يتعلق بفرض وحدة الشعب الجزائري العربي المسلم، ورفض البقاء للكولون (المعمرين الفرنسيين) في الجزائر، مع المحافظة على حقوقهم الفرنسية (الدينية واللغوية) وذلك مخافة صنع (بركان لبناني دائم الفوران)⁽¹⁾... ولكن ما لم يحققه فرنسا من نافذة إيفيان تحاول اليوم أن تحققه بصنع لبنان آخر (لغويا ودينيا) بواسطة (الكولون الجدد) من ذوي الأصل الجزائري (الجغرافي) والجنسية الجزائرية (الورقية)، وإذا كان لبنان اللغوي قد بدأ يأتي ثماره المرة المتثملة في محاربة اللغة العربية لحساب الفرنسية في بعض مناطق الوطن ومؤسسات الدولة... فإن السنوات القادمة ستشهد ظهور لبنان المسيحي أيضا، لتكتمل الدائرة التي لا مخرج منها، حيث سيدخل بعض المواطنين (نتيجة عوامل كثيرة) في المسيحية، ليس حبا في المسيح واقتناعا به، وإنما كرها في دين محمد العربي المسلم !! وهكذا نرى أن الحركة البربرية في الجزائر الى جانب كونها حركة استعمارية، مرتبطة مباشرة بفرنسا والحركة الصهيونية الهدامة لوحدة الشعوب، تتخذ استراتيجية شبيهة باستراتيجية (الفلاماندي) في بلجيكا سنة 1830 فيما يتعلق بالأساليب المتبعة⁽²⁾ في نشر اللهجة البربرية كلغة كتابة وقراءة.. وتتبع أسلوب جماعة «الباسك» في إسبانيا، من ناحية محاولة استعمال العنف، وتعميق الهوة مع السلطة ممثلة الأغلبية، وافتعال الأسباب الواهية لتهويل الوضع... مستغلة كل منفذ للتسلل، الى بث الفوضى القسوى في البلاد⁽³⁾.

(1) انظر : ابن يوسف بن خدة، مفاوضات إيفيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1987 .
(2) انظر، كتابنا العصب والصراع الديني والعربي واللغوي لحدا وكيل، مرجع سبق ذكره.
(3) انظر : كتابنا العصب والصراع الديني والعربي واللغوي لحدا وكيل، مرجع سبق ذكره.

كما أن لأعضاء الحركة حججا شبيهة بحجج الأكراد في العراق وإيران وتركيا لكونهم مسلمين، لكنهم يختلفون في نظرهم - عن العراقيين والإيرانيين والأتراك بصفات (لا دينية) يبررون بها مطالبتهم بالحكم الذاتي الذي يعتبر مرحلة أولى للاستقلال التام عن الدولة الأم^١ (أنظر تصريحات زعيم حزب جبهة القوى الاشتراكية في التلقزة الجزائرية في يناير 1990 عما يسميه بالجهوية المليحة...).

مع الإشارة الى أن العديد من المفكرين (الشيوعيين والعلمانيين عموما، حتى من غير العارفين بالبربرية) متعاطفون الى حد بعيد مع الحركة البربرية، وعثلون العمق (الاستراتيجي) لها لكونها تستهدف على المدى القريب : القضاء على المساعي الجادة لتحقيق التعريب في البلاد، وقد أثبتت لنا الأحداث الراهنة أن في الجزائر (لوبي) فرنسيا متناميا مع الزمن، تعتمد إليه فرنسا (الأم) كلما رأت أن إحدى (مقدساتها) مهددة في البلاد، وهذا (اللوبي) مكون من عناصر الحركة البربرية كنواة، ومدعم من طرف كل الرافضين للتعريب من المتفرنسين، حتى ولو كانوا من مناطق أخرى من الوطن. فالهدف الآن للجميع هو (محاربة التعريب ١١) بدليل أن الشعار المرفوع الآن هو إحياء الثقافة الشعبية وتعني (في مفهوم زعماء الحركة...) كل ما ليس بإسلامي ولا عربي، وعلى رأسه اللغة البربرية المندثرة كنفة تراث مكتوب منذ ما قبل الفتح الإسلامي، فهم يطالبون بإحياء هذه اللغة، وترسيخها في المدارس، وجعلها لغة إعلام وإدارة، وهذا المطلوب عند التساهل فيه وتحقيقه، معناه القضاء على الوحدة الوطنية، وإرجاع الاستعمار الفرنسي (مع سبق الإصرار). وما يؤكد تحالف غلاة المتفرنسين في كل أرجاء البلاد مع الحركة البربرية (لكون الجميع يستهدفون التعريب والإسلام...) هو المطالبة بنشر اللغة الشعبية، أي ترسيم اللهجة الدارجة الجزائرية بحروف قد تكون لاتينية (٢٠). لتحل محل الفصحى، وهذه فكرة غلاة المستشرقين منذ أواخر القرن الماضي، ولها دعائها في الجزائر، من بين الأحزاب الوليدة، وهدفها الوحيد هو فصل الجزائر عن أمتها العربية والإسلامية، بإزالة لغة القرآن، وبالتالي إبقاء الاستعمار الفرنسي، على حاله في الجزائر (...) على اعتبار أن الدارجة التي

سترسم، لا يمكنها أن تنافس اللغة الفرنسية في البلاد إطلاقاً بل ستحتاج إليها، ولا تستغني عنها في أي شيء،، خلافاً للغة العربية الفصحى، إن أنتشرت، ولا يمكن للفصحى أن تنتشر بدون تحقيق التعريب الحقيقي والشامل في البلاد على غرار كل الدول ذات السيادة في العالم. وللحركة طرق وأساليب وأهداف تتمثل في النقاط التالية :

1 - تكثيف المعارضة لإرغام الدولة على التراجع عن قرارات التعريب، أو على الأقل العمل على عرقلة تطبيق هذه القرارات، وذلك تطبيقاً لاستراتيجية فرنسية خطيرة تهدف إلى مايلي :

أ - كسب أرضية من الشبان الجزائريين المتعلمين باللغة الفرنسية، على اعتبار أن التعليم المزدوج الحالي، هو كله في خدمة نشر اللغة الفرنسية في البلاد (كما أثبتت تجربة ما بعد الاستقلال في هذا المجال وخاصة بعد تنفيذ مؤامرة القضاء على التعليم الأصلي سنة 1976) .

ب - كسب الوقت لنشر بعض لهجات اللغة البربرية بحروفها المصطنعة في باريس، وتقديمها كبديل للغة الرسمية (في دستور البلاد) لأن نقطة الضعف الحالية في الحركة هي أن اللغة البربرية المكتوبة بحروفها اللاتينية (المصطنعة)، ليست متداولة إلا عند الخواص جداً من غلاة الحركة، ومن ثمة فليست منتشرة بالقدر الذي يبرر عملياً المطالبة باستعمالها كلغة رسمية موازية للعربية في التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي، مثلما هو الحال في بلجيكا، في الوقت الحاضر، بالنسبة إلى الفلاماندية المستعملة في الشمال، والتي لم تكن شيئاً مذكوراً سنة 1830 عند استقلال بلجيكا عن هولندا⁽¹⁾.

ج - كسب الوقت للتمكن من غرس الأفكار الانقسامية وتعميق الشعور بالهوة (العرقية) لدى الطلاب في الثانويات، ثم إعدادهم للجامعات حيث يصبحون دعاة للحركة (وليسوا متعاطفين معها فحسب !!) كما نلاحظ ذلك، في هذه الأيام وستزداد هذه الظاهرة حدة في المستقبل .

(1) انظر: كتابنا، التعصب والصراع الديني والعنصرية والفقر... لماذا وكيف؟، مرجع سبق ذكره.

د - كسب تأييد باريس المطلق، طالما أن هدف الحركة الوحيد في الوقت الحاضر هو محاربة اللغة العربية لصالح اللغة الفرنسية، علما بأن اللغة البربرية، حاليا أو مستقبلا، لا يمكن أن تستغني عن لغة حية، وبطبيعة الحال ستكون هي اللغة الفرنسية، وهذا ما يريده الفرنسيون حيث يحاولون أن يبقوا على اللغة الفرنسية، في كافة أنحاء الوطن، وإلا ففي منطقة بعينها يعتبرونها قلعة للغة الفرنسية (مثلا هو حاصل في الوقت الحاضر، وعلى غرار وضع مقاطعة الكبيك في كندا بالذات) (1).

هـ - الحلم الاستعماري الفرنسي الكبير الذي يهدفون إلى تحقيقه على المدى البعيد، هو أن يضطروا الدولة (بعد تهديد الوحدة الوطنية كما يرغبون) إلى التراجع عن التعريب في البلاد، واللجوء إلى استبقاء اللغة الفرنسية، التي يريدون أن يوحوا إلى الدولة، بأنها اللغة (الوطنية) (2) الوحيدة بعد الاستقلال، في الوقت الذي عملوا على إظهار اللغة العربية (بواسطة الحركة البربرية) بأنها غير قادرة على جمع الجزائريين كلغة مشتركة (...). وتصبح الجزائر مثل البلدان الإفريقية الناطقة بالفرنسية كالسينغال والنيجر، والتشاد، وأشباه الشعوب الماثلة في العالم !

و - ربح الوقت أيضا لضرب الروح الإسلامية لدى الشباب المنحل (وهو العامل الجوهري في الحفاظ على الوحدة الوطنية قديما وحديثا) إلى جانب العمل على نشر المسيحية، في بعض المناطق بفضل نشاط الآباء البيض، والمتعاونين الفرنسيين، وقد يشهد المستقبل العديد من الشبان الذين سيدخلون في الدين المسيحي نكاية في الإسلام كما سبقت الإشارة ! ! وخلقوا لوضع أقليات (دينية مسيحية) إلى جانب ما يعتقدهونه - حاليا - بأنهم أقلية عرقية ولغوية لتنتقل الجزائر الموحدة حاليا (لغة ودينا) إلى (الفلمنة) ثم (اللبننة)، ثم (السودنة)، ثم

(1) راجع نفس المرجع السابق ذكره .

(2) راجع تصريح السيد مولود حمروش (رئيس الحكومة الجزائرية) في جريدة « لوموند » الفرنسية ليوم 1990/2/23 والذي أرفقه بأن لغتهم تعتبر اللغة الوطنية الثانية في الجزائر ! .

(البلقنة)، في آخر المطاف، إذا لم يتحقق التعريب الحقيقي لاسترجاع سيادة الشخصية والجنسية معا ١ بحكم الدستور الحالي قبل أن يعمدوا إلى تغيير هادتيه الثانية والثالثة ان تمكنوا من ذلك في المستقبل ١.

2 - محاولة الإيحاء للدولة (من طرف بعض الناصحين منهم) بأن المستقبل كفيل بتحقيق التعريب، دون استعمال العنف مع المناوئين (الأسباب مصلحية وظيفية). وهذا شرك منصوب بذكاء، وقعت فيه لبلاد من قبل، والحكيم لا يلدغ من جحر مرة واحدة، فكيف يعقل أن يلدغ من نفس الجحر مرتين ١!

3 - إن ضرب التعريب وبالتالي ضرب الوحدة الوطنية في البلاد، بهذه الطريقة المخططة منذ سنوات، هي آخر ورقة ستلعبها فرنسا بواسطة أعوانها في الجزائر، لذلك يجب وضع أسوأ الاحتمالات في الحسبان، الى درجة أن هناك من يطالب بعودة فرنسا، لأن الفكرة البربرية، بلغت درجة الإيحاء للشباب المزدوج اللغة (عربية - فرنسية) في بعض المناطق، بأن كل ماله علاقة بالتعريب هو استعمار يجب محاربه ١!

4 - في الوقت الحاضر تضغط الحركة البربرية بكل وسائلها المتاحة على الدولة، لارغامها على التراجع عن مشروع التعريب (مثلا وقع بطرق غير مباشرة في السنوات الماضية) وفي حالة رفض الدولة لتنفيذ هذا المخطط المدمر - حتما - للوحدة الوطنية، ستظهر بعض أعمال العنف والضغط بكل الوسائل على الصعيد المحلي والجهوي، بمباركة الإعلام الفرنسي... وإذا عرفنا أن غلاة المتفرنسين كلهم مؤيدون ومتعاطفون مع الحركة البربرية لضرب التعريب، أدركنا العنف (التخريبي المنسق) الذي سيظهر من طرف هذه الجماعة، التي تعتقد أنها تمثل مركز القوة لكون دواليب التسيير في الدولة بين أيديها. وفي حالة تراجع الدولة عن مشروع التعريب (بقطع النظر عن كونه يمثل كارثة للاستقلال والوحدة الوطنية) فسينتج عنه رد فعل عنيف، من طرف الطلبة المعربين، ومعهم الفئات العريضة من ملايين أفراد الشعب على الصعيد الوطني الذي لم ولن يرضوا عن العربية بديلا على الإطلاق ١! دون أن ننسى دور الأحزاب السياسية الوطنية التي اعترف بشرعيتها في المدة الأخيرة والتي لها دور فعال في هذا الخصوص (...).

5 - إن الاستقلال الوطني يمر في الأيام القادمة بأصعب امتحان عرفه منذ 1962، بدليل أن الوحدة الوطنية لم تهدد أبدا قبل الشروع بجهد في تحقيق الاستقلال الثقافي (أي التعريب بكل ما يمثله من أبعاد) لاسترجاع الشخصية الوطنية الحقيقية والكاملة.

6 - لوحظ انتشار أسماء كل من (الكاهنة - بوغورطا - طاكفاريناس - ماسينيسا) في بعض المناطق، وكذلك لدى بعض الأهالي التابعين إلى هذه المناطق، حتى ممن يقطنون خارجها (1).

وهذه الأسماء ترمز بكل وضوح إلى العودة إلى ما قبل الإسلام، وما قبل التعريب الأول (الذي حصل في القرن السابع الميلادي) وهذه الظاهرة ستزداد انتشارا في المستقبل، وهي داخلة في المخطط الاستعماري الفرنسي البعيد المدى، مع انتشار الديانة المسيحية لدى بعض الفئات في بعض الجهات في المستقبل كما أشرنا...

فهل لو كان هؤلاء الأفراد مسلمين، أو عندهم وعي إسلامي، يفضلون أسماء يهودية ووثنية (مثل الكاهنة وكسيلة) على محمد (أو محند، كما هو محرف أحيانا) أو علي أو عمر... ؟ لو لم يكن وراء الأمر خطة ذكية، ينفذها أناس تحت شعارات ثقافية مختلفة خطيرة المدى... أقل ما يقال عنها أنها أشبه ماتكون بعملية الإبادة الثقافية للمسلمين البلغار، في الوقت الحاضر، بكيفية معكوسة، ومخططة (في غفلة أو تغافل من الدولة) أو بتواطؤ من بعض أعضائها، وأجهزتها، ورموزها منذ سنوات !

ومفاد هذه الخطة أو الأطروحة الهادفة - أساسا - إلى تدمير الوحدة الوطنية للمجتمع الجزائري (أو إعاقة صيرورتها الفعالة على الأقل) هو أن هذا المجتمع ليس متجانس الأصل العرقي وأنه خليط من البشر، من بينهم عنصران غالبا هما العنصر البربري، والعنصر العربي... (إلى آخر المعروفة المعروفة والمهجورة...).

ولم يجد هؤلاء المنظرون أية حجة لاثبات هذا التمايز العرقي والاختلاف بين أفراد المجتمع الواحد في الجزائر، غير حجة الاختلاف في بعض اللهجات البربرية

(المتداولة) ليتسللوا منه (كمنفذ حساس) للبرهنة على وجود الاختلاف العرقي في المجتمع بين العرب (الواقدين من الجزيرة العربية) والبربر (الأصليين). وراحوا ينفخون بكل ما في وسائلهم من قوة لتضخيم هذا الاتجاه مغالطين أحيانا، ورباطين أحيانا أخرى - جهلا أو تجاهلا - بين العرق واللغة، أي العرق البربري واللغة البربرية من جهة، وبين العرق العربي واللغة العربية من جهة أخرى، معتبرين أو مستدلين في ذلك على أن السكان الذين مايزالون يتخاطبون في حياتهم اليومية (في بعض المناطق الجغرافية المنعزلة والمتفرقة) بإحدى لهجات اللغة البربرية المندثرة منذ قرون... هم ذوو العرق البربري، وبالتالي هم السكان الأصليون للبلاد، ويستدلون - في المقابل - على أن البقية من السكان الذين يتحدثون بالعربية في كافة أنحاء الوطن، هم ذوو العرق العربي... وبالتالي فهم الدخلاء على البلاد، ويجب إبعادهم أو إخضاعهم بكل الوسائل لمنطق الأقلية (الأصلية) باعتبارهم دخلاء !! هذه هي الإيديولوجية الخفية للحركة «البربرية -الفرنسية» في الجزائر، أو الحركة «البربرنسية» كما تستحق أن تسمى، لأنها عبارة عن حركة ذات جوهر استعماري فرنسي مغلف - للتمويه - بغطاء الثقافة البربرية، وهي ليست من أخلاق الأمازيغ (الأحرار) الذين عربهم الإسلام، أمثال طارق، وابن باديس، وعميروش.. وبعيدة كل البعد عنها، كما سنبين ذلك في فصل لاحق، عند مناقشة أطروحات الحركة البربرية .

وفيما يلي مواقف ومطالب أول حزب رسمي للحركة البربرية في الجزائر من خلال ما أدلى به ناطقه الرسمي للصحافة الوطنية، وقد نشر بجريدة الشعب يوم 19/3/1989.

الشعب : قبل تأسيس التجمع كانت مسيرة وحركة ونشاط، اكتسى طابع السرية، فماذا عن هذه المسيرة، وخلفياتها ؟

الجواب : تاريخ الحركة أوجزه باختصار في أن هناك قضية وطنية طرحت بكيفية خاطئة هي قضية الثقافة الأمازيغية، فمنذ أوائل القرن الحالي طرحت هذه القضية على أساس جهوي تتعلق بفئة معينة من الشعب الجزائري، وهذا الطرح الخاطئ أدى الى أزمة 1949، حيث قالت الأحزاب آنذاك بأن مسألة الثقافة

واللغة ستطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الاستعماري، بعد ذلك جاءت ثورة نوفمبر 1954، وأجل مرة ثانية النظر في القضية، وأعطيت الأولوية للحرية والاستقلال.

وفي سنة 1962، طرحت القضية من جديد بعد الاستقلال مباشرة إلا أن المسؤولين آنذاك قدموا نفس التبريرات والجواب، وقالوا بأننا الآن بصدد تشييد دولة وإعادة بناء ما خربه الاستعمار خلال حرب التحرير، وهكذا اعتبرنا بأن قضية يمثل هذه الأهمية قد أجلت عدة مرات الى أجل غير مسمى، ولهذا أخذ بعض الشباب على عاتقهم في أواخر الستينات إحياء التراث الثقافي الأمازيغي وإعطاء أهمية للغة الأمازيغية. ويعلم الجميع أن كل هذا قد تبلور وتفجر خلال ما يسمى ربيع 1980، حيث المطالب صارت واضحة وهي :

المطالبة بالثقافة الأمازيغية كثقافة وطنية وباللغة الأمازيغية كلغة وطنية الى جانب العربية، وكذلك المطالبة بالديمقراطية. ومن سنة 1980 حتى حوادث أكتوبر الماضي، لم يتوقف منشطو الحركة عن المطالبة بهذه الحقوق والتي اعتبرناها ونعتبرها دائما حقوقا وطنية تهم الجميع.

في سنة 1985 تم إنشاء رابطة لحقوق الإنسان وبعض الجمعيات لأبناء الشهداء، وفي ذلك الوقت ألقى القبض على مجموعة من منسوبي الحركة الثقافية وأبناء الشهداء وأعضاء من الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، وانطلاقا من هنا، فقد اغتبتنا وجودنا أمام محكمة أمن الدولة لنطالب من جديد بالثقافة والديمقراطية واحترام الحقوق، وبعد الإفراج عن كل المعتقلين، بدأنا في الاتصال بجميع المهتمين بالثقافة واللغة الأمازيغية إلى أن جاءت حوادث أكتوبر الأليمة، فلم ننتظر مشروع الدستور، ولكن قلنا بما أن الإصلاح حسب ماورد في وسائل الإعلام سيتم في إطار الجبهة، وهذا ما تأكد بعد المؤتمر، فضلنا العمل خارج الجبهة وحتى يكون لنا تنظيم من شأنه أن ينظم وينشط حركة الثقافة لأمازيغية، ولا يترك الفرصة لأحد ان ينشط خارجها، لأنه كان بإمكان كل واحد أن يحرر منشورا ويوزعه باسم الحركة الثقافية. ومن هنا وجه أربعة منشطين من الحركة الثقافية نداء من أجل ملتقى وطني للحركة الثقافية الأمازيغية وتم هذا الملتقى بالفعل في دار الثقافة بتييزي وزو يومي 9 و 10 فيفري الماضي، وهنا تم الإعلان عن ميلاد التجمع.

« الحركة الثقافية البربرية مجهولة لدينا »

الشعب : حسب علمنا هناك تيارات واتجاهات بربرية. لماذا هذه التعددية؟ وهل المسألة تعني تصدع الحركة الأمازيغية وعلاقة حزبكم بغيركم من دعاة الثقافة البربرية؟

الجواب : حقيقة قبل 5 أكتوبر، كان كل من ينشط خارج الحزب والنظام يعتبر غير قانوني وغير شرعي، فإذا نشطنا في إطار غير قانوني فنحن نقر بأننا نشطنا في قالب مشروع لأن القانون قد يغتصب حقاً أو أكثر، أما عن علاقتنا بالتيارات البربرية (الأمازيغية الأخرى) فلقد كانت لبعض منشطتي الحركة الثقافية علاقات بجهة القوى الاشتراكية حيث انظموا إليها سنة 1978. عندما كان لهذا الحزب برنامج خاص بالثقافة الأمازيغية لكن بعد ربيع 1980 أتضح لهؤلاء ضرورة الانسحاب من هذا الحزب والأحزاب الأخرى وهذا ماتم بالفعل سنتي 1981 و 1982.

أما ما يسمى بالحركة الثقافية البربرية، فإن أحداث 1985 التي أودت باعتقال أعضاء من الحركة وجمعيات أبناء الشهداء والرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، وانتهت بمحاكمة المدية دفعت ببعض الي التفكير بالانسحاب من الحركة، غير أن هذا الانسحاب كان بحرج هؤلاء. وفي صيف 1986، وبعد خروجي من السجن، دخلت في اتصالات مع الجماعة التي تدعي أنها من الحركة الثقافية البربرية، وكان لابد علينا أن نطلع الرأي العام بظروف الاعتقال لأن تلك الظروف كانت سيئة جداً، وبقى على مطالبنا وهي ضرورة الإفراج عن باقي المعتقلين والتمسك بمبادئ الحركة الثقافية، غير أن هؤلاء فضلوا سياسة الانتظار الي ما بعد الإفراج عن الجميع قبل أي اجتماع أو قرار يتخذ، غير أننا رفضنا ذلك وطالبنا بضرورة الإفراج عن باقي المعتقلين، وبعد الإفراج هذا كانت هناك مشاكل مع جماعة الحركة الثقافية البربرية، وعليه لا نقول بأن هناك انفصالا وإنما كل ما في الأمر أن البعض قد أنطلق في حقهم القطار وتركهم. ومن جهتنا، وبعد حوادث أكتوبر نادينا بملتقى وطني، لكن هذه الجماعة أحتجت على عدم الأخذ برأيها في الموضوع، وقالت ما قالت، وأتهمتنا بالتعصير لإنشاء حزب سياسي،

ومن هنا بدأت المناشير في الصدور مملوءة بالشتائم والانتهاكات في حق البعض، لكننا قررنا أن لا ننزل إلى هذا المستوى، بل بادرنا بملتقى وطني للثقافة الأمازيغية، أنبثقت عنه خمس لجان، وما يصدر عن كل لجنة يعرض على الجلسة العامة للمصادقة، وعليه اقترحت لجنة التنظيم إنشاء التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، والجمعية العامة صادقت على المشروع، وعليه فنحن لا نرى أي مشكل بين ميلاد هذا التجمع وبين أية حركة أخرى، وكل ما في الأمر أن هناك مناشير توقع باسم الحركة الثقافية البربرية وأصحابها مجهولو الهوية.

• حزبنا مفتوح لكل الديمقراطيين

الشعب : معرفتنا لحزبكم تقتصر على التسمية، وحبذا لو توافوننا ببرنامج هذا الحزب وهيكله التنظيمي ؟

الجواب : إن التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية هو إطار سياسي مفتوح لكل الديمقراطيين الجزائريين المؤمنين بأن الثقافة الأمازيغية جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية وبالحرريات وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وكل الواقفين وسط الخريطة السياسية.

من حيث التنظيم الهيكلي لحزبنا، فإن الملتقى الوطني الذي انعقد يومي 9 و 10 فيفري الماضي قد انتخب مجلسا وطنيا يتكون من 105 أعضاء وبدوره انتخب المجلس لجنة تنفيذية تضم 11 عضوا، وانتخب هؤلاء الأمين العام و 10 أمناء وطنيين. وفضل الحزب هذا النوع من التنظيم وهو يختلف جذريا عن التنظيمات التقليدية للأحزاب السياسية. أما برنامج الحزب، فهي نظرتة لكل القضايا التي ستطرح على الشعب ليقول كلمته فيه. وألخص برنامج الحزب في النقاط التالية حسب أولويتها :

أولا : الهوية الوطنية، حيث سنعمل من أجل جعل الثقافة الأمازيغية جزءا لا يتجزأ من الهوية الوطنية، وبخصوص اللغة نقر بأن في هذا البلد توجد لغتان وطنيتان وهما الأمازيغية والعربية مع الإقرار بأن اللغة العربية هي الرسمية في البلاد.

ثانياً: المساواة حيث أن حزبنا يعمل من أجل المساواة خاصة بين الرجل والمرأة وهذا نجسببنا لما ورد في المادتين 28 و 30 من الدستور الجديد، لكن نقر بأن المساواة كوضع دستوري لا تكفي ما دامت هناك قوانين مجحفة في حق المرأة ونعني بذلك قانون الأسرة، حيث يجعل هذا القانون من المرأة شبه مواطنة، أي ليست مواطنة كاملة الحقوق، أي امرأة قاصرة الحياة، لذلك فنحن نعمل من أجل المساواة الفعلية في الحياة اليومية بين الرجل والمرأة.

• نرفض قانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية

الشعب : هل برنامج الحزب يرفض قانون الأسرة ؟

الجواب : نعم في الملتقى نادينا بإلغاء قانون الأسرة الحالي نظراً للأسباب الصالفة الذكر.

الشعب : حزبكم يرفض قانون الأسرة وهذا الأخير مستمد من الشريعة الإسلامية، هل معنى هذا أنكم ترفضون الإسلام، أم أن لديكم نظرة أخرى بشأنه؟

الجواب : بدون ديماغوجية أعترف بأن الإسلام دين الأغلبية الساحقة من المواطنين الجزائريين وعندما نقول بأننا مسلمون ليس هذا بديماغوجية أو إرضاء البعض، فنحن مسلمون ونحس بذلك، لكن حزبنا يناهز بفصل الدين عن الدولة، ومن شأن الفصل أن يزيد في خدمة الإسلام أكثر مما هو عليه.

• قبلنا الدستور وسنعمل على تغيير ما لا يتفق ومبادئ حزبنا

الشعب : كيف ذلك ؟

الجواب : إن فصل الدين عن الدولة من شأنه أن يمنح حرية تامة للمعبادة وممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأماكن المقدسة وما إلى ذلك. بينما جعل الإسلام دين الدولة كمبدأ من المبادئ سيحدث تناقضاً بين الشريعة وبين الدولة التي تتصرف تصرفات مدنية، وكمثال على ذلك منذ أكثر من 10 سنوات كان وما زال الإسلام دين الدولة فكان من نتيجة هذا أن السلطة التنفيذية تسلم الخطب لأئمة المساجد وتكون جيشاً من المواطنين ليخطبوا على المسلمين أيام الجمعة وفي الأعياد الدينية.

• هدفنا إقامة دولة لائكية:

الشعب: عبر المسيرة الطويلة للفتوحات الإسلامية تأسست الدولة الإسلامية، وأرست دعائم دولة قوية ممتدة من الجزيرة العربية الى غرب إفريقيا، وتفرعت جذورها الى كافة القارات، فهل هذه الشريعة التي حررت البلاد والعباد هي قاصرة اليوم على إرساء دعائم دولة قوية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وأكثر من هذا وذاك حضاريا ؟

الجواب : أنا لا أقول بأن الشريعة الإسلامية قاصرة على بناء دولة، أقر فقط بأن فلسفة حزبنا مبنية على مبدأ الفصل بين الدين والدولة، فما هو البرنامج المقترح من طرف دعاة الشريعة الإسلامية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في كل مرة يقول هؤلاء نحن نعود الى القرآن والسنة، هذا صحيح لكن عمليا والى حد الآن لم أعرف حزبا آتخذ برنامجا سياسيا وفلسفته من الإسلام واقترح برنامجا متكاملا وشاملا لحياة الأمة ! وعليه نحن نطالب بضرورة فصل الدين عن الدولة، وهذا لا يعني بأننا ننادي بالإلحاد، وإنما ندعو الى اللائكية، أي حرية العبادة، يكفي الإسلام أنه أسمى وأعلى من أن يكون ديننا للدولة أو برنامجا سياسيا لفئة معينة.

• حزبنا يقوم على فلسفة الفصل بين الدين والدولة

• الإسلام لا يمكن أن يكون برنامجا سياسيا ؟

الشعب : ما هو موقف حزبكم من الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي أعلن عن ميلادها في الأيام القليلة الماضية بالعاصمة ؟

الجواب : نعتقد بأن الإسلام لا يمكنه أن يكون برنامجا سياسيا لفئة معينة، لكن لا نرى أي مانع لأية فئة أن تكون لنفسها حزبا سياسيا وتقترح برنامجا للأمة بشرط أن تتجنب استخدام العنف أو المناداة باستخدامه، ومن هنا على كل الفئات والأحزاب أن تحترم لعبة الديمقراطية وتترك الشعب يختار، لأنه لا يمكن لأي حزب أن يكون وصيا على هذا الشعب أو أدري من غيره بمصلحته، وكل ما

يحق بهذه الأحزاب بما فيها الجبهة الإسلامية للإلتفاف أن تقترح برامجها للنقاش وتترك حرية الاختيار للشعب، وإذا ما اختار هذا الأخير بكل ديمقراطية برنامج الجبهة الإسلامية فما علينا إلا احترام هذا الاختيار، وإذا ما اختار برنامج حزب آخر وليكن حزبا ولم لا، على الآخرين احترام إرادة الشعب.

الشعب : وفي ماذا تتلخص محاور برنامج الحزب في الميدان الاقتصادي والاجتماعي ؟

الجواب : إذا ادعى حزب من الأحزاب أنه يملك حلولا لكل القضايا المطروحة منذ الاستقلال حتى اليوم فأقول لا. فالصراحة نجعلنا نقول بأن ملتقى تيزي وزو قد أكتفى بالخطوط العريضة لبرنامج سنعلن عنه مستقبلا ليعرض على الشعب في مختلف الانتخابات البلدية والولائية والمجلس الوطني وأكتفى بالقول أن الخطوط العريضة قد ركزت على محاور اقتصادية واجتماعية هامة، أساسها في الميدان الاقتصادي ابقاء كل ما هو إستراتيجي ضمن القطاع العام، ومادون ذلك يمكن أن يكون بيد القطاع الخاص، لكن ليس القطاع الخاص الذي عرفناه والذي لا يهتم سوى الربح السريع. لكن المطلوب قطاع وطني خاص يساهم بفعالية في مجهود التنمية الوطنية، وإذا كان هذا القطاع يفرض نوعا معينا من التنظيم والتسيير الاشتراكي للمؤسسات الى الاستقلالية لهذه المؤسسات نعتبرها حلولا مرحلية وعليه فنحن نقترح التنظيم النقابي الحر للعمال من شأنه الذي يعطي ضمانات أوسع لهم ويحميهم من ظلم أرباب العمل والممارسات التعسفية في القطاعين العام والخاص على سواء. زيادة على ذلك لا بد من تشريعات جديدة في ميدان العمل تناقش بصفة ديمقراطية ويساهم في إعدادها كل من العمال ونقاباتهم قبل عرضها على الهيئات التشريعية.

وفي ميدان التعليم نحن لا نريد أن نقف كمنتقدين، بل نقترح البديل والحلول وفي اعتقادنا أن رفع المستوى يتوقف على التدريس بلغة الأم أي العربية والأمازيغية معا وفي جميع مستويات التعليم، وتبقى ديمقراطية التعليم مكسبا وليست سببا في انخفاض المستوى، لأن ديمقراطية التعليم منتهجة في معظم بلدان العالم ورغم ذلك فالمستوى بها مرتفع جدا عكس ما هو حاصل في بلادنا.

«ديباجة الدستور مرفوضة جملة وتفصيلا» ؟

الشعب : في نهاية فيفري الماضي، اختارت الأغلبية من الشعب الدستور الجديد، كيف تنظرون الي هذا الاختيار، وما هو موقفكم من هذا الدستور والثوابت التي جاء بها ؟

الجواب : بالنسبة للدستور، والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير وأرضا عربية، فنحن لا نوافق على هذه الديباجة وسنعمل في إطار حزينا من أجل تفسير ما لا يتفق مع مبادئ التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية.

فالجزائر جزائرية والإسلام دين الشعب وليس دين الدولة، واللغة الأمازيغية لغة وطنية الى جانب اللغة العربية، أما ماعدا ذلك من الثوابت كوحدة التراب الوطني، والنظام الجمهوري فهي من البديهيات المسلم بها، وحزينا يعمل من أجل تكريسها، لكن المسائل التي تضر ولا تنفع هي القول بأن الجزائر أرض عربية بينما هي جزائرية.

الشعب : حكم كثير من الناس على حزبيكم بأنه حزب جهوي، يدعو الى الانفصال والجهوية والعرقية والارتباط بجهات خارجية كانت عدوة لنا بالأمس القريب، فماذا عن موقفكم وردكم على هذا الحكم والتصور ؟

الجواب : نحن نسلم بأن حزينا حزب وطني ولا يمكنه أن يكون جهويا، يتبنى كل القضايا الوطنية وفي مقدمتها الثقافة واللغة الأمازيغية، أما الأقاويل فقد قالوا أكثر من ذلك، قالوا بأنه بعد ميلاد التجمع احتفلنا بالخمور ولحم الخنازير وبالنساء وحضور رجال الكنيسة وما الى ذلك، فهذه إشاعات وأقاويل نفندها جملة وتفصيلا، فحزينا يعمل من أجل قضايا تهتم كل الجزائريين سواء كانوا ناطقين بالأمازيغية أو العربية ووجود أكثر من لغة في دولة واحدة حقيقة تاريخية. إن الخطورة على الوحدة تكمن في إهمال اللغة والثقافة الأمازيغية، والقول بأن في الجزائر لا توجد إلا ثقافة واحدة قول خاطيء.

« نريد مكانتنا في التلفزة وسائر وسائل الإعلام الأخرى »

الشعب : لكل برنامج أو مشروع لا بد من إمكانيات، خاصة إذا تعلق الأمر بعمل دعائي لحزب أو جمعية تريد احتواء أكبر عدد ممكن من المناضلين والمنخرطين. وبالنسبة لحزبكم والأحزاب التي ظهرت حديثا لا نعتقد بأن سكان المناطق النائية في شرق البلاد وغربها وجنوبها على دراية بها وبرامجها وأهدافها. فماذا عن إمكانياتكم المادية وأعني بها بالخصوص الإعلامية للتعريف بحزبكم؟

الجواب : حقيقة حزينا حديث النشأة والإمكانيات الوحيدة التي تملكها الآن هي الإرادة بالدرجة الأولى. إن الوسائل المستعملة الآن هي الوسائل التابعة للدولة، وهذه الأخيرة ينبغي أن تكون دولة الجميع وليس دولة حزب معين، فالتلفزة الوطنية ليست لحزب من الأحزاب، وعليه يجب أن تكون الاستفادة الإعلامية منها للجميع وعلى قدم المساواة، لكن هذا لم يحصل، فقد لاحظنا بُعِيد ميلاد حزينا أن التلفزة نظمت موائد مستديرة، ودعت إليها شخصيات عبرت عن آراء وتيارات سياسية مختلفة، غير أن تيارنا لم يستدع للمشاركة في تلك الموائد المستديرة، هذه الصحف التي أجحف البعض منها في حقنا لما أعلننا عن ميلاد حزينا، ولم يكن نفس الإجحاف في حق الأحزاب التي أنشئت أخيرا وكانت التغطية الإعلامية لها واسعة. أما في إطار المستقبل القريب، فإن الديمقراطية والتعددية الحزبية تقتضي التعددية الإعلامية، أي أن تكون هناك صحف ومجلات لأحزاب سياسية غير الصحف الموجودة اليوم. وبالنسبة إلينا يبقى السؤال المطروح، بأية لغة سنخاطب الناس، باللغات الثلاث : الفرنسية والعربية والأمازيغية، وبناء على الطلب على هذه الصحف واللغة التي يميل إليها القراء سنحدد الكميات التي سنسحبها.

« الفرنسية لغة علم واتصال لا بد منها ! »

الشعب : حزبكم لا يعترف إلا بلغتين الأمازيغية والعربية. لماذا الفرنسية إذن؟ وما هو موقفكم من هذه اللغة؟

الجواب : نحن لا نعترف إلا بلغتين وطنيتين في الجزائر وهما الأمازيغية والعربية. زيادة على كون هذه الأخيرة لغة رسمية، غير أنه يجب أن نكون منطقيين وهو أن للغة الفرنسية مكانتها ولكن ليس على حساب الأمازيغية والعربية، وباعتبار الفرنسية لغة اتصال وعلم وتكنولوجيا فنحن نختلف مع الذين يقولون بأن هذه اللغة ليس لها مكانتها في الظروف الراهنة وحتى في المستقبل القريب. لكن نحن نعمل جاهدين من أجل أن تصبح الأمازيغية والعربية لغتي علم وتكنولوجيا وإدارة صالحتين للحياة العملية. إذن الجميع يفكر نفس التفكير، غير أننا نختلف عن غيرنا في كوننا نطرح أفكارنا علانية وأمام الجميع، والبعض يفكر لكن يغطي نواياه.

الشعب : يبدو من خلال تطور نشاط الحركة البربرية، أن الفضل في تأسيس حزبكم هي جماعة المثقفين وحاملي الشهادات الجامعية حيث لو تعرفونا بالتركيبة الحالية لهذا الحزب وما مدى الاستجابة في الانخراط؟

الجواب : إن حزبنا ليس حزب نخبة، فباستثناء محامي واحد وبعض الأطباء والصحافيين فإن باقي الأعضاء ليسوا بالضرورة من حاملي الشهادات العليا وللتأكيد على هذا فإننا وجهنا نداء وطلبنا من كل جهات الوطن المهتمة بقضية الأمازيغية كقضية وطنية إرسال مندوبين عنها إلى الملتقى مهما اختلفت مستوياتها الفكرية أو الثقافية والتعليمية، إن عنصر الاختيار لا يكمن في الشهادة بقدر ما يكمن في الإيمان بالقضية التي يتبناها حزبنا والواردة في برنامجنا.

الشعب : بعد انعقاد المؤتمر السادس لحزب جبهة التحرير الوطني تحول هذا الأخير إلى جبهة يضمه لكافة الحساسيات والتيارات حيث لو تحدوا لنا طبيعة علاقتكم بالجبهة وهل يوجد هناك مناضلون سابقون في الجبهة منخرطين اليوم في حزبكم؟

الجواب : إذا كان الأمر يعني عناصر من جبهة جيش التحرير الوطني قبل 62 أقول نعم هناك انضمام لبعض المناضلين وإذا كان الأمر يعني عناصر كانت في

صفوف حزب جبهة التحرير الوطني ثم جبهة التحرير الوطني حاليا فالى حد الآن لا يوجد أي التحاق بصفوف حزينا، غير أن هناك اتصالات بعض من كانت لهم سابقا مناصب سامية في الدولة قدموا لنا طلبات الانضمام، إلا أن تلبية هذا الطلب سيتحدد في وقت لاحق، غير أن الفصل في الموضوع يبقى للمجلس الإداري الذي هو السلطة العليا بين المؤتمرين، لكن الذي يجب أن يدركه الجميع هو أن لحزبنا قاعدة نضالية واسعة لمسنا هذا قبل ميلاد الحزب وتأكدا منه بعد الإعلان عن تأسيس التجمع من أجل الشفافة والديمقراطية حيث وردت إلينا عشرات الآلاف من طلبات الانخراط ومن جميع مناطق البلاد.

الشعب : في إجابة سابقة عن سؤال قلتم بأن لحزبكم قاعدة نضالية واسعة قبل الإعلان عن ميلاده وبعدها وسؤالي الأخير هو كالاتي : هل أسستم حزبا من أجل الشفافة أم من أجل السلطة؟

الجواب : إن أي حزب يتأسس لا يطمح في السلطة لبس بحزب، نحن كانت لنا مطالب قبل أكتوبر غير أن مطالبنا هذه قد تبلورت في برنامج عمل الحزب سيعرض على الشعب لكن نحن لا نعمل وفق القاعدة التي تقول الغاية تبرر الوسيلة، إن وصولنا إلى السلطة إن كتب له النجاح سيتم ضمن إنتخابات حرة وديمقراطية يقرر فيها الشعب وتعطى له السيادة كل السيادة في ذلك، أما الآن فلا ينبغي أن نقول من هو في السلطة ومن هو في المعارضة لأننا في مرحلة انتقالية وعلى ضوءها سيعمل حزبا وبالوسائل السلمية وعن طريق الإنتخابات من أجل الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها لأننا الحزب الوحيد في تاريخ الجزائر المنبثق من القاعدة ولم يظهر من القمة.

إنتهى نصر التصريح الذي تعمدنا نشره كما ورد في جريدة الشعب ليوم

1989/3/19.

إذا كانت الأفكار والمطالب والأطروحات الواردة في هذا التصريح لا تحتاج إلى شرح من حيث وضوحها وأهدافها القريبة والبعيدة.. فإن ما لا ينبغي أن يترك دون التنبيه إلى مكان المغالطة أو الخطأ فيه، رفعا لكل لبس واستجلاء للحقيقة

أمام جيل الاستقلال الذين لا يعرفون، أو لم يدركوا - بحكم السن - أخوة،
ووحدة صف الأبطال المجاهدين في بلاد جرجرة والصومام... هو قوله في مستهل
التصريح « فمئذ أوائل القرن الحالي طرحت هذه القضية علي أساس جهوي،
تتعلق بفئة معينة من الشعب الجزائري، وهذا الطرح الخاطيء أدى الي أزمة 1949
م، حيث قالت الأحزاب آنذاك بأن مسألة الثقافة واللغة ستطرح في وقت لاحق،
وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الإستعماري... بعد ذلك جاءت ثورة
نوفمبر 1954م، وأجل مرة ثانية النظر في القضية وأعطيت الأولوية للحرية
والاستقلال... » فزيادة على ما أوردناه من حقائق دامغة وتفاصيل دقيقة فيما
سبق.. نقول، تعليقا على هذا الكلام المغالط :

أولا : مادام زعيم الحزب يعترف - صراحة - بأن الحركة البربرية طرحت
على أساس جهوي خاطيء... وأدت الي أزمة 1949 م... فلماذا يعاد تكرار
نفس الخطأ اليوم بطرحها جهويا وعرقيا، بل وإعادة بعثها من قبل نفس الشاكلة
من الأشخاص الذين أوقعوا الفتنة في صفوف الحركة الوطنية سنة 1949م...
وقضي عليهم بسلاح الوطنيين من أبناء المنطقة أنفسهم قبل اندلاع الثورة
المسلحة *

ثانيا : هل قضى الشوار على رموز أزمة 1949 م لكونها جرثومة فتاكة
في صفوف وحدة الشعب الجزائري، للحيلولة دون رص صفوف أبنائه، لخوض غمار
المعركة الفاصلة المنتظرة، من أجل الاستقلال التام (أي إستقلال الجنسية
والشخصية والسيادة) عن قيود ورموز ومخلفات الاحتلال الفرنسي... أم أن
اتفاقا قد أبرم بين قادة الحركة الوطنية الجزائرية و«رموز» الحركة البربرية، من
أجل تأجيل طرح القضية الي «ما بعد الاستقلال» على حد تعبير
السيد الناطق الرسمي للحزب، في تصريحه بالحرف الواحد ؟ وسؤالنا التكميلي
الملح هو كالتالي:

- إذا كان الجواب على الشطر الأول من السؤال بالإيجاب (وهذا هو
الصحيح حسب شهادة جميع الأحياء، وكما هو مبين في الفصل السابق) فلماذا

★ راجع ملاحق الكتاب (1) و (2) .

بمعاد طرح نفس القضية، ونفس الكيفية - تقريبا - للقضاء على هذا الاستقلال في بداية خطوانه الأولى نحو الاكتمال، وتفتيت الرحلة الوطنية للشعب والتي تعتبر الضمانة الوحيدة وصمام الأمان الأساسي لهذا الاستقلال، حاضرا ومستقبلا، مثلما كانت بحق الشرط الأول - بعد الله - لتحقيقه في الماضي القريب... وافتكاكه من مغالب العدو الغاصب... ٢١

وإذا كان الجواب بالنفي عن الشرط الأول، وبالإيجاب عن الشرط الثاني، كما يريد أن يوحي إلينا الناطق الرسمي للحزب بقوله : « حيث قالت الأحزاب آنذاك (٢١) بأن مسألة الثقافة واللغة ستطرح في وقت لاحق، وأن المشكل الآن هو تحرير الجزائر من الوجود الاستعماري... » فإنني هنا أتحداه أن يحدد للقارئين « بالإسم » هذه الأحزاب الوطنية « التي قالت!؟ » اللهم إلا إذا كان يقصد « حزب الشعب القبائلي » صاحب الفتنة المشار إليها من قبل الناطق الرسمي بنفسه ١١ وأتحداه - أيضا - أن يأتي بأية وثيقة مكتوبة (بأية لغة كانت) أو أية شهادة حية ناطقة أدلى، أو يدلي بها أي قائد من قادة الثورة الأحياء، سواء من مفجري الثورة (22) أو من قادتها الستة، أو من أي واحد من أبطال وقادة الثورة في مؤتمر الصومام، وما بعده، من الذين حاربوا الاحتلال تحت لواء الجهاد في الداخل، على امتداد السنوات السبع الملتهبة بالحديد (الأبيض والأحمر)، وفي كل شبر من أرض الجزائر، بدون استثناء، لأية جهة، أو منطقة أو ولاية...

ونكتفي بهذا، كتعليق على بعض المغالطات الراردة في التصريح (البرنامج)، ونترك القلم للأحرار من أبناء الجزائر عموما، ومن قلب جرجرة والصومام والأوراس على وجه الخصوص، ليعبروا عن مواقفهم وآرائهم إزاء الطروحات الواردة في أدبيات ومبادئ هذا الحزب « الجديد » ١

فتحت عنوان : « من هم الأمازيغ » ورد مقال مطول بقلم محمد الصغير زمالي (من الأوراس) والمنشور بجريدة الشعب بتاريخ 1989/4/5 جاء فيه :

« أنا هنا لست بصدد إعطاء درس في التاريخ، وإنما فقط أردت أن أوضح بعض النقاط التي أهملها السيد « أمقران آيت العربي » في حديثه الذي أدلى به لجريدة « الشعب » اليومية بتاريخ 1989/3/19 باسم « التجمع من أجل

الثقافة والديمقراطية » والنقاط التي أهملت أو غرض الطرف عنها قصداً، هي التالية : وإذا كان هناك لبس أو تحريف في توضيحي هذا فليثبت السيد أمقران آيت العربي عكسه للمقارىء الكريم :

♦ الأمازيغ:

هم جميع سكان شمال إفريقيا ابتداء من الشلح بالمغرب الأقصى الى الجربة بالمغرب الأدنى وفي المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) هم من بني عبد الوادي بتلمسان بأقصى الغرب الجزائري الى النمامشة بتهسة بأقصى الشرق الجزائري، واللبس هنا هو أن السيد آيت العربي، يعطي للتجمع صفة العموم وي طرحها كقضية وطنية تهم كل الوطن، ونحن لحد الساعة لم نسمع بأن بني عبد الوادي أو التوارق أو الشاوية أو النمامشة وبني ميزاب علما بأن بني ميزاب هم من أصل فارسي، قد شاركوا في هذا التجمع بصفة رسمية، من هنا تتضح المراوغة في الطرح من قضية جهوية محلية ضيقة، الى قضية وطنية، وإذا كان العكس فليزودنا لسيد أمقران آيت العربي، ونحن المخطوون ونعتذر للملا، وإذا لم يشبهه بالدليل فليسحب صفة الشمول، وهو مشكور.

♦ اللغة:

اللهجة الأمازيغية هي شتات من لهجات محلية لم تكن لها قواعد ولا ضوابط تحكمها المرة، والدليل على ذلك عدم حصولنا لحد الساعة على ديوان حضاري لها، بالإضافة الى استعمال الأبجدية العربية في كتابتها عند الشاوية، والأبجدية الفرنسية في كتابتها عند قبائل جرجرة. وقد اكتشف أخيراً أن لها بعض الرموز المنحوتة في أدغال الطاسيلي حسب قولهم، ورغم ما بذله الكاتب الجزائري المرحوم «مولود معمري» لجعل منها لغة، إلا أنه لم يوفق بسبب الفموض الذي ساد هذه الرموز، هل ترجع أصلاً الى حضارة الطاسيلي التي تشترك فيها حتى قبائل الزنوج، أم الى البربر - كل شمال إفريقيا - وقد اعتمدت هذه الرموز كحروف للقبائلية في مجلة «أمازيغن» التي كانت تصدر عن الأكاديمية البربرية بباريس. و«مولود معمري» هو صاحب الاكتشاف المشير بعد تخصصه في علم السلالات، بأن البربر ينحدرون أصلاً من شعوب «الجرمن» وهو نفسه صاحب فكرة ربط اللغة العربية باللهجة القبائلية

وكونهما لغتين ميتين، وليستا لغتي علم وحضارة، ومصير هذه صروط بتلك، أو الإبقاء نهائيا على اللغة الفرنسية لغة رسمية، والعامية الجزائرية لغة وطنية، وهذه الأخيرة خليط من مختلف اللهجات الأمازيغية، ولغات المستعمرين من الفينيقيين الى الفرنسيين..

♦ الأمازيغية :

يقول السيد آيت العربي : «... وفي ميدان التعليم نحن لا نريد أن نقف كمنتقدين بل نقتراح البديل والحلول وفي اعتقادنا أن رفع المستوى يتوقف على التدريس بلغة الأم أي العربية والأمازيغية معا وفي جميع مستويات التعليم...».

أية أمازيغية يعنيها ونحن مُسلمون (بفتح السين وتشديد اللام) بأن الأمازيغية هي شتات من لهجات جزائرية محلية تختلف من جهة الى أخرى، اللهم إلا إذا كان يتوهم بأن الأمازيغية هي اللهجة القبائلية المعتمدة في القناة الثانية من الإذاعة الوطنية، وهي من عهد الاستعمار وهذا التوهم ليس بصحيح، لأن اللهجة القبائلية ليست هي الأمازيغية لأن الأمازيغية هي الكل والقبائلية هي الجزء، وإلا كيف نفسر الفروق الصارخة في الكلمات والمعاني بين لهجة الشاوية بالأوراس وبين القبائلية في جرجرة وبين لهجة البجاويين ببجاية وبين لهجة النمامشة بتبسة وبين لهجة التوارق بتامنغست ولهجة السيزاريين بتيبازة ولهجة بني ميزاب بغرداية ولهجة الندارمة بتلمسان ولهجة المراكشة بأم البواقي... وبين هذه وتلك فأى اللهجات تنتمي أصلا الى الأمازيغية لنعتمدها لغة وطنية. إذا قبل أن يتم الاتفاق نرجو من السيد مكران آيت العربي سحب صفة الوطنية عن القبائلية وهو مشكور.

♦ الانتساب :

ينكر « التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » على لسان ممثله السيد آيت العربي إنتسابه حتى للمغرب العربي الكبير، وفي نفس الوقت يدافع عن الأمازيغية التي كانت محتدة من موريتانيا (يوا II) الى خليج سيرت وطبرق بليبيا، فمملكة نوميديا وعاصمتها (سیرتا) قسنطينة الحالية، حيث يقول السيد

أمقران آيت العربي: «... بالنسبة للدستور والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير وأرضا عربية، فنحن لا نوافق على هذه الديباجة، وسنعمل في إطار حزينا من أجل تغيير ما لا يتفق مع مبادئ التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية...»

وهو بهذا لا يعترف بما سنه وأقره العلماء الجزائريون المنحدرون أصلا من الأمازيغ وهم العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي والعربي تبسي وغيرهم من سلالة مسينيسا ومسينيسا وبوغرطة وتكفاريناس والكاهنة وكسيلة لحما ودما راجع التاريخ وهم الذين رفعوا شعار «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا» وهم الذين أقرروا انتساب الشعب الجزائري للعربية «شعب الجزائر مسلم، وإلى العربية ينتسب، من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب»، وهو كذلك ما يؤكد الدكتور عثمان سعدي وهو بربري حر رضع لبن الكاهنة، راجع كتابه «عروبة الجزائر عبر التاريخ» ولعلمك فالكتاب مكتوب بالعربية للأسف !! وبعد عرض برنامجكم السياسي سيكون لقاء آخر بحول الله، من أوراس النمامشة...»

وتحت عنوان: «تلهيج» اللغات و «تلفية» اللهجات كتب الدكتور حسين رايس (باحث بجامعة السوربون): ليس المراد هنا تناول اللهجات ومشاكلها ولا كيف ينبغي اعتبارها، إنما المراد أن ننبه القارئ إلى أحد مصادر تغذية الشعور بتوجب استعمال اللهجات والدارجات بدل اللغة العربية بالشمال الإفريقي التي يتكلمها الجميع ويستمعها في جميع الميادين منذ 14 قرنا بكفاءة وامعان بالغين وحب واعتزاز ما بعده اعتزاز، وهي لغة القرآن ولغة الأصل، وهكذا يعتبرها الجميع المصادر التي توجه الناس وترسم لهم خطط المستقبل، وتعلمهم كيف ينتزعون أنفسهم من الأصالة ويخلعون عليها صفة الاستلاب، ونقصد بها «معهد الدراسات الشرقية» ببباريس الذي جعلنا نخرج بانطباع أن كل الجهود التي بذلت والتي لا زالت تبذل على يد اساتذة متخصصين في حقول عدة من المعرفة سيما المعرفة التي تتعلق بالبلدان النامية، من لغة وعقيدة واجتماع واقتصاد وغيره من قروع واختصاص، أما لهجاتنا «البربرية» فقد بدأ تدريسها

بهذا المعهد سنة 1913 بصورة رسمية، وقد دشن درس هذه اللهجات من طرف الأستاذ « ادمون ديستان » (Edmond Destaing) الذي استمر يدرس هذه المادة الى سنة تقاعده 1940⁽¹⁾. فخلقه غيره من الأساتذة الاستشراقيين مثل افره باسي (A. Basset) ابن رونية باسي (Rene Basset) المعروف، الذي قام بنشاط حثيث طوال وجوده بالمغرب العربي مدرسا وباحثا في سبيل احياء فكرة لغة أو لغات « بربرية » بجانب اللغة الفرنسية تمكثها وتدعمها من دور إضعاف اللغة العربية في وطنها وبين ذويها. وقد بدأت مناهج الدراسات والإرساليات العلمية المتعددة تملأ الفراغ متواجدة ومتنامية بتواجد وتنامي السلطة الفرنسية بهذه البلاد. وقد أشرنا لذلك اثناء حديثنا عن التبشير في تونس وعملية انشاء متوسطة أزرو بمراكش التي تحولت إلى معقل للتعريب والمقاومة الوطنية⁽²⁾، بعد أن شعر السكان المحليون بخطر داهم من قبل توسع امبريالي فيما بعد. قمت هذه الدراسات الموجهة لإحياء النعرات البربرية ضد « غيرهم » من السكان بشمالنا الإفريقي، وكانت في شكلها ومضمونها محدودة لدرجة انه امكن عد القائمين بها من مختصين ومدعين لهم وقتها على رؤوس الأصابع. إلا أنها بدأت تتوسع في العقود الأخيرة في شكلها ومضمونها واصبحت تنال حصة الأسد فيما يدرس ويقدم من مواضيع تخصصية إلى الطلاب والباحثين من طرف أساتذة متحرسين مطلعين على شؤون الوطن العربي، وعلى أيديهم تطورت هذه الدراسات بوتيرة مدهشة في العقود الأخيرة، بلغت قممها القصوى مع استقلال هاته الشعوب المغربية من رقة الاستعمار وهي الآن في عز شبابها من حيث الكم والكيف، وتعددت المراكز وانشئت لها توابع مثل « اكس أون بروفانس » (Aix-En-Provence) ذات المراجع الواسعة عن السكان المغاربة، تدخل حلبة الصراع من أجل تطوير الدراسات البربرية والبحث عن ايجاد لغة قادرة على القيام بمهام الحياة العلمية والأدبية لمنافسة العربية، وهذه اكاديمية بربرية يعلن عن قيامها وتدشينها 1967 من طرف أحدهم لا علاقة

(1) أنظ: Lionel Gaillard, langue et littérature berbère (C.N.R.S 1979), p.44.

(2) أنظ: Ageron, op.cit, pp. 124 - 26.

له بالعلم، لا من بعيد ولا من قريب⁽¹⁾، وهذه فروع تزداد شهرة وتعدداً في باريس وضواحيها ولعل في أماكن أخرى، يشرف على توجيهها علمياً وأدبياً خبراء في فن التزييف الذين أشرنا اليهم سابقاً... وهم يعرفون الكثير عن الشعوب المغربية بحكم المدة التي عاش أكثرهم فيها بهذه البلدان، وبحكم الامكانيات المادية والمعنوية التي كانوا يتوفرون عليها أثناء وجودهم بالمغرب كحكام ومسؤولين، فتوغلوا في المجتمع واصطنعوا الوسائل الفعالة، وجهزوا انفسهم بما في ذلك تعلمهم اللهجات البربرية، يأتي على رأس القائمة الأستاذ جلان (Galand) وخليفته المساعد له لوجي⁽²⁾ وهما يعملان بدون كلل رغم تقاعدهما رسمياً راغبين في الوصول في أعمالهما المتواصلة إلى وضع نظرية على المدى البعيد تكون أساساً للغة والحضارة اللتين «ستزيحان» اللغة والحضارة العربية الإسلامية بالشمال الإفريقي. أما جامعة فانسان (Vincenne) الموجودة بشمال باريس بضاحية سان دوني (Saint-Denis) فإنها في وضعها الدراسي التلفيقي لم تنج من تبني سياسة «فرق تسد» في دراستها وبرامجها التي تقوم عليها ثلة من أساتذة الاستشراق و«الساميات» بالمفهوم الأيديولوجي لا العلمي⁽³⁾ الذين يخضعون ويسيرون وفق آراء ماكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) ودافيد كوهين (David Cohen) ومن سبقهم أمثال مارسيل كوهين الذي يعتبر «أبا الساميات» قبل هذين الرجلين.

إن ارضية العمل الجغرافية لتدريس اللهجات البربرية تمتد حسب تعريف هؤلاء المستشرقين المتخصصين في أوضاعنا، من واحة سيوة بمصر إلى المحيط الأطلسي يضاف في بعض الأحيان من الوجهة اللغوية جزر كناري مروراً بمنطقة زوارة بشمال ليبيا وجبل نفوسة في نفس القطر، وجزيرة جربة ومنطقة مطماطة

(1) أعلن إنشاء «أكاديمية بربرية» من طرف عبد القادر رحمانى 1967، أنظر: Galand op.cit. p. 44.

(2) يقوم هذان الرجلان سيمما مدير «الدراسات البربرية» السيد جلان مع مايزيد على 20 سنة بالاهتمام بهذا الموضوع بمعهد «الدراسات العليا» بالسوربون، وهما يشرفان على توجيه مجموعة من الطلبة سيمما من الجزائر ومراكش في تحضير شهادات في اللهجات البربرية.

(3) كلمة سامية حديثة العهد لعلها بالتحضارة التي استعملت من أجله، وقد أطلقت كلمة السامية من طرف العالم النمساوي شلوتزر (shlitzer 1781) لتقوم مقام مفهوم العروبة، لزيادة في التفاصيل أنظر العرب واليهود في التاريخ (دمشق: دار العربي للإعلان والنشر، 1973)، ص: 128-129.

وتطاوين بتونس وبعض أجزاء ونواحي من الجزائر كمناطق الشاوية وبلاد القبائل ومزاب وأرض الطوارق الخ.. وبلاد مراكش وما يتخللها من مناطق لهجوية كمناطق الريف وجبال الأطلس المتوسط ومنطقة سوس.. الخ ومجموعة من السكان بالسنيغال (زناكة) وبعض الأجزاء من مالي والنيجر (الطوارق). هذه الخريطة وبصورة مبسطة هي المتصورة بهذه الدراسات على أساس اعتبارها خريطة اللهجات البربرية مقارنة فيما بينها بنى عليها مهندسو الأمس ومنظرو اليوم آمالا عراضا، لا يتوانى أحد منهم في العمل الجاد على وضع كل ما من شأنه أن يجعل هؤلاء السكان يشعرون بالاختلاف عن غيرهم من بني قومهم الآخرين الذين لا يتقنون لهجات بربرية. ورغم أنهم هم الذين وضعوا قائمة اللهجات وسعة الخريطة التي تدور على أرضيتها المواصفات والدراسات، فإنهم لا يجدون ثقلا في ألسنتهم وهم يعددون هذه اللهجات التي تتجاوز 4 آلاف لهجة⁽¹⁾ مثل آلاف اللهجات الإفريقية الأخرى، وبالرغم من استحالة وضع قالب لغوي لشعوب عديدة لها لغة أو بعض اللغات المحلية تلبق بها وتعبر عن مختلفات وجدانها ومتطلبات العلم والأدب في حياتها الاتصالية والتجارية الخ.. كاللغة العربية التي يتكلمها ما يزيد عن 100 مليون نسمة بصورة مباشرة، وأكثر من هذا بقليل بصورة غير مباشرة من الشعوب وهما الهوسا والسواحلية اللتين تستعملان لدى بعض هذه الشعوب وهما لغتان جديرتان بتعويض اللغات الأوروبية كالفرنسية والانكليزية في المناطق الجغرافية الناطقة بهما في وقتنا الراهن. وإذا دحضت أمام هؤلاء العلماء «الاجلاء» مسألة العرق بحجج موضوعية وأنه لا وجود له وحتى إذا انوجد فإن أغلب الآراء والدراسات تثبت عروبة هؤلاء السكان منذ القدم، وأن لغتهم العربية المستعملة في جميع أغراضهم اليومية والفكرية ولهجاتهم المتنوعة تعود إلى أصول «سامية» (عربية قديمة) تثبت هذا الانتماء⁽²⁾. وأن التركيب اللغوي للهجات البربرية معنى ونحوا وتصريفا يقترب من اللغة العربية وأنه يخضع لنفس نظام اللهجات العربية التي ما هي إلا تشويه للفصحى تحت ضغط عوامل تاريخية وجغرافية كالعزلة وطول الأمد. إذا قلت لهم هذا وقفوا لك

1-) André Basset; Article de diactologie berbère (PARIS: KLINCKSIEK) 1599 p.1.

(2) د. عثمان السعدي، مرجع سابق.

بالمرصاد واستحسنوا علنا أو خفية غروبك عنهم، وتخليك عن دروسهم، وتقليلك من مناقشتهم لئلا تعكر عنهم صفو افكارهم ورسم تصميمااتهم التي لا زالت تجد بعض الاذان المغلقة الجاهلة صاغية لما يقولون وأعيننا متفتحة على ما يعرضون وقلوبنا شغوفة لما يقدمون، ولكي نسمي الأشياء باسمائها فلا محيد لنا عن عقد شبه مقارنة بسيطة بين ما يحدث في فرنسا من سياسة وطنية، وبين ما يحدث عندنا من سياسة ترك المحبل على الغارب.. فاللهجات الفرنسية التي تنيف عن عشر هي في طريق الاختفاء والضمور، وان كانت هناك برامج ثانوية لا أهمية لها يقدمها رجال الثقافة في فرنسا كذر الرماد في العيون متظاهرين بانها لغات ذات أهمية اقليمية تحت أسماء متنقلة متغيرة حسب الملابس والظروف المحيطة بالظاهرة أو المفكر (المشروع التربوي والثقافي والسياسي الخ) من لغات اقليمية إلى لهجات أو دارجات (Langues regionales patois parlées). وان هؤلاء امام الأمر الواقع المرئي له بحيث لا يستطيعون أن يقولوا ان لغة باريس قد طغت على جميع اللغات الأخرى وان هذه الأخيرة تتصارع مع اللغات الاجنبية التي بدأت تغزو المجتمع وميادين العلم والتجارة والدعاية سيما من طرف اللغة الانكليزية والالمانية، في حين يفعل هذا في تخطيط دقيق يراد لللهجات البربرية أن تصبح لغة محل اللغة العربية التي لم تزاحم اللهجات البربرية يوما من الأيام على الإطلاق، انما هي لغة العلم والأدب والعقيدة، وما محاولة استرجاعها لسيادتها الا على حساب تراجع اللغة الفرنسية التي غزت اللغة العربية في عقر دارها وانها قدمت إلى شمال افريقيا في آخر موجة على ايدي حملة العقيدة الإسلامية فاستقبلها السكان المغاربة كأداة للإسلام فتمكنوا من ناصيتها واستعملوها بدقة، وعبروا بها عن مختلف حاجاتهم، وان الثقافة العربية الإسلامية تعني كل شيء يمكن التحدث عنه ان لم يكن عربيا فهو إسلامي والشعوب المغربية في مختلف ملامحها واصولها عربية إسلامية، وليس هناك تناقض مع الانتساب الامازيغي أو الثقافة الشعبية التي هي ثقافة إسلامية المعتقد بما لها من خصائص محلية ككل ثقافة أخرى. (1)

(1) عن بحث منشور في العدد الثالث من مجلة دراسات عربية باريس 1983.

ومن استجواب مع السيد عبد السلام بلعيد * نقتطف منه الفقرات التالية:
الشعب : هناك مسألة تسبب طرحها في تفجير حركة انتصار الحريات
الديمقراطية تطرح اليوم من جديد وبحدة وهي مسألة البربرية، فما رأيكم فيها؟
عبد السلام بلعيد : أنا معروف في هذه الأوساط أنني مناهض للحركة
البربرية بالشكل الذي تطرح به، لقد عشت الظاهرة في الأربعينات في الأوساط
الطلابية كمناضل في حزب الشعب، والفكرة التي ظهرت آنذاك هي أن الجزائر
ليست عربية، مثلما هي ليست فرنسية فهي جزائرية.

كان الصراع بين مجموعتين حول ماهية الشخصية الوطنية، ولكنه أخذ
أبعاداً أخرى، فقد ظهر جيل من المناضلين المثقفين ثقافة فرنسية تبثوا فكرة الجزائر
- جزائرية وأخذت المسألة نوعاً ماصبغة (عرقية - ثقافية - لغوية). الآن يقولون
أن في الجزائر مجموعة من السكان ليسوا عرباً فرضت عليهم العربية كما فرضت
الفرنسية، ويعتبرون اللغة والثقافة العربية دخيلة أو مستوردة، وهذا خطأ أو
تزييف تاريخي، لأن المسلمين والفاطميين الأوائل الذين جاؤوا بالرسالة المحمدية كان
عددهم قليلاً، ولذلك فإنهم حتى وإن أداروا شؤون البلاد، فإنهم بقوا دائماً
أصحاب السلطة.

لقد تولى إدارة شؤون الشعب والبلاد جزائريون بربر، فباستثناء عهد
الغالبية فإن جميع الدول التي قامت في المنطقة كانت قيادتها محلية، بل إن هذه
القيادات المحلية وصلت حتى إلى الشرق، ذلك أن القاهرة بناها البربر في عهد
الفاطميين، ولم يتنكروا للغة العربية، فقد تبناها وجعلوها لغة العمل والكتابة.

والمثقفون في الجزائر قبل الفتح الإسلامي كانوا يستعملون اللاتينية، ولم
تفرض عليهم العربية بعد الفتح، وإنما تبناها الشعب، ونسي جزء هام منه حتى
لهجته، ولم تبق اليوم سوى فئات قليلة في منطقة القبائل والأوراس وواد
ميزاب تستعمل لهجاتها المحلية.

* وزير سابق، وهو مجاهد، من منطقة القبائل ومن أقطاب الحركة الوطنية.

ومشاركة سكان الشمال الإفريقي في الحضارة العربية - الإسلامية معروفة ولا تقل أهمية عن مشاركة غيرهم، وهذه الحضارة ليست ملكا خاصا لعرب المشرق.

ان الذين يقولون اليوم ان العربية فرضت عليهم مخطئون، فقبل الاحتلال الفرنسي، كان سكان منطقة القبائل مثلا يتحدثون بلهجتهم لكنهم في التعليم والكتابة يستعملون اللغة العربية، فمن فرض عليهم ذلك؟ لقد كانوا يعتبرون العربية لغتهم، وكل مشقفيهم مثقفون ثقافة عربية، لهذا عندما نقول ان اللغة العربية هي اللغة الوطنية فليس هذا أمرا مزيف ولا مفروضا على أحد، وأجدادنا جميعا شاركوا في ازدهار وانتشار اللغة والثقافة العربية.

لقد حاول الفرنسيون في بعض مناطق البلاد خاصة في القبائل أن يوهموا السكان أنهم يعيشون تحت السيطرة من الرومان مروراً بالعرب والأتراك، وأن العرب حلقة في سلسلة السيطرة وعليهم اليوم أن يتمسكوا بشخصيتهم، وأول شيء عمل الفرنسيون على ترسيخه في أذهان هؤلاء أنهم ليسوا عربا.

إذا كانت الثقافة هي تراث موروث فإن التراث عربي، ولكن البعض يحاول أن يمحو كل هذا ويخرج بلغة جديدة وأظن أن هناك التباسا، فعندما يعملون على كره الناس للعربية فليس بالامازيغية نواجه المشاكل اليومية سواء في التعليم أو غيره... والواقع أنه إذا فقدنا العربية فليس هناك من بديل آخر الا الفرنسية.

بعض الأوساط الفرنسية لم ولن ترضى على استقلال الجزائر وعلى وجود أمة جزائرية موحدة، لقد كانت نيتهم عندما تأكدوا أن بقاؤهم في الجزائر غير ممكن. تفتتت البلاد إلى دويلات صغيرة متكونة من مجموعات اثنولوجية، أي دويلة في الأوراس، وأخرى في منطقة القبائل، وأخرى في الصحراء، ودويلة فرنسية في إحدى مناطق الشمال، ولكن الثورة أبطلت مفعول كل هذا، وعمقت روح الوحدة الوطنية التي أفشلت جميع مخططات الاستعمار، لكن لا يمكن القول ان هذا التفكير، وهذا المنطق قد انتهى بخروج فرنسا، لقد عملوا ويعملون اليوم

على ابراز أقلية، وتعميق الاحساس لديها أنها مضطهدة تحتاج إلى حماية خارجية، أي خلق مشكل في الجزائر مثل مشكل المارونيين في لبنان، هذا هو هدف فرنسا، وهذا هو الخطر الموجود، ولا بد أن نعالجه بكيفية علمية، يجب أن لا نجرح الناس.

هناك اليوم تيار بربري يقول ان الثقافة البربرية مضطهدة، ولذلك لا أرى مانعا من أن تدرس اللهجات البربرية كلها، مثلما لا أرى مانعا في وجود فروع جامعية، لكن مسألة اللغة العربية مفصول فيها، فهي لغة كل الجزائريين أيا كانت المنطقة التي يعيشون فيها، وهي اللغة التي استعملوها عبر القرون.

يجب اطفاء هذه الحساسيات، ولا ينبغي ترك الأمر يصل إلى حد الفتنة بين مختلف المناطق، لا ينبغي ترك الأمر يتطور ويتشنج بين ما يسمى عرب وبربر، وهذا الأمر يحتاج إلى معالجة علمية مدروسة.

هناك أطراف خارجية تزرع بذور الفرقة والشقاق خاصة بعض الأوساط الفرنسية وهدفها الحقيقي ليس الدفاع عن اللغة البربرية بل معارضة العربية لغة وثقافة.

وهناك طرف آخر وراء هذا الأمر لا ينتبه إليه الكثير من الناس؛ ان محاولة ابراز الاقليات في العالم العربي الإسلامي وراءها الصهيونية العالمية التي تحرك المسألة بطرق علمية بما فيها البربرية.

لنأخذ العناصر الفرنسية مثلا وراء الحركة البربرية فاننا نجد أغليبيتهم من اليهود بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان، والاقليات المضطهدة، ولكن الهدف الحقيقي لليهود، والصهيونية هو تفجير البلدان التي تقف ضدهم وخلق عدم الاستقرار فيها.

يجب ان نفهم الناس، وان نركز على تنمية الروح الوطنية عند جميع الجزائريين، وأن نجعل النقاش علميا، مبتعدا عن الحساسيات والنظرة الضيقة، وأن يتشبع الشباب بالثقافة العربية الإسلامية، ويدركوا أنها شئ ليس غريبا عنهم، بل هي تاريخهم وأساس تكوين شخصيتهم.

ان ما يسمى تراثا عربيا هو تراثنا، ساهمنا فيه بقسط هام، أما التراث الفرنسي فهو خاص بالفرنسيين، واعجابنا « بفيكتور هيجو » أو « لامارتين »

لا يمكننا من القول من أنه جزء من عبقريتنا ، أما عندما نتحدث عن ابن خلدون أو غيره من فلاسفتنا ومفكرينا فهذا جزء من ثقافتنا وحضارتنا هو لنا ، وكما تقول الحكمة الشعبية « المكسي يتاع الناس عريان » .

ولهذا فإن المسألة تتطلب معالجة علمية موضوعية هادئة ، وهنا يظهر بصورة جلية جانب من جوانب الضعف في الحركة الوطنية ، وجبهة التحرير الوطني ، صحيح أن حرب التحرير انتهت لكن الثورة مستمرة بعد استرجاع السيادة الوطنية (1) .

وتحت عنوان : « تهويمات الأستاذ حسين آيت أحمد » كتب الدكتور أبو القاسم سعد الله مقالا إثر تصريح هذا الأخير ببعض الأطروحات ، أثناء حديث متلفز في الشاشة الوطنية عبر برنامج (لقاء الصحافة) ليوم 15/2/1990 . وقد جاء في المقال المنشور بجريدة الشعب يوم 19/2/1990 مايلي :

« وعلى ذكر البربرية نقول انك غامرت بإجابة لا نعرف هل هي لعالم باللسانيات ، وتاريخ اللغات والثقافات ، أو هي لسياسي يقوم « بالدعاية » لحزبه ومذهبه ؟ فأنت تقول - إذا فهمتك جيدا - أن البربرية أقدم « لغة » حية في البحر الأبيض المتوسط ، فهل تقصد « بالحياة » هنا حياة النصوص أو حياة المشافهة ؟ والمعروف أنه ليس للبربرية نصوص قديمة ، لأن أهلها آستعملوا في الكتابة لغات أخرى ، كالفينيقية واللاتينية والعربية . وأما المشافهة فاليونانيون والعبرانيون اليوم يتكلمون لغاتهم « أصواتهم » القديمة ، ودون أن ندخل في الاختصاص المحض - وأنا بصراحة لا أعد نفسي عالما بالصوتيات واللهجات - نقول ان البربر القدماء كالعرب القدماء ، كانوا قبائل عديدة وقد ذكر منهم النسابة كابن خلدون أصولا وفروعا ، وكلمة « مازيغ » لا تطلق إلا على من انتسب منهم الى مازيغ بن كنعان ، فإطلاق كلمة « الأمازيغ » على كل البربر فيه نظر ، وكذلك إطلاق الأمازيغية على كل لجهات البربر ...

(1) جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 8/10/1989 .

ولولا القرآن الكريم لكان مصير اللهجات العربية القديمة كاللهجات
البربرية أيضا، لبس لها رابطة، فمن قال ان اللهجة لشاوية مثلا هي اللهجة
السوسية وهي اللهجة النفوسية... الخ، هل لها قرآن يجمع بينها، أو حتى
نصوص مرجعية ؟ أما «التافيناغ» التي ذكرتها فأهل الاختصاص يقولون أنها
تعني - بعد حذف حرف التاء - «الفينيقي» أي اللون لأرجواني.

أخيرا، لقد كنت أتمنى لو أنك تحدثت عن تصورك للمشروع الثقافي
للجزائر ودعوت الى إنشاء (أكاديمية جزائرية) تبحث في ترقية اللغة العربية
والصلة بينها وبين البربرية عبر التاريخ وإحياء الثقافة الشعبية من أمثال وحكم
وأشعار، ولست أدري ما الذي جعل تلاميذك يعتبرونك قادما من «بلاد أخرى»
فلم يطرحوا عليك تصورك لمستقبل اللغة العربية في الجزائر، والنظام التربوي
فيها، ورأيك في انتمائها المغاربي والعربي، والإسلامي. فهل كل ما جاء به حزيك
في المشروع الثقافي هو الأمازيغية ثم الأمازيغية ؟ وهل كل تصورك لدولة
الإسلام هو أنها «دولة الآخرة» (1).

(1) أنظر المقال بكملة بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 19/2/1990.

الفصل الرابع

علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية

ومعاً تقدم فإن الحركة البربرية هي صنيع الفرنكوفونية في الجزائر، بدون منازع، بدليل أن رأس الحرية لهذه الحركة يقع في الجزائر في الوقت الحاضر، وليس في غيرها من بلاد المغرب العربي الأخرى... وما كان لهذه الحركة في الجزائر أن تستفحل وتستأثر بهذه الأضواء والأبواق الغربية، وتؤسس لمخدمتها أكثر من خمسة أحزاب سياسية (الى حد الآن) في الجزائر على شكل تنين ذي رؤوس متعددة.. ما كان لهذه الحركة أن تأخذ هذا الحجم في المغرب الأوسط لولا العزم والحزم الملاحظ في مجال التعريب (للتعليم) في هذا البلد، بكيفية لو تواصلت على نفس الوتيرة (دون اصطناع عراقيل مماثلة من الداخل) لتحقيق الاستقلال اللغوي عن اللغة الفرنسية في جميع مراحل التعليم وتخصصاته، ولأصابت العدوى الإيجابية بقية البلاد المغربية الأخرى، التي ما تزال فيها الفرنسية سيادة المدارس والجامعات... والدليل الثاني لعلاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية... أن كل دعائها في الجزائر من الكُتّاب (بالفرنسية) أو على الأقل من المتعلمين في المدارس الفرنسية (التبشيرية المسيحية) والذين لا يجهلون اللغة الوطنية فحسب، بل يناصبونها عداً صليبياً، لا يعادله إلا حقد (جون ماري لويان) على المهاجرين العرب في فرنسا! والدليل الثالث على علاقة الحركة

البربرية بالفرنكوفونية، هو أن جل زعمائها السابقين والحاليين لم يكن لأي منهم موقف وطني مشرف أثناء ثورة التحرير المجيدة فيما نعلم باستثناء القليل جدا ومنهم السيد آيت أحمد*.

والدليل الرابع على أن الحركة البربرية صنيع الفرنكوفونية، وعميلة لها بدون منازع، هو هذا التصريح الرسمي لأحد زعماء حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (وهو حزب ذو طابع شعوبي) والذي يقول فيه بالحرف الواحد «وباعتبار الفرنسية لغة اتصال وعلم وتكنولوجيا، فنحن نختلف مع الذين يقولون بأن هذه اللغة ليس لها مكانتها في الظروف الراهنة وحتى في المستقبل...»** وحتى يومه على الذين يسارعون باتهام الحزب بالعمالة المباشرة لتأييد احتلال الشخصية الوطنية (العربية الإسلامية) للجزائر، يضيف قائلا : « لكن نحن نعمل جاهدين من أجل أن تصبح الأمازيغية والعربية لغتي علم وتكنولوجيا وإدارة وصالحتين للحياة العملية » وهذا الكلام فيه إقرار صارخ بأن العربية لغة ميتة مثل البربرية، وهي ليست صالحة للحياة ؛ وبوضعها في كفة واحدة مع الأمازيغية (أي البربرية) معناه اللاتعريب في الجزائر إلى الأبد، لأن البربرية لا يمكن أن تصل إلى مستوى منافسة الفرنسية والعربية في الظروف الحالية على الإطلاق، وحتى لا يفسح المجال بالتعريب الحقيقي للعربية، كي تنافس بجدارة اللغة الفرنسية في جميع مجالات الحياة يعمد إلى اصطناع الضرة لعرقلة العربية ومنافستها، بل مقاسمتها السيادة في التعليم والإدارة لكي يخلو الجو - حتما - للفرنسية وحدها، كي تم الجذور في الواقع الاجتماعي إلى أجل غير مسمى، وهذا ليس إلا هدفا فرنكوفونيا بعينه ؛ والدليل التمويهي الثاني الذي يثبت تنفيذ الخطة الفرنكوفونية بإحكام، هو قول الزعيم الحزبي في مكان آخر : « ... وفي ميدان التعليم نحن لا نريد أن نقف كمنتقدين بل نقترح البديل والحلول، وفي اعتقادنا أن رفع المستوى ينوقف على التدريس بلغة الأم أي العربية والأمازيغية معا... ».

★ راجع الفصل الثاني .

★★ راجع الفصل الثالث .

وإذا عرفنا أن في الجزائر أكثر من عشر لهجات متداولة في مختلف مناطق البلاد، وهي متفرعة في الأصل عن اللغة البربرية القديمة المندثرة منذ ما قبل الفتح الإسلامي (كما سنرى بعد حين). والسؤال المطروح هو أي من هذه اللهجات المتفرقة عبر الوطن سيصبح لغة رسمية ولغة أم ولغة وطنية؟ والنتيجة المحتملة - حينئذ - هي سيادة اللغة الفرنسية وحدها في الميدان، كبديل جاهز في كل حين لتفاهم الناطقين باللغات الجديدة (الوليدة) في غياب العربية الوحيدة !.

والدليل الخامس على علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية والاستعمار الجديد هو أنه على الرغم من تسمية حزبهم « بالتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » إلا أننا لا نجد نشاطهم منصبا على غير اللغة، واللغة وحدها؛ فهل الثقافة والديمقراطية عند دعاة الحركة البربرية لا تشمل إلا اللغة ؟.

وحتى لو جارينا دعاة الحركة في هذا الاتجاه (اللغوي) أليس من المفروض أن يحدثونا عن هذه اللغة (التي وضعت بين عشية وضحاها أمام استرجاع العربية مكانتها التي أفقدها إياها الاستعمار الفرنكوفوني) ؟ فهل البربرية كانت حقا لغة موحدة قبل الفتح الإسلامي (المتهم بالقضاء عليها) والتاريخ يشهد لنا أن هذه اللغة (البربرية) المدعاة، لم تعرفها البلاد إلا في شكل لهجات تنقسم في مجموعها الى ثلاثة أقسام وهي : اللهجة الزناتية المنتشرة في ليبيا وتونس والجزائر، (ماعدا منطقة القبائل بالجزائر)، واللهجة المصمودية، وهي موجودة عند شلح المغرب الأقصى بجبال الأطلس وبلاد السوس، واللهجة الصنهاجية المنتشرة في بلاد القبائل بالجزائر، والتوارق بالصحراء. فما هي أصول هذه اللغة وبأية حروف كانت تكتب في الزمن الغابر؟ ومنذ متى أصبحت هذه اللهجات لغات مستقلة عن بعضها؟ وما هي حدودها الآن في بلاد المغرب؟، أي ماهي حدود هذه اللهجة بالنسبة للهجة الأخرى أو ما هي حدود هذه اللغة المتطورة عن لهجة، وعلاقتها باللهجات أو اللغات الأخرى المنتشرة في المنطقة؟! وهذا كله قبل الشروع (الهستيري) في المطالبة بتدريسها وجعلها لغة وطنية كما سبقت الإشارة المأخوذة من تصريحاتهم الرسمية المكتوبة. فكيف يمكن أن تتخذ لغة رسمية

ووطنية و 90% من سكان الأقطار المغاربية لا يعرفون حروفها ولا قواعدها التي يجري العمل حثيثا في المخابر الفرنسية (كما سبقنا الإشارة) لاصطناعها اصطناعا ويعتبرها من العدم حية تسعى!¹

وحتى لو سائرنا هؤلاء الدعاة وأعترفنا بلغة بربرية مكتوبة وحية وموحدة وموجودة في هذه الديار المغاربية منذ القديم... فإن السؤال الحتمي الذي سيفرض نفسه فرضا، هو لماذا لم تكن هذه اللغة لغة وطنية في عهد ماسينيوس أو خلفائه، بل أنهم كانوا مفرمين باللغة اللاتينية واليونانية، فمثلا ربي ماسينيوس أولاده تربية إغريقية، حيث تعلم ابنه ماصيبس ثلاث لغات هي : الإغريقية والرومانية واليونانية، وهذه الأخيرة هي اللغة الفينيقية القديمة، التي دخلت الى المنطقة، مع ظهور الدولة القرطاجية، ولقد ظلت هذه اللغة (أي البونيقية) سيدة الموقف الى غاية دخول الاستعمار الروماني. والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه على دعاة الأصالة ومحاربة (الاستعمار العربي الإسلامي للبلاد المغربية) هو لماذا لم يستعمل أدباء ومفكرو هذه المنطقة في كتاباتهم اللغة البربرية هذه ؟ وهم كثيرون ونذكر على سبيل المثال المفكر والفيلسوف المسيحي (أوغوسطين) صاحب كتاب «مدينة الله» وكذلك (أبوليوس) الذي يقول عنه (أوغوسطين) ذاته « أن أبولسيوس هو الرجل الإفريقي الوحيد الذي يتمتع بالحظوة الواسعة لدينا نحن الأفارقة »⁽¹⁾ وغيرهم، إذن، فاللغة اللاتينية كانت هي سيدة الموقف في هذه المنطقة، منذ أن دخلها الرومان، مع أوائل القرن الثاني قبل الميلاد... فلماذا -إذن- يصب جام غضب دعاة الحركة البربرية على اللغة العربية البربرية التي انقذت البلاد والعباد من الاحتلال الروماني المسيحي ؟ فلماذا تتهم العربية (زورا وبهتانا) بأنها هي التي حطمت البربرية، في حين أن الحقيقة التاريخية الساطعة تثبت عكس ذلك تماما؟! وأن العربية لم تمس البربرية بسوء منذ وجدت في البلاد، ولعل بقاء اللهجات البربرية أقوى برهان على ذلك.

(1) انظر بحثنا في هذا الموضوع للأستاذ ابراهيم لويس (جامعة الجزائر) ، منشور في جريدة «المساء» الجزائرية 1989/7/4

ولقد كان من الأجدر أن توجه هذه التهمة الى اللغة اللاتينية (أم اللغة الفرنسية) التي قتلت البربرية، قبل أن توجه الى اللغة العربية. فالعربية عندما دخلت مع الفتح الإسلامي الى هذه المنطقة وجدت اللغة اللاتينية هي السيدة الوحيدة، كلغة حضارة وإدارة وعلوم بدون منازع... فما كان من اللغة العربية (كلغة عقيدة جديدة ولغة علوم وحضارة راقية) *، إلا أن ازاحتها إزاحة طبيعية وعنفوية وتلقائية من الألسن، والواقع الاجتماعي، لتصبح الوضعية اللغوية في البلاد على الحالة المتجانسة التي وجدها عليها المحتلون الفرنسيون في القرن الماضي، والتي أحدثت الوضعية اللغوية الراهنة. فهكذا نرى أن اللغة العربية بريئة من تحطيم البربرية براءة تامة، ولم يعرف أبدا في التاريخ أن اللغة العربية عملت في يوم ما (وهذا من أسباب قوتها المسنود بالعقيدة الربانية الحامية) على القضاء على لغة أصلية وجدها عند شعب من شعوب الدنيا التي أنتشر فيها الإسلام، ولعل أسطع دليل على ذلك هو اللغة الفارسية التي ظلت موجودة في هذه الدولة الفارسية المسلمة، وما تزال هي اللغة الرسمية والوطنية بعد أربعة عشر قرنا من الزمان في حظيرة الخلافة الإسلامية، ونفس المثال ينسحب على اللغة التركية وكذلك اللغة الأردية في شبه القارة الهندية. فهذه اللغة ظلت السيدة في منطقتها الى أن اجتاحتها الاحتلال الإنجليزي الذي أحدث فيها ما أحدثه الاحتلال الاستيطاني المسيحي الفرنسي لبلاد المغرب عموما، والجزائر على وجه الخصوص ! وفي سياق هذا التحليل حول شتى التعللات والشعارات التي تدور جميعها في النهاية حول نقطة واحدة، وترمي الى هدف واحد، وهو إزالة العربية من طريق الفرنسية في الجزائر، نورد هذه الرسالة التي أرسلها قارئ الى جريدة « الشعب » الناطقة بالعربية بتاريخ 1989/7/19 وهو دكتور في الطب حيث يقول : « كثر الكلام وتوالت النقاشات حول صلاحية اللغة العربية في بلادنا وخاصة عن مدى صلاحيتها في الميادين العلمية والتطبيقية، هنا يطرح السؤال : هل أن جميع اللغات الرسمية لدى كثير من البلدان كاليابان والصين، وإسرائيل مثلا، كانت بالضرورة لغة علم وأبحاث منذ نشأتها، أم أن هذه اللغة

* راجع كتابنا كيف صارت الجزائر مسلمة عربية ؟ مطبعة البعث قسنطينة 1981 .

التي نريدها تسترجع مكانتها الحقيقية بهذه البلاد العربية الإسلامية غير مؤهلة لمتابعة الركب الحضاري ؟ الجواب بسيط. إما أن نكون، أي نسترجع شخصيتنا المشوبة ببرائن الاستعمار أو لانكون فنكسر من التلاعب بالمبادئ ونترك الباب مفتوحا أمام أصحاب الديمقراطية المدسوسة بأفكار رجعية وطائفية تحت ستار (التنوع الثقافي)، وهنا نلاحظ الإشارة الواضحة من القارىء الى حزب (التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) المشار اليه سابقا ..

وتعليقا على هذا الحزب بعد انعقاد مؤتمره الأول في جريدة الشعب ليوم : 1989/12/18 جاء مانصه : « ... التقلية الجديدة التي خرج بها التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية في مؤتمره الأول الذي عكس نظرة قيادته الى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد حاليا في أنها ثانوية ولا تستحق اهتماما كبيرا، وأقتصرها على الجانب الثقافي والهوية الوطنية والتي لاتزال مطروحة للنقاش في الساحة الوطنية في نظرهم بعد الفصل والحسم في مسألتها على أنها بمثابة مفتاح اللغز لهذه الأزمات والمشاكل، وبالتالي بالإمكان اللجوء الى طبع الأوراق النقدية وتسديد الديون وملء جيوب الشعب بها... وهذه ترهات لا أساس لها من المنطق.

كما أن الثقافة المحصورة في الأمازيغية في نظر « التجمع » يجب أن تعتمد وسائل وإمكانيات مستوردة من وراء البحر، وتروجها بالفرنسية لخدمة الفرنكوفونية والعكس صحيح، واتضح ذلك جليا من أشغال هذا المؤتمر السائد بلغة (فرنسا) التي كانت تصبح بها قاعة المؤتمرات لمدة يومين، ويتخيل المرء وكأنه في مؤتمر الدول الفرنكوفونية، حتى الأمازيغية (البربرية) والعربية كان حظهما ضعيفا، إلا من التحية الأولى للحاضرين عند الدخول في التقرير، أو التدخل في البداية، والتي آستغنى عنها المتدخلون فيما بعد، لأنهم أمازيغيون (أي بربر) جسما وانتما، وفرنسيون عقائديا وتفكيريا، ثم بعد هذا كله هل طلقت الأمازيغية (البربرية) أختها العربية، التي عاشت معها تحت سقف واحد لمدة 15 قرنا، لتتزوج بالفرنسية التي دخلت عليها بالأمس بشق النفس، والتي لم تدخل جبال القبائل إلا بعد 12 سنة من احتلال الجزائر، وكانت استماتة رجالها ونسائها من أرواح الأمثال، ودخلت على أشلاء لالة فاطمة نسومر، وغيرها من المجاهدين،

الى ثورة نوفمبر التحريرية، وفي مقدمتهم كريم بلقاسم وديدوش، وعميروش؟! ماذا حدث للتاريخ، هل زور في قاموس التجمع؟ جميل التفتح على الثقافات الأخرى، وشهابنا لحسن الحظ لا يعاني أي عقدة في ذلك، وبدون تمييز لهذه الثقافات، لكن أن يكون هذا التفتح في اتجاه واحد ومغاير لمضمونه وأهدافه الحقيقية، وزيادة على ذلك على حساب الشخصية الوطنية... ذلك لا يقبله أي عقل أو منطق وطني سليم».

ويؤكد هذه المعاني كلها قلم وطني ناصع البياض في هذه المسألة حيث يقول صاحبه الأستاذ محمد الصغير زمالي من الأوراس: ما نصه في مقال له منشور في جريدة الشعب بتاريخ 1990/4/3 :

«...ومن أجل وحدة الوطن ووحدة الشعب، هذا الشعب الذي قدم ملايين الأحرار قربانا على مذبح الحرية والوحدة، هذه الوحدة التي ناضل من أجلها ماسينيسا لا للجزائر وحدها بل لكافة إفريقيا، وأستشهد من أجلها العقيد عميروش والمحواس جنبها الى جنب، في ميدان الشرف، نقول لدعاة إثارة النعرات الجهوية والعصبية القبلية أننا نعرف جييدا نواباهم الهادفة الى ترسيخ الفرنكوفونية تحت غطاء الأمازيغية، بعدما تأكدوا أن جيل المدرسة الأساسية يقضي عليها لا محالة، فنهاية الفرنكوفونية اقتربت، تيقنوا من ذلك، وأن الأمازيغية لها حمايتها الأحرار كثرات أصيل لهذا الشعب البطل، يبقى فقط، وللتاريخ، وإذا كنتم فعلا تنتسبون للرجال الأحرار، وتسري في عروقكم قطرة دم منهم، أن الذين تدافعون عن لغتهم هم الذين نكلوا بلالة فاطمة نسومر يوم قادوها سبية رغم شجاعته وجرأته، إنهم هم الذين أهانوا اللبوة الأمازيغية الحرة التي لا تهان، إن الذين تدافعون عن لغتهم هم الذين نخلوا جسد أسد جرجرة عميروش البطل، على الأقل خذوا موقفا منهم «تغنانت» كما قالت الكاهنة!»

نماذج لمجموعة من ردود أفعال الصحافة والشارع الوطني تجاه الأهداف الفرنكوفونية للمحركة البربرية

فتحت عنوان : « الأمازيغية بالفرنسية » ورد في مقال منشور بجريدة المساء في عددها الصادر بتاريخ 18/12/1989 بإمضاء عمر أورتيلان (صحفي) جاء فيه :

« ... لسنا ندري ألعقم أم لعاهة فيها بدت في آخر لحظة حالت دون اقتحام الأمازيغية قصر المؤتمرات بنادي الصنوبر لتقبوا مكانتها التي من أجل استرجاعها واستعادة سيادتها عقد دعائها وحمايتها ومتبنوها مؤتمرهم منذ يومين، هذا المؤتمر الذي يخيل لمن تتبع أشغاله أنه مؤتمر فئة أو شريحة اجتماعية فرنسية متحيزة - لا يهم هنا توجهها - ولكنها فرنسية ومعترزة بفرنسيتها وانتمائها الغربي..

لقد أثر هؤلاء وفضلوا استعمال اللغة الفرنسية التي كانت بدون منازع سيدة الموقف والقرار في مؤتمر (الأر. سي. دي) أي التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، وإضافة إلى هذا أيضا الوعاء الذي صبوا فيه أفكارهم، ومواقفهم من جملة من القضايا والمسائل التي تناقلتها منشوراتهم، إذ لم تحظ الأمازيغية سوى بالجزء القليل من مساحتها..

قد يرجع هذا إلى عدة معطيات مرجعية، منها أن الأمازيغية لم ترق بعد إلى مستوى الخطاب الثقافي والسياسي، ومنها عدم تمكن كل المشاركين من السيطرة عليها، فاستعمالها بطلاقة في تدخلاتهم ومناقشاتهم، قد يكون هذا وقد يكون ذاك.. غير أن الغريب في أمر هؤلاء دفاعهم المستميت عن اللغة الفرنسية التي طالبوا بإعادة الاعتبار لها وكأنها فعلا تعرضت لإهانة في وقت ما.. وليت ذلك حدث فعلا، لأنه شرف لنا ومفخرة.

لقد أهينت الأمازيغية في مؤتمرها ، وتلك حقيقة وواقع عاشته لمدة يومين كاملين ، فهل مرد ذلك أن حمايتها تأمروا عليها ، أم أنهم مقحمون فقط عليها ، وبالتالي فهم محسوبون على الأمازيغية وليسوا بأمازيغ أحرار...؟
إن واقع مؤتمر (الأر. سي. دي) يؤكد هذه الفرضية إن لم نقل المسكنة ، والحجة قائمة وتظل الى أن يثبت العكس... ١ » .

وورد تحت عنوان : « اللغة بين حقد الأمس.. ومكر اليوم.. ١٢ » مقال منشور بجريدة الشعب الصادر بتاريخ 1989/12/13 ، بإمضاء ب. ع مهندس فلاحي ببوقرة (ولاية البليدة) جاء فيه :

« ... في الأيام الخوالي ، أيام كان الاستعمار - تسلط الفرنسيين - جاثما على صدورنا رابضا على أنوفنا ومغتصبا لكل موضع أنفة فينا.. كان حصان طروادة هو التمكين قهرا للغة « فولتير وموليير » .

كانت « الغو » اللغة الرسمية رغم أنف البلاد والعباد.. تطبق على أصحاب الشعر الأشقر والعيون الزرق ، كما تفرض على « الأنديجان » على مستوى الإدارة ، وفي كل المعاملات الرسمية..

كانت الضرة الفرنسية - كما هو معلوم - بطاقة اجتياز لم يفز بتعلمها إلا النزر القليل من أبناء الأهالي.. وكما هو معلوم علم اليقين ، كان الحظ في ذلك من نصيب أبناء البشاغات والقياد..

وفي خط مواز اجتهد وكد جلاوزة الفرنسيين ، من أجل التشجيع في نفس الآن ، على اللغات الشعبية..!!؟ الغاية المرجوة والهدف المنشود من ذلك.

تحقيق من جهة الذبوع والشيوع للغة ونشر فكرته وحضارته وزرع ديبب الخلاف ، وبث الانقسامات في الأهالي - فرق تسد - وجعلهم كيانات وكائنات لغوية لا يربط بينهما رابط ، لكن هذه الحيلة لم تنطل في تلك الأيام الحالكات ، لأن الوطنيين من أبناء هذا الوطن الغالي فوتوا الفرصة على فرنسا ، وتفظنوا لما ربحها وهي أولا وأخيرا هلهلت صفوفهم.. السناريو يعاد من جديد - في عهد الاستقلال - ولكن بواسطة ممثلين في بني جلدتنا لأداء نفس الأدوار..

والأدهى في كل ذلك أن المهمة أوكلت لأكثر من حزب سياسي اكتسب الشرعية!؟

وراح الأقزام من هؤلاء يتغنون بنفس الدعاوى.. بل دأبوا في الآونة الأخيرة على رفع صوتهم دون خجل على المطالبة والدعوة بكل ما أوتوا على ضرورة وأهمية تشجيع اللهجات المحلية على اختلاف مناطقها...!

القاسم المشترك بين دعاة تشجيع اللهجات المحلية بالأمس واليوم هو النية المبيتة بغية النخر في جسد هذه الأمة، حتى تصير مجموعة أشلاء مجهرية، ومن ثم تكون لقمة سائغة تتداعى عليها الأكلة من كل حذب وصوب.. بعد 27 سنة من عودة السيادة والكرامة لشعبنا...!

أقول لك أخي القارئ، صدقت فراستك وما يثلج الصدر أنك لست بالخب، ولا تنطلي عليك الحيل إنما أريد أن أهمس في أذنك لأقول لك فقط بأنهم « أبناء فرنسا...؟ »

وتحت عنوان : « مؤتمر أمازيغي بالفرنسية » ورد مقال صحفي بجريدة النساء الصادرة بتاريخ 1989/12/17 جاء فيه :

« مؤتمر مولع بنفسه الى حد النرجسية، لم يعيه التصفيق بين الحين والحين، من العاشرة صباحا حتى منتصف الليل، لا يستثني من ذلك إلا أوقات الغذاء والعشاء... »

والذي ينبه القاعة الى التصفيق قياما أو لتصفيق قعودا، أو عدم التصفيق، كلمات - مفاتيح - تفعل في المؤتمرين فعل السحر... اللاتكينة تبعث على التصفيق و« اللاتكينة حماية للدين » تبعث على التصفيق قياما، و« اللاتكينة هي الضمان الوحيد لشرف المرأة » تزيد من كثافة التصفيق وتضيف اليه زغاريد النساء، وهكذا تستطيع أن تقيس على ذلك « التطرف واللاتسامح » و« غلق كتاب تعليم القرآن ».

وعندما تفلت عبارة تدعو الى تطوير أساليب التربية الدينية وتحفيظ القرآن الكريم، تسري في القاعة برودة قاتلة !

ولا تفرق القاعة في التصفيق بين من يتدخل باسم هذه الجمعية أو تلك، ولا باسم هذا الحزب أو ذاك... ولا بين من يقرأ تقريرا جهويا، أو بين متدخل في المناقشة العامة... فكل القاعة تصفق لكل القاعة في نهاية التحليل... وليس

شيء أكبر من ذلك في الدلالة على إجماع القاعة مكتبها ورئيسها ومندوبين... بل وصل الإجماع إلى أن القاعة تذهب في الاستدلال إلى مصادرات المكتب وخطبة الرئيس، بعيدا في التمثيل وضرب الأمثلة، بعيدا في التطرف والجرأة.

فقد قال الأمين العام للحزب مثلاً: « أنا أتكلم الفرنسية بلا عقدة، ولا مشاكل... » وذهبت القاعة إلى « ضرورة رد الاعتبار للغة الفرنسية... » والي « أن الفرنسية إرث عظيم »، بل وذهب المؤتمر كله إلى أن الفرنسية هي الأصل في النقاش، ولم تستعمل العربية والأمازيغية إلا مرات قليلة جدا في المناقشة العامة، وقراءة التعاليق... أما الوثائق فلا أمازيغية فيها ولا عربية ولا هم يعززون... فنحن أمازيغ بحكم الأصل ويجب أن نعمق علما بأصلنا ولكن باستعمال الفرنسية من البدء إلى المنتهى.

وأتعجب لأحدهم حين قال : « أنا أمازيغي منذ أربعة عشر قرناً، ولكنني لا أحسن الأمازيغية... » وكان تدخله بالفرنسية... ولم يضرب لنا المؤتمر المثل مرة واحدة في أنه أمازيغي قلباً وقالها من ناحية استعمال اللغة الأمازيغية، فلم يشأ رئيسه أن يكلم الصحفي السوري بغير الفرنسية ليقول له « أن لاشيء يربطنا بالعالم العربي » ولو كان كلمه بالأمازيغية، لكان أبعث للسوري ولنا على تقديره «.

وتحت عنوان : « حصان طروادة أمازيغي » جاء في مقال صحفي منشور بجريدة المساء بتاريخ 1989/12/17 مايلى:

« المقومات المكونة للشخصية الجزائرية هي عناصر : الأمازيغية والإسلامية والعربية والإفريقية والمتوسطية.

هذا باختصار هو المشروع الثقافي المرجعي للمجتمع الديمقراطي الجزائري الذي طرحه حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي يعقد مؤتمره الأول بقصر الأمم.

فاللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية، واللغة الأمازيغية هي أيضاً لغة وطنية على قدم المساواة، ولا بد أن تأخذ مكانتها في التعليم والإعلام والتعامل اليومي.

من كان قد عرف هذا وهو يتجه الي مؤتمر الـ « الأر. سي. دي » لاشك أنه يرتاح، فهو علي الأقل لن يجد صعوبة كبيرة أو عناء في فهم ومتابعة الأشغال إن لم يكن قد أسعفه حظه في التفتح على لغة أجنبية، فهو علي الأقل يفهم العربية والأمازيغية، أو إحداهما فبستعين بمن يكون جالسا بجواره على عكس مؤتمر الاجتماعيين الديمقراطيين، الذي صالت وجالت فيه لغة فولتير، إلا فيما ندر، غير أن الداخل الى قبة القصر سرعان ما يتملكه الذهول وهو يقرأ شعارات المؤتمر المكتوبة بالعربية والفرنسية والأمازيغية ولكنها أمازيغية لاتينية اختارت الضفة الشمالية للمتوسط وفضلت حرفها على حروفها التاريخية، أو على الأقل حروف أختها العربية، ويتبدد هذا الذهول عندما يتحدث رئيس مكتب المؤتمر بعربية طليقة، ويحي الحاضرين بأمازيغية أصيلة ليزكروا بأنه إذا لم يكن ممكنا قبل اليوم التحدث في قاعة قصر الأمم بالعربية، والأمازيغية والفرنسية، بدون إرهاب وبدون مركب فإن الفضل لأخواننا الذين ضحوا في أكتوبر!!

وتقدم الأمين العام للحزب الدكتور سعدي سعيد ليتلو تقريره فبدأ كلامه بعربية بسيطة، بعد أن حيته القاعة تصفيقا ووقوفا وزغرودة، أنطلق فصيح اللسان بفرنسية جيدة متقنة وقد تخطى الأمازيغية!!

وتوالت تدخلات الضيوف التي استهلها ممثل فلسطين بالعربية، ليعقبه ممثل الحزب الاشتراكي الفرنسي، فتعود الفرنسية تدندن في القاعة، مما أغرى كل الضيوف ان يحذوا حذوه إلا قلة اعتمدت العربية، ومن هؤلاء ممثل حزب الباكس، ورئيس الاجتماعيين الديمقراطيين، وممثل اتحاد القوى الديمقراطية.. أما الآخرون فلم يزدوا على أن يفرشوا لتدخلاتهم بالعربية أو الأمازيغية لتكون الوجبة بالفرنسية وهو الفراش المقدمة الذي رأى أغلب المتدخلين ضرورة الاستغناء عنه خاصة الجمعيات النسوية!!

ويأتي الصحافيون الي ندوة الدكتور سعدي عليهم يظفرون لديه على إجابات عن قضايا طالما اكتنفها الغموض في توجه هذا الحزب، وطالما أن مؤتمره يرفع شعار خطاب الصراحة. فقد كان الدكتور وفيما له حتى العظم، وهكذا فهو يرى الوحدة المفاربية ضرورة تفرضها الظروف الاقتصادية وموقع المنطقة. أما

الوحدة العربية فهو ليس مستعدا للتعامل مع أنظمة تعتبر التعذيب قانونيا..
علاوة على أنه ليست هناك أمة عربية حتى تتحد !!

وال « الأر. سي. دي » يساند الشعب الفلسطيني، لا لكونه عربيا، أو لأن
إسرائيل تضطهده ولكن لأنه شعب يبحث عن مكان له تحت الشمس، ومن ذلك
فهو يساند الشعب الشيلي !!

وعندما يتساءل صحافي جبهوي عن جدوى البعد المتوسطي، فجواب
الدكتور صارم وصريح، إذ أنه يتمثل في الثقافة المتوسطية أي الفرنسية بدون
عقدة، وهو مرتاح ومنسجم مع نفسه ولا تكفيه أمازيغيته وعربيته وإسلاميته،
ولا بد له من المتوسطية، لأنه مقبل على الألفية الثالثة، والتفتح على الثقافة
الإنسانية يأتي قبل الهوية الوطنية والدكتور ما دام تكوينه فرنسيا فهو لا يتعب
نفسه في تعلم العربية التي يقر لها بالوطنية الجزائرية، والرسمية للاستعمال
الديبلوماسي ويكفيه من العربية أن يبيع بها ويشترى، ولذلك لا يتحرج من أن
يجيب صحافيا عربيا بالفرنسية ويطلب منه البحث عن مترجم !!

وببدو أن ال « الأر. سي. دي » لن يتبين البعدين العربي والإسلامي إلا
مجازاة للدستور الناقص - الظالم للأمازيغية - أو ليكون جواز مروره الاجتماعي
والشرعي، بل وحتى الأمازيغية ليست إلا حصان طروادة لتكريس الفرانكوفونية،
أو سفينة نوح لإنقاذ الفرنسية باعتبارها إرثا ثميننا تركه لنا الاستعمار الفرنسي !
وفرنسا هي الأقرب إلى الجزائري الأمازيغي حتى الذي يعتذر عن عدم معرفته
الأمازيغية، رغم أنه أمازيغي منذ 23 قرنا، فالتقارب لا تذيبه أملاح البحر لأن
في فرنسا أسماء جبال وأنهار لها أمثالها في الجزائر !!

وحتى الذي يقول أن جدته المسكينة لا تفهم نشرة الشامنة لم يخبرها إن
كانت هذه المجدة تفهم برامج القناة الثالثة، وتقرأ المجاهد اليومي والجزائر
الأحداث، ورسالة التجمع في نسختها الفرنسية أو حتى الأمازيغية المفرنسة !!

واللغة الفرنسية لغة وطنية في مفهوم الدكتور الذي يعتبر كذلك كل
لغة مستعملة في الواقع الاجتماعي، إذن لا يحق لنا أن ندين الذين رفعوا السلاح

المنع فرنسا من تبليغنا رسالتها الحضارية التمدنية، ليعيدوا شذنا الى عجلة
التخلف الزاحف من الشرق»^{١٤}.

وتحت عنوان : « هل هي دعوة الى فرنسة الجزائر ا » ورد مقال بإمضاء فتحي
محمد (الجزائر) منشور بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1990/1/31 جاء فيه:

« في تصريح منلفز لأحد أعضاء الحركة الثقافية البربرية أثناء التجمع
الذي أنتظم يوم الخميس الماضي أمام مقر المجلس الشعبي الوطني قال فيه: « لقد
حاولنا تعلم اللغة العربية ونطلب من كل الذين لا يعرفون اللغة الأمازيغية أن
يتعلموها، ولست أدري هل هذا المتحدث يعي مايقول، أو يتجاهل عن قصد
الأبعاد الحقيقية لهذه المطالب التعجيزية^{١٥} »

ومهما يكن من أمر فإن القضية واضحة وضوح الشمس في رابعة
النهار. إن الذين وراء هذه المطالب ولا أقول المطالبين يعرفون جيدا الأهداف
الحقيقية التي يصبون اليها. وببساطة يريدون ترسيخ اللغة الفرنسية لكي تصبح
أكثر من أي وقت مضى، والى الأبد لغة الإدارة والمدرسة والمحيط... والأدلة على
ذلك كثيرة منها:

إن هذه الحركة التي تدعي الاستقلالية عن أي حزب توهمنا بمغالطة كبرى
ذلك أن أعضاء قبايين في حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية كانوا من
العناصر التي لعبت دورا كبيرا، بل رياديا في إضراب 1980، وهذا ما بين أن هذه
الحركة تابعة الى هذا الحزب وحركت من طرفه^{١٦}

إن إضراب 1980 جاء مباشرة بعد الإضراب الذي شنه أنصار اللغة العربية
والذي أتى بنتائج لا بأس بها، وهذا ما أدى بعناصر من خارج الوطن الى تحريك
هذه الحركة للضغط على النظام لكي يضع حدا لتغلغل اللغة العربية في الإدارة
والتعليم وخاصة التعليم التقني والطبي والتكنولوجي، لأنهم لا يستطيعون
مباشرة المطالبة بإلغاء اللغة العربية لأنها دستورية.

فقد بدأت مطالبهم في بداية هذا الإضراب بإعطاء أهمية لما أسموه
«باللغات الشعبية» ثم تحولت بعدها مباشرة الى المطالبة بالثقافة الأمازيغية
وحرية التعبير، ثم في الأخير بعدما تم تجنيد أكبر عدد ممكن تحولت الى الإعلان

مباشرة عن عدائهم للغة العربية، وضرورة محاربتها وشتم الإسلام، وأبطال الثورة التحريرية وجمعية العلماء المسلمين والعرب بصفة عامة ١٢

وقد نجحوا الي حد بعيد في مخططهم الذي هو في الحقيقة مخطط استعماري خارجي للإبقاء على العربية منذ ذلك التاريخ قبيل أحداث أكتوبر في وضعية محتشمة يسودها الغموض والتردد، الي أن جاءت أحداث أكتوبر حيث وجدت الفرصة سانحة لضرب التعريب نهائيا في الإدارة، وتقهر بشكل فضيع الي يومنا هذا، ومن المفارقات والعجائب الألف أنه قبل سنوات كانت هذه العناصر تتهم اللغة العربية بالعجز والعقم، وعدم قدرتها على مسايرة مختلف العلوم والتكنولوجيا العصرية، ظهرت هذه الفئة القليلة واستطاعت بدافع الحمية والعنصرية الي تجنيد أعداد كبيرة من المواطنين الأبرياء لتطالب باعتماد ما يسمى « باللغة » الأمازيغية في التعليم والإعلام... والى جانب اللغة العربية التي لها آلاف السنين لغة القرآن الكريم وأهل الجنة.

والسؤال المطروح على أولي الألباب : هل نستطيع أن نقول ان الأمازيغية التي تتحدثها عدة قبائل بالجزائر وفيها اختلافات عديدة، ناهيك عن مئات الألفاظ باللغة الفرنسية واللغة العربية تعد في مصاف اللغات بالمفهوم الأكاديمي والعلمي من نحو وصرف وحروف حقيقية، وليست الحروف التي اصطنعها المرحوم مولود معمري وكاتب يسين، بتدعيم ومساعدة الأكاديمية البربرية التي أنشأتها فرنسا خصيصا، لاستعمالها كورقة ضغط في الشمال الإفريقي، وخاصة الجزائر لحماية لغتها وبالتالي مصالحها في هذه الرقعة ١١

لماذا لم تطالب هذه الحركة وجميع الأحزاب السياسية التي بدأت هذا التجمع ومن قبل ما يسمى « باللغة » الأمازيغية، بطرد اللغة الفرنسية، لغة المستعمر البغيض ١١

ولماذا لم تطالب هذه الحركة والأحزاب السياسية « الباكس والأر. سي. دي، وحزب الإنسان رأس المال، وحزب القوى الاشتراكية، وحزب العمال « التروتسكيين » من الدولة إعطاء مكانة للغة العربية في جميع المجالات ١١

ولماذا هذه المطالبة جاءت من منطقة القبائل دون غيرها من المناطق
كبني ميزاب والشاوية؟

إن القضية أخي القاريء تكمن في شيء واحد، وهو ضرب اللغة العربية
وترسيخ لغة المستعمر بالأمس القريب لا غير، ومن يقول غير ذلك فهو جاهل أو
تحركه العاطفة القبلية التي ولى عهدها في عهد الأتجار الصناعية والصواريخ
التي وصلت الى العديد من الكواكب.

فهذا أخي القاريء القليل من الكثير، فأحرار القبائل يعرفون جيدا لكن
البعض صامتون، لأن فرنسا فعلت فعلتها والويل كل الويل لمن يعارض فرنسا،
وأبناء فرنسا في الداخل، وخاصة الذين تتصدق عليهم ببعض الفرنكات، فباعوا
ضمائرهم وشرفهم ووطنهم، ووضعوا وحدة الوطن في المزاد العلني، وأصبحت
الأمور تنذر بفتنة أخرى أكثر من أحداث أكتوبر، فليتفطن الجميع الى هذه
الخطورة، ولنعمل على ترسيخ الوحدة الوطنية، ونعتمد شعار ابن باديس الذي
قال « الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا ».

الفصل الخامس

علاقة الحركة البربرية بالشيوعية والصليبية

انطلاقاً من أن الشيوعية العالمية أكبر عدو للقوميات، على اعتبار أن القوميات تدعو إلى التمييز بين الأمم (على أساس العرق أو الدين أو الثقافة واللغة) بقطع النظر عن التطبيقات التي يفرضها المستوى الاقتصادي لأفراد الأمة الواحدة، فإن الشيوعية تعمل دوماً على الحيلولة دون قيام الوحدات القومية القوية، ومن ثمة فهي تعمل جاهدة على تفتيت وتزريق ما هو قائم فضلاً عن معارضة ما لم يكن موجوداً.

ومن هذا المنطلق عرف مصطلح « الأمم السائرة في طريق التكون » الذي اخترعه ولأول مرة « موريس طوريس » رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1936، للإيعاء به للبلدان والشعوب المحتلة والتواقعة - حينئذ - إلى التحرر من الهيمنة الاستعمارية الفرنسية (وفي مقدمتها الجزائر) بأنها عبارة عن مجموعة من الخليط القومي المكون من مزيج لا حصر له من الأعراق واللغات والثقافات والديانات، التي تحول دون تشكل هذا الخليط في هيئة أمة واحدة متماسكة الأطراف، في أهم أركانها الثقافية ؛ و من ثمة وصفت الجزائر بأنها أمة في طور التكون « بالمفهوم الطبقي الماركسي » شريطة أن تسير في النهج الشيوعي، وتتمسك بمبادئه تمسكاً لا محيد عنه... وقد وقع الكثير من السذج في هذا الفخ الشيوعي المنصوب بذلكاء، بدليل أن كل أقطاب الحركة البربرية في الجزائر اليوم « من كبار السن » كانوا أعضاء عاملين في الحزب الشيوعي الفرنسي - الذي

أصبح جزائريا بالإسم - فيما بعد ؛ زيادة في التمويه و التضليل؛ وكان من نتيجة ذلك أن انكشف أمرهم و طردوا من صفوف الحركة الوطنية الجزائرية المتحمله حينذاك (في الأربعينيات) في حزب الشعب الجزائري، و حركة انتصار الحريات الديمقراطية، و من بينهم رئيس الحزب الشيوعي الحالي في الجزائر المعروف باسم (حزب الطبيعة الاشتراكية) والذي كان شيوعيا بربريا * . و طرد من حزب الشعب سنة 1949 لموقفه من وحدة الأمة (لسانا و دينا) التي كانت تنادي بها الحركة الوطنية الجزائرية، و في مقدمتها حزب الشعب الجزائري، و كافح تحت لوائها حتى تفجير الثورة المسلحة سنة 1954 التي توجت بأسترجاع الاستقلال السياسي سنة 1962 كما هو معلوم، و في ذلك يقول السيد بن يوسف بن خدة في كتابه : (جذور أول نوفمبر 1954) : « أن أنصار النزعة البربرية لم يكونوا متأثرين بإيديولوجية الاستعمار الفرنسي فحسب، بل أيضا بالإيديولوجية الشيوعية. و للتذكير فإن الشيوعيين كانوا يعارضون مفهوم «الأمة الجزائرية» المكونة سابقا، و إنما كانوا يدافعون عن مبدأ «الأمة الجزائرية في طور التكون» ابتداء من التعايش على نفس الإقليم لمختلف الجاليات (أو القوميات) : العربية، البربرية، اليهودية، الإيطالية، المالطية الإسبانية، الفرنسية، رافضين هكذا الدعامة أو الرابطة العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري. و كانوا في أوج ارتقائهم غداة الحرب العالمية الثانية 1946 - 1947. و كان يتسم الحزب الشيوعي الجزائري بالقوة، نتيجة المساندة التي كان يلقاها من نظيره الحزب الشيوعي الفرنسي. هذا الحزب الذي وصل تعداداه مليون منخرط، وأكثر من خمسة ملايين ناخب، و 166 نائبا في الجمعية الوطنية الفرنسية. الذي كان يعتبر نفسه حام للاتحاد السوفياتي، لانتصاره على ألمانيا النازية، ونتيجة لذلك أنتشرت بوفرة أدبياته في الجزائر و كانت تستهدف - بالخصوص - الشباب المثقف؛

ولهذا ولع الشباب البربري بالماركسية و كذا بدستور الاتحاد السوفياتي الذي مجد نظام الجمهوريات « الإسلامية » : أزربيجان، الأوزباكستان، طاجيكستان، الخ... حيث كانت تؤكد أن كل شعب وكل عرق كان يتمتع بلغته

* انظر الملحق رقم (1)، و (2)

الخاصة، وبثقافته و يستفيد من « الاستقلالية » في تسيير شؤونه. وكنا نجد هذه الحججة غالبا عند الأشخاص الذين تحولوا الى أنصار القضية البربرية.

الى أن يقول في مكان آخر: « ... عوقبوا (أي أعضاء الحركة البربرية من المندسين داخل الحركة الوطنية الجزائرية) على مؤامرتهم التجزئية، وقد التحق معظم المطرودين بالحزب الشيوعي، منهم صادق هجرس الذي أصبح أحد قادته، وما يزال اليوم قائده الأول... »⁽¹⁾.

ويضيف قوله في مكان آخر : « ... وموازة مع هذا قاموا بحملة دعائية حادة معادية للعرب والمسلمين، والمستمدة من أدبيات الشيوعيين ومنظري الحركة البربرية... وكانوا يدعون أن هذا الدين (الإسلام) والعرب، ولغتهم كانت السبب في منعنا من التقدم وهي سبب كل مأسينا، إنه دين الشعوب المتخلفة »⁽²⁾.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن اعتبار الدين من ألد أعداء الشيوعية التي تعتبره « أفيون الشعوب » فكان من المنطقي والطبيعي أن تتحالف الشيوعية الجزائرية - والحالة هذه - وتعمل مع كل من يناصرها ضد العدو المشترك، وإدراكا من قادتها المحترفين، بأن الإسلام في الجزائر كان - وما يزال - يمثل أس الأساس في التمييز الثقافي، وبالتالي التمييز القومي (العربي - الإسلامي) للجزائر، بصفتها جزءا أصيلا من الأمة العربية الإسلامية، كما ينص على ذلك دستورها الحالي (المجدد في 1989/2/23) والذي يعتبر الإسلام واللغة العربية من الثوابت التي لا تقبل المناقشة، أو التعديل كركائز أساسية للهوية، والوحدة الوطنية للشعب الجزائري... فمن هذه الزاوية كان تركيز الحزب الشيوعي منصبا على دعم وتشجيع الحركة البربرية المعادية للعربية بالدرجة الأولى، والتي تدفعها معاداتها للعربية (كلغة غريبة وعدوة) الى معارضة الإسلام، عامل وجودها ورسوخها في المناطق البربرية ذاتها، فضلا عن المناطق الأخرى، التي زالت آثار البربرية من على ألسنة سكانها منذ مئات السنين، كما هو معلوم... والدليل على

(1) ابن يوسف بن حدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سبق ذكره، ص : 163 - 166 .

(2) نفس المرجع .

هذا التحالف الواضح الأسباب بين الشيوعية و الحركة البربرية هو وجود مؤيدين لهذه الأخيرة ومدافعين عنها من بين الشيوعيين الجزائريين (المعربين والمفرنسين) على حد سواء، حتى من الذين لا يعرفون أية كلمة بربرية، ولا يمتنون بأية صلة وصل جغرافية (أو لهجوية) إليها، ومن هؤلاء على سبيل المثال، الكاتب الشيوعي (بالفرنسية) كاتب ياسين الذي يعتبر من أكبر الدعاة الى ترسيم الدارجة الجزائرية بالحروف اللاتينية، كمنافس لـ لغة القرآن، في المناطق المعربة، وإلى إحياء البربرية و ترسيمها بالحروف اللاتينية - أيضا - في المناطق التي ما تزال مستعملة فيها كإحدى اللهجات المتداولة في الحياة اليومية كتداول العاميات العرييات إلى جانب الفصحى في كافة أقطار الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، كما يعتبر أكثر الكتاب معاداة للإسلام والمطالبة بشن الحرب ضده دون هوادة لاعتباره السبب الرئيسي في تعريب البربر بعد الفتح الإسلامي (...). مما حدا به الى تأليف مسرحية معروفة في مطلع الستينيات بعنوان (يا محمد خذ حقيبتك) ومحمد هنا يرمز الى الإسلام والعربية في نفس الوقت، كما هو واضح من العنوان، وقد صرح مرة في إذاعة فرنسية (راديو بوز) سنة 1986 بأن العدو الأول للبربرية في الجزائر هو الإسلام، ومن ثمة يجب القضاء عليه، وقال حينئذ إذا كان أجدادنا البربر قد أنهزموا أمام الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي فمن واجبنا اليوم، وبإمكاننا ذلك، أن نشأ لأجدادنا ونحن أقوى وأفضل حالا منهم قبل 14 قرنا !!

هذا موقف واضح لأحد دعاة الحركة البربرية من الشيوعيين الذين لا يعرفون البربرية، ولا يتحدثون بغير الفرنسية حتى في الحياة اليومية، أما النوع الثاني من الشيوعيين المعربين المتعاطفين مع الحركة البربرية، مع جهلهم لغير العربية (فصحاها وعاميتها) فهو الكاتب الروائي (بالعربية) الطاهر وطار، الذي يشن حملة في الوقت الحاضر على العرب والعربية ويدعو الى اتحاد مغرب بربري، ويدافع عن إخوانه - في العقيدة - (أكراد الجزائر) المظلومين والمقهورين من طرف (دعاة القومية العربية، والبعثيين...) ومما قاله في آخر كتاباته حول هذا

الموضوع: « ... عادة ما يكتفي بعض المعربين عندما يعالجون القضية البربرية بالسخرية والتهكم متذكرين الأكراد ومذكرين بهم، منطلقين في ذلك من رؤى ومفاهيم الخمسينات، حيث كان المد المفهومي الوردى للقومية العربية يطفئ على كل موضوعية وعلمية، وترتب على ذلك معاداة باقي القوميات... »⁽¹⁾

وهنا نلاحظ معاداة القومية العربية، من منطلق شيوعي كما أشرنا قبل حين، وإمعانا في التفتيت لهذه الأمة لحساب الفكر الأُمِّي أو الدويلات، أو الأمميات الطائفية الفسيفسائية، الكائنة أو الواقعة في طور التكون (...). يضيف قائلا في مكان آخر: « ... هذا المغرب البربري، الحقيقة الموجودة ليس له ألف مطلب، إنما له مطلب واحد هو عدم السماح لا لنفسه ولا لغيره بخلق أصوات أجداد اخترقت تلافيف التاريخ وجراحاته ووصلته في عصر تقوى فيه وسائل الهيمنة الحضارية، ويزدهر فيه التعليم وتشتد فيه حمية الضعفاء، ولن يتسائل هل يحدث مثلما يحدث في الجزائر على مرأى من الدولة في مناطق أخرى، أنه في مختلف بقاع العالم بدءا من إسبانيا إلى التبت، إلى إثيوبيا والسودان. تنطرح المسائل القومية والعرقية والطائفية والأقليات بصفة عامة، بمختلف وسائل الطرح بما في ذلك العنف، وليس غير العرب يهولون قضاياهم ومشاكلهم ويواجهونها بالعاطفة، بدل المعالجة العقلانية الصريحة والهادئة... »⁽²⁾.

وتأكيدا لما ذهبنا إليه من تحليل نورد هنا نصا للأستاذ إبراهيم لونسى (معهد التاريخ، جامعة الجزائر)، حيث يقول في رده على هذا الكاتب الشيوعي مانصه: « ... عندما طالعت مقالة الطاهر وطار (في البربرية وقضايا أخرى) أصابت بخيبة أمل كبيرة جدا لا شيء إلا لتحاسله الكبير على بعض الباحثين الجديين من دكاترتنا الذين تناولوا هذه القضية بدراسة تحليلية وعلمية وبصفة أخص فهو يقصد أستاذين لهما مكانتهما المحترمة في الأوساط الجزائرية المثقفة (...) ولأنني أتساءل في استغراب ماهي الأسباب الكامنة وراء ارتدائه لعبانة البربرية في هذا الظرف بالذات، وابن كنت موجودا طيلة السنوات الماضية ياسي الطاهر ؟

(1) جريدة المساء - اليوم 13/6/1989 .

(2) نفس المرجع.

وإذا كنت هكذا غيورا على هذه الثقافة فلماذا لم تخصص لها رواية من رواياتك الخليعة وأن تقدس فيها الثقافة البربرية بدلا من تقديسك للشريعة ياسي الطاهر؟⁽¹⁾

وسبب هذا التحالف الوحيد في جانب منه يعود الى العمل بالمبدأ التقديدي المعروف الذي يقضي بصداقة عدو العدو، وتفادي الخطر الأكبر بقبول الخطر الأصغر، ولذلك وجدنا أول الأحزاب السياسية التي تحارب الدين تحت ستار العلمانية تارة أو الشيوعية تارة أخرى هي الأحزاب ذات الاتجاه (اليساري) والشيوعي، ومنها على سبيل المثال حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، الذي يصرح ناطقه الرسمي في استجواب له مع الصحافة الوطنية بقوله : « بالنسبة الى الدستور والديباجة التي جاء بها والتي تجعل من الجزائر أرضا إسلامية وجزءا لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير... فنحن لا نوافق على هذه الديباجة، وسنعمل في إطار حزينا من أجل تغيير ما لا يتفق مع مبادئنا »⁽²⁾.

ويقول زعيم هذا الحزب في مكان آخر: « أننا سنعمل على فصل الدين عن الدولة، وأننا نعتقد أنه لم يشهد التاريخ نجاح دولة لم تفصل الدين عن الدولة »⁽³⁾.

ولعل هذا الموقف المعادي للإسلام بشكل سافر هو الذي دعا الشارع الوطني الى التهمك على هذا الحزب وخاصة بعد موقفه المؤيد لسلمان رشدي (كما سيأتي تفصيله في مكان لاحق) حيث شرحوا حروفه الثلاثة باللاتينية وهي (R.C.D) أي التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الى قراءة معناها بالفرنسية RASSEMBLEMENT CONTRE DIEU (أي التجمع ضد الله)، الى جانب موقف هذا الحزب من قانون الأسرة الجزائري المستمد كلية من الشريعة الإسلامية... حيث ما انفك هذا الحزب يطالب بإلغاء هذا القانون بكل الوسائل وأوجد لهذا الغرض أكثر من عشر جمعيات نسوية (شبه وهمية) للمطالبة بإلغائه لتحقيق المساواة (في رأيهم ورأيهن) مع الرجل، وهذا مسأدى بالشعب الجزائري في

(1) جريدة المساء ليوم 1989/7/4 .

(2) جريدة الشعب ليوم 1989/3/19 .

(3) جريدة الشعب ليوم 1989/12/14 .

العاصمة الى تنظيم مسيرة احتجاج ضمت أكثر من مليون شخص حسب تقدير وكالة الأنباء الألمانية، و750 ألف، حسب تقدير وكالة رويتر، ونصف مليون حسب تقدير جريدة لوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ 1989/12/23 (وبضع مئات) حسب تصريح القناة الخامسة الفرنسية التي نقلت الخبر!! هذا عن الحزب البربري الأول. أما عن الثاني الذي يسمى بـجبهة القوى الاشتراكية F.F.S فإن زعيمه كان أول ماعبر عنه في أول اجتماع له مع الجمعيات النسوية هو ترسيخ اللاتينية، مع الكفاح من أجل الغاء قانون الأسرة المذكور آنفا لأنه (كما قال) يمثل أكبر إهانة للشعب الجزائري بعد الاستقلال (أنظر جريدة المساء ليوم 1989/12/17).

ويقول زعيم حزب شيوعي آخر مساند للحركة البربرية (P.S.T) ومعتزف بمطالبها... بأن اللغة العربية الفصحى ليست لغة الشعب الجزائري، ومن يدعي ذلك شوفيني متعصب كما دعا هذا الحزب الى استبدال الفصحى (لغة القرآن الكريم المقدسة في البلاد) وترسيم اللهجة العامية الجزائرية بعد تطويرها، ووضع قواعد لها لتمكن من تعليمها واستعمالها في الحياة الرسمية والاجتماعية في البلاد... على غرار ما حصل للهجات اللاتينية التي انفصلت عن اللاتينية الأم في كل من فرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، ورومانيا والبرتغال... لتصبح لغات قومية، ورسمية في هذه البلاد... والغرض من وراء هذه الأدوار المنسقة كلها، للأحزاب ذات المنطلقات الشيوعية والفرنكوفونية... في الجزائر، هو تعاطفها وتحالفها المعلن وغير المعلن، مع الحركة البربرية لضرب اللغة الفصحى عماد القرآن، ورمز الوثاق العربي الإسلامي الذي يربط الجزائر العربية المسلمة بغيرها من البلاد في محيطها الثقافي والروحي الطبيعي الذي عرفت فيه وعليه منذ 14 قرنا من الزمان! والهدف الواضح من هذا الطرح هو القضاء على الإسلام والقرآن بالقضاء على الفصحى من التداول على ألسنة المسلمين، ولتلحق الجزائر بتركيا العلمانية بعد مصطفى كمال، وهو مكسب لا يستهان به - إن تحقق - لصالح المعسكر المعادي للإسلام مهما يكن لونه السياسي!!

هذا فيما يتعلق بالأسباب المباشرة وغير المباشرة التي دعت الى التحالف أو التأييد من الأحزاب الشيوعية للحركة البربرية لتتلاقى مصالحها في معارضة

الإسلام، والقضاء على لغة القرآن، لإبعاد عباد الله عن دين الله، أما من ناحية أخرى فإنه لمن سخريات القدر أن يقع تحالف مريب (وغير طبيعي بالمرّة) بين الشيوعية من جهة (كما سبق التفصيل) وبين رجال الكنيسة المسيحية في الجزائر، لتشجيع الحركة البربرية، في يؤرّها ذات الأقلية المسيحية، ضربا للإسلام الذي يمثل العدو المشترك للجميع (أي البربرية والمسيحية، والشيوعية معا) ومن ذلك - مثلا - تمركز البعثات التبشيرية المسيحية منذ عهد الاحتلال في المناطق ذات التعامل باللهجات البربرية، وقد استمر هذا الاهتمام حتى الآن، ومن ذلك - مثلا - الاهتمام الملحوظ من رجال الكنيسة المسيحية في الجزائر وتحمسهم الشديد إلى ترجمة بعض قصص الكاتب الشيوعي الجزائري (المشار إليه آنفا) الطاهر وطار، وذلك لنشر ماتتضمنه تلك القصص الإباحية والإلحادية من أفكار يرون أنه من الفائدة بمكان نشرها باللغة الفرنسية لتعميم الفائدة لدى ناشئتنا المختربة، ولدى كبار السن من المواطنين الذين لا يقرؤون باللغة العربية، وهذا إلى جانب عامل نشرها، والدعاية لها ولصاحبها، لتشجيعه على المزيد من اتخاذ المواقف المؤيدة للحركة البربرية (كما سبقت الإشارة) وهذا كله بأمل إبعاد الشبيبة بقدر الإمكان عن الوطنية والعربية والإسلام، تأثرا بالكتابات الشيوعية الإباحية لهذا الكاتب، محاولين المساهمة في إفساد أخلاق الشبيبة وإبعادها عن الأخلاق والثقافة الإسلامية، وعن الدين المتأصل في المجتمع إلى (اللاأخلاق واللادين) أو إلى اللاتكسية والشيوعية كأضعف الإيمان «خدمة» للكنيسة (في اعتقادهم) من أن يبقى هذا الشباب في حظيرة الإسلام، بعد أن فشلوا فشلا ذريعا في تسيحه، وإدخاله في حظيرة الفاتكان !!

وذلك اقتناعا من رجال الكنيسة بأن لا دينية وإباحية الشباب الجزائري أقل خطرا على المسيحية والبربرية من بقاء الإسلام راسخا كما هو الآن في عقول وقلوب ملايين الجزائريين من الشباب المؤمن، الذي يلتف ويناضل في صفوف الأحزاب الوطنية ذات التوجه الإسلامي، ومن مظاهر هذه المحاولات المماثلة؛ رعاية رجال الكنيسة في الجزائر لكل الملتقيات التي تنقب عن التراث البربري المسيحي في كل بقعة من التراب الوطني الجزائري، في الهقار أو في الشمال، وكمثال حي على ذلك إقامة ندوة برعاية (الأسقفية الكنسية) في الجزائر (في شهر ماي من سنة 1989) تحت عنوان: «جزائرية القديس أوغطين» وهو

الفيلسوف الجزائري المسيحي المثقف باللاتينية (المذكور في الفصل السابق) والذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد، والمدفون في مدينة عنابة، حيث توجد كنيسة ضخمة بنيت باسمه، في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر ! وهذا التحالف المسيحي الشيوعي مع دعاة الحركة البربرية في الجزائر يذكرنا بتأييد الشرق الشيوعي والغرب اليهودي (المتمثل خصوصا في أمريكا وإسرائيل) للعقيد الانفصالي (الشيوعي - المسيحي - الوثني) (جون غارنغ) في جنوب السودان، لضرب شماله العربي المسلم ! ! وهذا كله يدخل كما هو واضح في خطة بعيدة المدى تخدم فكرة تحقيق مبدأ اللاتجانس القومي الذي أشرنا إليه في بداية هذا الفصل، والذي كان يدّعيه الجنرال دوغول (رئيس الجمهورية الفرنسية) أثناء حرب التحرير الجزائرية المسلحة، لسد الباب أمام كل مطالبة بالاستقلال عن فرنسا، أو عن الأمة الفرنسية، من قبل الشعب الجزائري (العربي المسلم الوحيد اللغة وليس اللهجات) على امتداد 14 قرنا، كما سبق التوضيح والتحليل... وإدراكا من الكنيسة الاستعمارية الفرنسية بأن استقلال الجزائر عن فرنسا هو هبة صادقة من الإسلام والعربية، وهما الاثنان الأساسان الموجودان للشخصية الجزائرية، في شكلها الحالي، منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، واللذان لا يقبلان الانفصال والانقسام، ولولاها لكانت الجزائر اليوم أندلسا ثانية، وجزءا من السوق الأوروبية المشتركة، أي مثل غرناطة أو مرسيليا ! ولهذا الغرض كان هذا التحالف المسيحي - الشيوعي (غير المقدس) والذي يفرق أطرافه الكثير ويجمعها شيء واحد، هو دعم الحركة البربرية لضرب الإسلام واللغة العربية والوحدة الوطنية للجزائر المستقلة !

نماذج من ردود أفعال الشارع الوطني تجاه هذا المنحى (الشيوعي - الصليبي) للحركة البربرية

تحت عنوان : « ذنب لا يفتقر » ورد في جريدة الشعب بإمضاء عبد القادر خليفة (تيازة) الصادرة بتاريخ 1989/10/23 مقال جاء فيه :

« بتاريخ 1989/10/4 طالعنا صحيفة (الشعب) تحت عنوان (قضايا التعددية، والديمقراطية) المتخفضة عن ندوة الأحزاب السياسية في يومها الثاني والأخير، بآخر المناقشات التي دارت بين الطلبة، والأساتذة الحاضرين، وممثلي الأحزاب السياسية الحاضرة، ومن بين القضايا التي دار حولها النقاش، ونقلتها إلينا (الشعب) موجزة، هي إشكالية اللغة التي علق عليها ممثل الحزب الاشتراكي للعمال بقوله : « اللغة العربية الفصحى ليست بلغتنا (...) ومن لا يومن بهذا فهو فاشي ! ولذلك يجب علينا (تطوير) العربية، وخلق لغة جديدة يفهمها الشعب كله، ويتعامل بها ».

- ترى ماذا يقصد بكلامه هذا ؟ ثم إن اللغة الفصحى ليست بلغتنا فما هي لغتنا إذا ؟ هل هناك (عربية) أخرى أكثر تطورا من « الفصحى » ؟ من هو المعنى بهذا الكلام، أهو الشعب أم مناضلو حزبه ؟

- أن الشعب الجزائري قال نعم للغة القرآن الكريم، وأنا على بينة بأن ممثل الحزب الاشتراكي للعمال هذا يعلم أن القرآن نزل عربيا فصيحاً، فهل يكون الشعب باعتناقه للقرآن العربي الفصيح فاشيا ؟ إننا لو أخذنا بهذا الكلام وحددنا أبعاده لقلنا بأن هذا الأخ المتقول - ممثل الحزب الاشتراكي للعمال - نسي أن يقول

أيضا ان الإسلام ليس بديننا ، وأن الفاتحين ليسوا بحملة رسالة إنسانية، إنما هم غزاة إرهابيون ! كيف لا ، وقد كنا بربرا لنا لغتنا غير العربية الفصحى، ولنا ديننا غير دين الإسلام !

- هذا ما فهمته من كلام ممثل الحزب الاشتراكي عندما نفى (الفصحى)،
و شتم كل من يؤمن بها منا نحن الجزائريين !

- إن (العربية) في الحقيقة، قبل الإسلام، كانت فروعاً مختلفة اللفظ والمعنى، واللحن، والرسم، لكنها مع كل هذا الاختلاف فهي تعود الى أصل واحد: الأصل السامي، ولما جاء الإسلام ظهر هذا الاختلاف جلياً بين حفاظ وقراء القرآن الكريم من العرب، وكلنا يعلم كيف قضى على هذا الاختلاف في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فأصبح المصحف نسخة واحدة، هي التي بين أيدينا اليوم، ومعنى كلامي هذا أن العربية الفصحى ليست مشكلة البربر أو الأمازيغ وحدهم، بل حتى العرب أنفسهم، ولذا لا ينبغي أن نفهم اللغة العربية الفصحى بهذا المنظار الضيق، لأن العربية لم تكن فصيحى إلا بفصاحة كلام الله (القرآن الكريم) ولم تكن عظيمة، ومقدسة إلا بعظمة وقداة كتاب الله.

- فبناء على هذه الحقيقة الثابتة أقول : العربية الفصحى لغتنا ومن لا يؤمن بهذا فهو الجاحد الفاشي. فإذا كان ممثل الحزب الاشتراكي للعمال يؤمن بالله، وينصر دينه (الإسلام) فكيف له أن يتنكر للعربية الفصحى، وهي اللغة المباركة التي اختارها الله عز وجل من بين اللغات الأخرى، فأنزل بها هديده، ووضع بها تعاليمه الى الناس أجمعين.

- إن ممثل الحزب السالف الذكر يرى بأنه لا بد من عربية جديدة متطورة يفهمها الشعب كله فهل معنى هذا أن الله عز وجل قد أخطأ لما اختار العربية الفصحى ليبليغ بها تعاليمه الربانية السمحاء الى كافة الناس؟ هل يكون قد أخطأ وهو العزيز الحكيم؟ هل يمكن أن نقول لله عز وجل انك أخطأت عندما خاطبت عبادك بالعربية الفصحى التي لا يفهمها كل الشعب، ولا يتذوقها لتخلفها، وعدم تطورها ؟ ! وهل أن العربية الجديدة المتطورة، والمزعومة التي تراود خيال

ممثل الحزب الاشتراكي للعمال، تكون أكثر تطورا من العربية الفصحى؟ الجواب
 أقول : شتان بين العربية الفصحى « لغة القرآن » واختيار الرحمن، وعربية
 الأحلام « المتطورة » التي هي من صنع الإنسان ! فالفرق واضح، والدليل قاطع،
 أما الفرق (فالفصحى) إعجاز بلاغي، ولفوي وسحر فكري، وعلمي، وذوق
 سحري، باللغة كل وصف، وكل معنى، ولغة ثابتة غير زائلة. أما العربية التي
 يبحث عنها ممثل الحزب الاشتراكي، فلا علم لي بها، ولا أظن أنها موجودة حتى
 في الأحلام، أما الدليل : فالعربية الفصحى يكفي أن الله عز وجل قد خاطب بها
 البشرية جمعا في كتابه الحكيم، ولم يقتصر بها على شعب معين، وهذا ما يثبت
 تطورها، ومكانتها الرفيعة بين كل اللغات الأخرى، ولا يمكن لنا أن نوازي حكمة
 الخالق بحكمة المخلوق، وإن نحن نؤمن بالفصحى، فهذا لنكون مسلمين
 (محمديين) لافاشيين (موسوليين) فالفاشية كلمة لا إنسانية لا أخلاقية،
 لاحضارية... كلمة تعني إحلال عصبية الجاهلية الجاهلاء التي دمرها الإسلام وأنقذ
 البشرية من شرها، وقد استطاعت العربية الفصحى أن تحوي كل معارف، وآثار،
 وعلوم الأمم الأخرى التي دخلت تحت حوزة الأمة الإسلامية، فهذهبتها، وطورتها،
 ثم تجاوزتها إلى حد الإبداع، والابتكار المحلي الأصيل، ولو لا (الفصحى) لجنت
 القرون الوسطى بظلالها على أوروبا، فالفصحى هي الأرشيف التاريخي الأثري
 الذي حفظ معالم حضارات الأمم من الاندثار، فهل كثير على الفصحى أن ندين
 لها بشيء من الجميل والعرفان؟ هل كثير عليها أن نومن ونعتز بها؟ إن
 (الفصحى) ليست لغة العرب وحدهم، بل لغة الكل وهذه هي الحقيقة التي يجب
 أن تظهر للوجود وتدعم حتى تنتصر كما أنتصرت في بلاد الفراعنة والفرس،
 وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى. أما البربرية أو الأمازيغية فهي إرثنا الذي
 نعتز به ولا ينبغي أن ننكره، أو نهمله، لأنه امتداد لإرثنا العربي الإسلامي
 الحضاري العريق.. فالأمازيغ فضلوا أن يلقبوا بالبربر على أن لا ينطقوا لغة
 الرومان - لغة الحضارة - ولكن نطقوا (الفصحى) واستأنسوها، وخدموا بها
 الإسلام طويلا، بل دافعوا عنها أيما دفاع حتى أنهم خلدوها، وثبتوا جذورها التي
 استمصى اقتلاعها على أيدي فرنسا وكل الأعداء، فبها وبهم وجدت الجزائر
 العربية الإسلامية، ووجد المغرب العربي الكبير.

- فقصدي من هذا التحليل الأدبي البسيط أنني أردت القول بأن الذي ينفي العربية الفصحى في بلادنا معنى ذلك أنه ينفي الإسلام (كتاباً وسنة) أيضاً في وقت نحن فيه مطالبون بالعودة الى كتاب الله، وسنة رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام... ومطالبون أكثر بدراسته والتعمق فيه لكشف كنوزه الألهمية النورانية غير الفانية. وحتى نظفر بهذه الكنوز علينا أولاً إتقان اللغة العربية الفصحى، واستيعابها جيداً، بل وجعلها تفرض نفسها حتى في الشارع أيضاً، وهنا يتحقق « التطوير » ويكون التعامل بها مفيداً

- إن عربيتنا اليوم بحاجة الى فصاحة، وتهذيب، لأن الفصحى هي منتهى « التطوير » فيا ترى أي (تطوير) يقصده ممثل الحزب الاشتراكي إن هو نفى التطور اللغوي من أصله؟

- طبعاً نريد الفصحى لكي نسمو بالقرآن الكريم، ونرقى به الى مجتمع متخلق متطور، فهي الحصن العتيق الذي يحمي مقومات شخصيتنا، ووطنيتنا من التزييف والانحراف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وتحليل سياسي (مرحلي) أدق نسأل ممثل (الحزب) ما إن كان يقتصر علي فئة معينة تناضل من أجل عرقية، وعصبية...؟ إنه على الأقل كان يحترم الفئة التي تؤمن بالعربية الفصحى حتى يكون ديمقراطياً أكثر!!

- الحقيقة أن ما صرح به ممثل الحزب الاشتراكي للعمال ما هو إلا شطحة مأكرة، ونزعة عرقية خبيثة، وتصور مريض لمستقبل (اللغة) ببلادنا، وتمثيل ساقط للحزب، فقبل أن تكون شطحة (شجاعة) فهي خيانة، ومغالطة حضارية لا يحمد عقباها، ولا يغفر ذنبها.

وتحت عنوان: « دفاع عن العربية » ورد مقال في جريدة المساء الصادرة بتاريخ 1989/10/12 بإمضاء السعيد محفوظ (من البويرة) جاء فيه:

« عملاً بحق الرد، إليكم هذه الرسالة التي صراحة أجدني أصرح بأدىء ذي بدء أنني ما كنت لأكتبها لو لا أن آلمني مقال جاء في جريدة المساء الصادرة بتاريخ 27 سبتمبر 1989 تحت عنوان « ويبقى وطار في صف الكبار »!!

لصاحبه المدعو عبد الرحمن بن الحسين من العناصر، الجزائر العاصمة. هذا المقال الذي يدافع به كاتبه عن إنسان ظهرت نزعتة الجاهلية وانجملت اراؤه الهدامة التي تصب في إناء الاستعمار مؤخرا، بفضل ماسمي بحرية الرأي أو الشفافية أو الديمقراطية أو الفوضى، باسم هذا كله أصبحت ترتكب أبشع الجنايات على شعب بأكمله ومقوماته الأساسية اللغة والدين والانتماء العربي الإسلامي.

ما يحزن حقًا هو تغاضي الجريدة على نشر ترهات لاطائل من ورائها سوى إشاعة الفوضى والصراعات تلك الترهات النابعة من الأنفس التي تحن شوقا الى فرنسا، الأنفس المريضة الحاقدة على عروبة وإسلام هذا الجزء من الوطن العربي الكبير، عروبة ضحى الرجال من أجلها ورزق الشهادة خلق كثير، واليوم يخرج بين ظهرانينا حاقد آثم يتجاهل التضحيات العظيمة من الأمير عبد القادر رحمه الله الى الاستقلال ويدعو الي وثنيات عفا عنها الزمن. يقول صاحب المقال : «... إتنا نرفض النزعة البعثية التي فشلت في المشرق ويريد هؤلاء الهلاليون الجدد إحياءها في المغرب وفي الجزائر بالذات...» من قال لك يا هذا ان البعثية فشلت في المشرق؟ إن الذي أسر لك بهذا الكلام إنسان جاهل ومعتوه ومن ذا الذي صور لك الهلاليين الكرام بالصورة التي تتهمك بها عليهم؟ إن الذي قال لك هذا القول هو متصهين صليبي شعوبي.

خلال 132 سنة من الاحتلال حاولت فرنسا طمس الهوية العربية فما استطاعت والقول الذي نقوله هو أن أذناهما مصيرهم كمصيرها .

وتحت عنوان : «حزب الآباء البيض» ورد في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1990/1/1 مقال جاء فيه : «لم يحدث وأن برز حزب في أية دولة كبيرة أو صغيرة تحترم نفسها يدعو الى العرقية والتفرقة. فكل الأحزاب متفقة على ترقية المواطن اجتماعيا وسياسيا والسهر على مصلحته العليا في إطار دساتيرها ومواثيقها، إلا أن العكس هو الذي حصل عندنا تماما، فباسم الديمقراطية أنتهكت حرمة الدستور، وباسم الديمقراطية وجد أبناء الآباء البيض وأحفادهم وكل الحاقدين على الإسلام والقرآن واللغة التي نزل بها ضلتهم المنشودة، وباسم الديمقراطية فتحت الجزائر أبوابها أمام المغامرين والعابثين بمقدساتها وتراثها ومبادئها التي

كافحت من أجلها سنين طويلة، وباسم الديمقراطية أسسوا حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية على أساس عرقي عنصري يهدف إلى تفرقة الشعب الجزائري وضرب وحدته التي تشكلت في بوتقة الإسلام. فبعدما وحده الإسلام ديناً ولغة وحضارة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، أراد المرتدون دفعه في هاوية لا قرار لها.

وفي المرحلة الأولى قاموا بتعطيم اقتصاد البلاد عن طريق النهب والسراقات وتحويل الملايين إن لم أقل الملايير إلى الخارج، وخاصة إلى فرنسا وتركوا البلاد تئن تحت وطأة أزمة لا مخرج منها.

وفي المرحلة الثانية والأخيرة أرادوا ضرب رصيدها الروحي واللفوي من أجل الإجهاز عليها نهائياً وتقديمها إلى فرنسا على طبق من ذهب، ومن أجل إتمام عملياتهم الدينية، قام المرتدون بعقد مؤتمرهم الأول في نادي الصنوبر يوم 15 و16 ديسمبر 1989. وأجمعوا على ضرب ثوابت الأمة ومقدساتها، وقالوا جميعاً دون حياء أو خجل، لا للإسلام وشريعته، لا للغة العربية التي عرفنا بها الإسلام، ونزل بها القرآن الكريم على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ولتعطيم الخلية العائلية نهائياً قالوا أيضاً لا لقانون الأسرة المستمد من القرآن والشرعية، واستبدلوه بقانون الأسرة الفرنسي وهي نفس المبادئ التي عملت فرنسا على تحقيقها طيلة وجودها في الجزائر، إلا أن كل مساعيها تحطمت على صخرة الإسلام والعروبة، ووضع المسلم الجزائري الصلب الحد النهائي لها طيلة ثورة أول نوفمبر 1954، باسم «الله أكبر» الجهاد في سبيل الله.

... والغريب في الأمر أن كل الأشغال دارت باللغة الفرنسية، والأغرب من كل شيء أن هؤلاء المتآمرين لم ينجحوا في تحديد هويتهم إلى الآن، ففي البداية طلبوا علينا بالعنصر القبائلي، ثم تطورا قليلاً وقالوا العنصر البربري. ولما ازدادوا تطورا قالوا العنصر الأمازيغي، وعندما سيصلون إلى القمة خلال القرن الواحد والعشرين، إن كتب لهم الوصول، سيقولون نحن مسيحيون ويهود... 11

ولقد بلغت الجرأة بزعم المرتدين (سعيد سعدي) بأن قال في استجواب له لجريدة الشعب يوم 14/12/1989.

« التاريخ لم يقدم مثالا عن تطور مجتمع يجمع بين الدين والدولة »
وتعاضى عن الحضارة الإسلامية وما قدمته للبشرية والتي كان لها الفضل الأكبر
في تطور المجتمع البشري بهذه السرعة المذهلة. ثم قال في مكان آخر من نفس
التصريح عن المرأة « كبش فداء » طالب فيه بإلغاء قانون الأسرة وإبطال العمل
بأحكام الشريعة الإسلامية، لأنه يريد من المرأة الجزائرية المسلمة أن تتخلى عن
عفتها وأن تصبح عاهرة زانية لا تفارق المحانات، تشرب الخمر وقمارس الجنس مع
كل من هب ودب على شاكلة المرأة الغربية التي لا يعرف أبناؤها من هو أبهم،
وهذه نظرية يهودية لافساد المجتمعات عن طريق الخمر والنساء حتى تسهل
السيطرة عليها واقتيادها، وهذا ما تفطن له الزعيم الألماني هتلر !

لقد أزعجت النقاب عن نواياكم الهدامة باسم الديمقراطية والكلمة الأخيرة
الآن للجماهير المسلمة المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله وبلغه قرآنه، أينما كانت
هذه الجماهير في جرجرة أو الأوداس أو شمال قسنطينة أو في الصحراء...
وخلاصة القول :

لقد زحفت علينا الصليبية قديما من الغرب المسيحي واليوم بدأت زحفها
علينا من نادي الصنوبر لتدوس بأقدامها على مقدسات شعبنا من ثوابت
ومبادئ استشهد من أجلها عشرات الملايين من الشهداء علي مدى 130 سنة (من
1830 الى 1962) .

وأخيرا أضمت صوتي لصوت المجاهد مصطفى بن عودة الذي طلب في المؤتمر
الاستثنائي الأخير للحزب بكشف حزب فرنسا في الجزائر، لأن المبادئ التي
تبناها حزب المرتدين هي نفس المبادئ التي تبنتها فرنسا منذ 1830 . وعملت
المستحيل على تحقيقها، إلا أنها فشلت كما قلت أمام صلابة الشعب الجزائري
الذي لم يتخل يوما عن دينه ولغته، وها هي فرنسا اليوم تعيد الكرة عن طريق
بعض المرتدين وسيكون مألهم الفشل رغم الدعم اللامشروط من فرنسا .»

الفصل السادس

علاقة الحركة البربرية باللائكية ورددود الفعل الوطنية أزاءها

إننا كما من أقطاب الحركة البربرية، بأن القضاء على الإسلام (في عصر الصحوة الإيمانية والإسلامية الحالية في البلاد) يعد مستحيلا سواء عن طريق الحركة الشيوعية الإلحادية، أو عن طريق التبشير المسيحي (كما سبقت الإشارة) والتي لم تتساو الجهود المبذولة من خلالهما مع النتائج المرجوة منهما، لإبعاد الناشئة عن الإسلام.. تعتمد الحركة البربرية في الوقت الحاضر الى التركيز على سلاح خطير وفعال، وهو الإقرار ظاهريا بالإسلام كدين لمجموع الشعب الجزائري، ولكنهم يطالبون بفصل الدين عن الدولة فصلا تاما، حتى يخلو لأقطاب هذه الحركة العمل في حلّ من أي قيد أخلاقي أو ديني. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهم لا يخفون حقدهم وعداوتهم الشديدة للإسلام لوقوفه سدا منيعا في سبيل أي دعوة للتشرذم الوطني وتمزيق صفوف وحدة الأمة، الى جانب اعتبار الإسلام بدون منازع أكبر سند لانتشار اللغة العربية والمحافظة عليها لدى كل المسلمين في سائر مناطق الوطن، حتى في أقصى الجبال التي مازال سكانها يتحدثون ببعض اللهجات البربرية، مما حال دون الجهود المضنية للحركة البربرية كي تفصل بين الإسلام والعربية كلفة وحدة وتوحيد، فأخفوا السلاح الشيوعي (الإلحادي) والسلاح التبشيري (الصليبي) الذي يعمل في صمت وأظهروا فقط سلاح

العلمانية بصفته سلاحا (محايدا) يقرهم عليه العديد من ذوي الاتجاه الليبرالي الغربي والاشتراكي، والحركات النسوية الإباحية وكل المناهضين للإسلام عموما، وهكذا ظهر الحزب كحامل للواء اللاتكية.

وفيما يلي نص لأحد أقطاب الحزب يدافع فيه على اللاتكية ويربطها ربطا عضويا ومصيريا بالديمقراطية موجهها نقدا مباشرا للدستور الوطني الذي أوجد الديمقراطية ذاتها، وهذا هو النص تحت عنوان: «الديمقراطية تستلزم اللاتكية» منشور في جريدة المساء الجزائرية، في عددها الصادر بتاريخ 1989/9/25 وقد جاء في مستهلها، كمقدمة تمهيدية، تنم عن العديد من الخلفيات التي نريد للتقارئ أن يتلمسها بنفسه كبرهان على مذهبنا إليه...

«... أثار موضوع اللاتكية نقاشا على صفحات الجرائد الوطنية، المكتوبة منها بالعربية على الخصوص، بمجرد بروز بعض الأحزاب الديمقراطية التي نادت بها صراحة. ففهمها البعض صنوا للإلحاد، والبعض الآخر اعتبر أن المناداة بها يمثل موقفا عدويا للإسلام في حين أن الأمر لا هذا ولا ذاك..

مساهمة منا في رفع الالتباس وإزالة الغموض المحيط بمفهوم اللاتكية تقدم هذه المحاولة وأملنا أن يتقبلها الاخوة القراء بتسامح كبير، وإذا كان لابد من مناقشة بعض أو كل مايجي فيها فنرجو أن يكون ذلك بروح النقد البناء والتفكير العقلاني.

تعرف اللاتكية بأنها، النظام الذي يبعد الكنيسة عن ممارسة السلطة السياسية والإدارية وعلى وجه الخصوص تنظيم التعليم تطبيقا لمبدأ فصل الدين عن الدولة، وهو مفهوم أوروبي، كما هو واضح من المصطلح نفسه. وقد ترجمت كلمة اللاتكية الى العربية على أنها زمنية أو عقلانية.

والتعليم اللاتكي معناه مجموع المدارس العمومية التي تقدم تعليما يستبعد التربية الدينية، وهذا ما يميز هذه المدارس عن المدارس الروحية، أي تلك التي تقدم لمريديها تعليما دينيا حسب العقيدة التي تتبناها، ومثال ذلك الكنائس والمساجد... وغيرها من المؤسسات المعدة لهذا الغرض. ثم يضيف قوله مستشهدا

بفقرة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي كتبها المرحوم في سياق آخر غير هذا فيقول:

وهي (اللاتكية) على حد تعبير المرحوم البشير الإبراهيمي (أن يكون الدستور كدساتير الأمم الديمقراطية، خالصا للدينيويات التي يشترك فيها الناس جميعا، خاليا من الدينيات التي تخص الطوائف...)

وبعد حديث منقول جلّه من كتب التاريخ عن اللاتكية في أوروبا، وعن ظلم الكنيسة والاقطاع، والثورات ضدها، والصراع الدموي الطويل الناتج عن تعارض المصالح كما هو معلوم، وهو كله أمر صحيح ومسلم به تاريخيا، بالنسبة لواقع أوروبا المسيحية (غير المسلمة) فينتقل هذا الحركي (من الانتماء الى الحركة) الى نقد الدستور الوطني الجديد، فيقول في هذا الخصوص:

«يجدر بنا أن نأخذ الجانب النظري والجانب التطبيقي بعين الاعتبار في تعرضنا لهذا الموضوع.

أولا : الجانب النظري :

تنص المادة 2 من الدستور على أن الإسلام دين الدولة. طريقة صياغة هذه المادة توحي بالتصديق. أي أن الإسلام ملك للدولة، ويعني هذا أن نظام الحكم يمكن أن يستعمله كمنافسة سياسية متى شاء. ولعل تلك الخطب التي ترسل من وزارة الشؤون الدينية الى الأئمة لإلقائها في أيام الجمعة، خير دليل على ما نذهب إليه.

وليس من السهل أن تصاغ مثلا (الجزائر دولة مسلمة) أو (الدولة الجزائرية تدين بالإسلام) أو (دين الدولة الجزائرية هو الإسلام) نظرا لاعتبار أساسي هو كون الشعب الجزائري مسلما في غالبيته، يعني أنه مسلم في مجموعه.

ومن جهة أخرى، إذا عرفنا الدولة على أساس العناصر الأساسية المكونة لها وهي : الشعب، الإقليم، التنظيم السياسي... وهو المجموع أو الكل الذي يصح أن نطلق عليه مصطلح الدولة، فهل يحق أو يجوز في هذه الحالة أن نضيف صفة الإسلام لإقليم أو للنظام؟ إذا كان الجواب بنعم يكون بإمكاننا في هذه الحالة

أن نقول بأن (مصنع الحجارة مسلم. سد العبادة مسلم؟ الى غير ذلك مما نعتقد أن المنطق يرفضه، لأن الدين في الواقع مسألة شخصية تخص الفرد ولا شيء غير الفرد.

ثانيا: الجانب التطبيقي:

الشرعة الإسلامية عندنا ليست هي المصدر الأول للقوانين.. إذ أن المصدر الأول لقوانيننا هو التشريع، فالقانون المدني والتجاري والجنائي والإداري، وغيرها من التقنيات تركز على التشريع أولا وليس على الشرعة.

عملا بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان فإن الدستور الجزائري يضمن :

- مساواة المواطنين أمام القانون دون تمييز في المولد والعرق والجنس والرأي والعقيدة.

- مؤسسات الدولة تضمن المساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين والمواطنات وإلغاء كل ما من شأنه أن يعرقل مساهمة المرأة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

- كما يضمن الحريات الأساسية وحقوق الإنسان ويمنع اللجوء الى العنف البدني والمعنوي ضد المواطنين والمواطنات وكذلك يضمن بصريح العبارة حرية المعتقد والرأي الى غير ذلك من الحقوق والحريات بما فيها الحق في إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي.

بعد هذا العرض السريع يمكن لنا أن نسجل هذه الملاحظات :

1) أليس هناك تناقض صارخ بين المادة الثانية (الإسلام دين الدولة) وبين ما ذكرناه من الحقوق والحريات ومنها على وجه الخصوص ضمان مساواة المواطنين والمواطنات في المساهمة الفعلية في شتى الميادين؟

إن الواقع يؤكد هذا التناقض. وما جمعية "إصرار" لترقية المرأة إلا برهان قاطع على ما نقول، لأن مفهوم الديمقراطية الفعلية يقر ويوطد (مبدأ المواطنة على أساس أن أصل المواطن الاجتماعي أو عقيدته أو ديانتها أو مذهبه السياسي لا

يجوز أن يوظف سياسيا بما يجعل منه شكلا من أشكال التمييز بين المواطنين في الحقوق الواجبات).

فجمعية اصرار إذ تحتج على الإهانات وأعمال العنف التي يتعرض لها النساء ما هي إلا دعوة للاتكية التي فرضها الانفتاح الديمقراطي بهدف ضمان تفتح كل المواطنين علي حد سواء.

(2) لنقارن بين المراد :

30 : التي تضمن المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية دون تمييز في الجنس.

35 : التي تضمن حرية العقيدة.

47 : التي تضمن لكل مواطن ومواطنة في حدود القانون أن يكون ناخبا ومنتخبا.

70 : التي تفرض علي المترشح لرئاسة الجمهورية أن يكون متدينا بالإسلام.

أولاء أين هي حرية المعتقد التي يتضمنها الدستور في المادة 35 بالمقارنة مع المادة 70؟

ثانيا: أين هي المساواة دون تمييز في الجنس، حين يتعلق الأمر بالترشيح لرئاسة الجمهورية، وللتوضيح أكثر نورد هنا ما نشر في جريدة «الشعب» عدد 8041 بتاريخ 1989/09/07 حول قرار المجلس الدستوري المتعلق بقانون الانتخابات.

(أما فيما يتعلق بالمادة 108 التي تقضي بأن يكون طلب الترشيح لرئاسة الجمهورية مصحوبا بشهادة الجنسية الأصلية للزوجة، فإن المجلس الدستوري بعدما لاحظ بأن هذا الطلب لا يمكن اعتباره كطريقة للانتخابات الرئاسية، اعتبر هذا الحكم غير مطابق للدستور.

هل يعني هذا أن المرأة عندنا لا يحق لها أن تترشح لرئاسة الجمهورية؟

ثالثاً: إذا كان الدستور يضمن حرية المعتقد والعبادة فإن التعليم عندنا غير

ذلك؟

برمجة في الامتحانات في مادة التربية الدينية لتلازم التلميذ من أول مرحلة له في التعليم، وقد أدمجت هذه المادة إجبارياً في كل الامتحانات بموجب القرار الوزاري رقم : 39 / م. أ. م. م / 82 بتاريخ 15/12/1982.

فكيف يعقل أن نضمن حرية المعتقد من جهة، ونفرض تعليماً دينياً إجبارياً من جهة أخرى؟ أن اللائكية التي ينادي بها الوطنيون الديمقراطيون التقدميون تقتضي إصلاحاً عميقاً لنظام التربية والتعليم، يرسخ مبدأ الديمقراطية الحقة، في ظل مدرسة تحفز الفكر المبدع وتفتح باب المشاركة في ثورة العصر العلمية لكل أبناء البلاد، على اختلاف معتقداتهم الدينية.

فاللائكية إذن تتعارض مع الإسلامية السياسية، فهي تعمل على سيادة المفاهيم التي تعلي قيمة الإنسان من حيث هو إنسان.

إن اللائكية عنصر من عناصر الديمقراطية فهي إذن ترفض الاهتمام بالانتماء الضيق وهي إذ تعترف بالاختلاف فإنها ضد تسعير النزاعات الدينية. ولعل أهم مثال نورد به هذا الصدد هو ما جاء في مقال نشر بجريدة «المساء» بتاريخ 1989/09/03 تحت عنوان «ثلاثة ملايين مسلم في فرنسا» وما جاء فيه : (في فرنسا مئات المؤسسات والمنظمات الإسلامية، وحوالي 800 مسجد ومكان عبادة من بينها جامع باريس الكبير الذي تأسس عام 1926 بمبادرة من الحكومة الفرنسية، اعترافاً منها بوجود المسلمين ومكانتهم في المجتمع الفرنسي... وأن المسلمين في فرنسا بدأوا يحتلون مواقع سياسية اجتماعية مهمة... وقد طرح حوالي 200 مرشح مسلم أنفسهم لانتخابات البرلمان الأوروبي)... انتهى النص.

تعليق ومناقشة:

واننا لا نريد أن ندخل في مناقشات طويلة لاظهار كل المضالطات الواردة

في النص لعدة اعتبارات...

أولاً: أن القارئ الكريم يستشف بنفسه الأفكار المسبقة لحرر النص بهدف خدمة غرض واحد، وهو الذي أشرنا إليه في مقدمة هذا الفصل...

ثانياً: أن النص في ذاته قد حقق لنا الغرض من إدراجه في الكتاب، وهو إثبات علاقة الحركة البربرية باللاتكية، وقد حققه النص بكيفية لا تترك مجالاً للشك، أو الإضافة، خاصة في الأخير حيث آتخذ فرنسا كمثال يذكرنا بشعار «الجزائر الفرنسية» التي تتعايش فيها الأديان!

ثالثاً: أن الغرض من هذا الكتاب هو إظهار الأبعاد الخفية والمستترة من الحركة البربرية وليس إثبات موقفنا نحن من العلمانية (معها أو ضدها) هذا الموضوع سنخصص له كتاباً بذاته في المستقبل إن شاء الله.

رابعاً: أن الدخول في مناقشة النص من ناحية موقفنا من العلمانية هو خارج - منهجياً - من غرض هذا الكتاب، وللتدليل على الأهداف الواضحة للحركة البربرية، وتزعجها لعملية الدفاع عن اللاتكية والدعوة إليها بكل الوسائل... نكتفي بذكر دليلين اثنين في هذا السياق :

أولاً: الاستشهاد بنص الشيخ البشير الإبراهيمي الذي دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة في الثلاثينيات من هذا القرن، أي في عهد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ولا يخفى على القارئ الكريم أن دعوة عالم من علماء الإسلام، مثل الشيخ البشير الإبراهيمي لفصل الشؤون الدينية عن الإدارة الاستعمارية التي كانت تطبق (اللاتكية) تجاه اليهود والنصارى وترفض تطبيقها على الإسلام في الجزائر، حتى لا تترك الحرية للعلماء المسلمين الجزائريين، كي يسيروا شؤونهم بأيديهم، لتنوير العقول والقلوب، بما يوعي الناس بضرورة الجهاد في سبيل التحرر من الحكم الاستعماري! فكيف نقارن بين المطالبة بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الصليبية الجائرة... في عهد الاحتلال.. والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الجزائرية الإسلامية التي تفرض المادة الثانية من الدستور الوطني أن دينها الإسلام! هذه مغالطة أولى! والمغالطة الثانية التي لم يذكرها النص هو أن الشيخ البشير الإبراهيمي نفسه مات تحت الإقامة الجبرية (في عهد الاستقلال) نتيجة

مواقفه من السلطة الحاكمة في ذلك الوقت (1965) من تطبيق الشريعة الإسلامية! ولو كان الشيخ البشير قد دعا إلى فصل الدين عن الدولة بعد الاستقلال لنال حظوة كبيرة من النظام الحاكم حينذاك بدلا من السجن والزجر والقهر!! هذا دليل المغالطة الأولى.

أما الدليل القطعي الثاني الذي يثبت الحق الشديد الذي يضمه دعاة الحركة البربرية للإسلام، كما سبقت الإشارة، هو إرسالهم رسالة رسمية باسم أحد الأحزاب التي تشل اتجاههم (وهو حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) إلى دور النشر الفرنسية يحيبهم فيها على تحدي الضمير الإسلامي العالمي والفرنسي، بنشرها لكتاب المرتد سلمان رشدي باللغة الفرنسية، وترك هذا التعليق للصحفي، مكتشف الوثيقة (الفضيحة) ليحبر بنفسه للقارئ الكريم وهو منشور مع صورة طبق الأصل لرسالة (الحزب باللغة الفرنسية) في جريدة المساء ليوم 1989/10/26، وإليك التعليق كاملا، والغني عن أي تعليق آخر مني حول الموضوع برمته :

« حدث » مضت عليه أزيد من ثلاثة أشهر، دون أن يصلنا عنه خبر واحد... إنه حدث « وطني » وقع من وراء البحار، وبالضبط في العاصمة الفرنسية باريس... كان ذلك يوم 19 جويلية 1989، تاريخ صدور بيان رسمي عن حزب « التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » يحیی فيه « حدث » نشر كتاب سلمان رشدي « آيات شيطانية » (الذي أثار ضجة استنكار إسلامية وعالمية) في فرنسا، معتبرا ذلك « الحدث » - على حد تعبير البيان الذي هو أمامكم - « انتصارا لحرية الإبداع والنشر الرمزي على الرقابة والإرهاب »!!

كما يحرص حزب « التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » - نص البيان - على « أن يلتزم المسلمون في فرنسا بممارسة شعائر عقيدتهم في إطار احترام القوانين والمؤسسات اللاتكنية - العلمانية - للجمهورية الفرنسية... »

هذا ما عثرنا عليه أخيرا في « حولية الضفتين » (كرونيك دي دوريف) الناطقة باسم حزب « التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية » في فرنسا، والتي عبر

فيها بيان هذا الأخير عن موقفه الحقيقي و«الرسمي» من قضية سلمان رشدي الذي انتهك بوقاحة منقطة النظر مقدسات المسلمين ومشاعرهم، بما فيها الطعن في سلوك وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته الطاهرات...

يأتي هذا الموقف «الرسمي» من حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» في الوقت الذي صدر فيه بيان استنكاري رسمي من وزارة الخارجية الجزائرية التي اعتبرت الكتاب مساً صارخاً لمشاعر المسلمين، ومكانة رموزهم ومقدساتهم، هذا بالإضافة إلى السخط الذي عم عدة أوساط سياسية وإعلامية غير إسلامية، نذكر منها، ليس على سبيل المحصر، رفض صحف ألمانية مثل يومية «دي والت» و«فرانكفورت ألماني زايونغ» المحافظتين و«سويدانش زايونغ» الليبرالية و«فرانكفورت راندشو» اليمينية المركزية - كما جاء في جريدة المساء - نشر إعلانات عن الطبعة الألمانية لهذا الكتاب، وقد بعث أكثر من سبعين صحفياً تابعين لهذه الصحف رسالة احتجاج لدور النشر التي قبلت بطبع الكتاب... وللتذكير فإن مثل هذا الموقف الرسمي من حزب بحظي بشرعية العمل السياسي الديمقراطي في الجزائر، جاء أحياء لروح الذكرى المائتين للثورة الفرنسية (أنظر نهاية الفقرة الأولى من قصاصة البيان!!)

نماذج لمجموعة من ردود الأفعال ومواقف الشارع الوطني تجاه المنحى العلماني لأحزاب وأهداف الحركة البربرية

تحت عنوان : «هلا أعلنتموها صراحة» ورد مقال مطول في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/11/19 بإمضاء (جماعة من الشباب الوطني المسلم) من تيزي وزو جاء فيه :

« قبل الدخول في صلب الموضوع لابد من رفع التباس قد يرد على بعض الأذهان فنقول : نحن جماعة من الأمازيغ ومن مختلف الأعمار، ولا ننتمي لأي حزب أو أية منظمة، وإنما الذي يجمع بيننا هو النظرة السليمة الى الأمور والحكم الصحيح عليها.

وحين اطلعنا على مانشر في الصحافة عن موقف حزب من المرتد «سلمان رشدي» وكتابه «آيات شيطانية» أصبنا بالذهول. عصر قلوبنا الألم، انتابنا القرف والغشيان. شعرنا بمنشار مسموم يمزق عواطفنا، فكانت منا هذه الصرخة التي نرجو أن تنضم اليها أصوات حرة شريفة، لا تنقصها الشجاعة الأدبية، ولا الشعور بالمسؤولية التاريخية، فتتصدى لمثل هذه التعففات التي إن تركت تنتشر في مجتمعنا أدت لا محالة الى الهلاك المحقق، والانهيار المريع!

نعم تناقلت الصحافة الوطنية أخيرا موقف حزب من قضية كتاب «رشدي» هذا الحزب الذي حاول أن ينصب نفسه وصيا على ثقافتنا لصيانتها - حسب زعمه - من الاندثار!!.

إننا لا ندري هل أن هذا الموقف يدل على بلاهة عمياء أو يدل على خطة شيطانية مستمدة من عنوان الكتاب نفسه «آيات شيطانية».

إذا كانت الأولى فإن صاحب الموقف يجهل أن 99% منا نحن الأمازيغ الأحرار نردد مئات بل آلاف المرات كل يوم اسم محمد صلى الله عليه وسلم، ونتبرك بذكره، فكم من مسجد يتعالى منه اسم الله واسم رسوله صلى الله عليه وسلم، وكم من فرد يفيض قلبه إيمانا إذ يؤم تلك المساجد كل يوم خمس مرات، وكم من عائلة أمازيغية تؤدي شعائرها الدينية في منازلها أطفالا وكهولا، رجالا ونساء، وألسنتهم تلهج بالثناء على محمد صلى الله عليه وسلم في متعة روحية، لا تدانيها متعة، وكم من لقاء يتم في قرانا لمناقشة بعض المشاكل. ولا يسمح لأحد فيها بتناول الكلمة إلا بعد الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبكل خشوع ووقار وإجلال، وكم من احتفال يعقد قران بين زوجين ولا يتم الطلب والقبول إلا بعد الصلاة عليه وبناء على سنته صلى الله عليه وسلم. وإلا فإن ذلك القران آعتبر لاغيا، مهما ضعف التدين في كلتا العائلتين، وكم من إنسان هاجت نزواته وآستبد به الغضب فراح يهدر هدير الأمواج الصاخبة ولا شيء يمكن أن يهدئه ويعيده إلى رشده إلا إذا طلب منه أن يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم...

وحتى أولئك الذين يتكاسلون عن أداء شعائرتهم الدينية فجدد في مناقشاتهم العابثة يذكرون محمدا صلى الله عليه وسلم بكل إجلال، ويقسمون به غير حائشين.. وكم.. وكم.. وكم.. قل لنا بريك أيها الناطق باسم حزبه : ألا يستحق كل هؤلاء المؤمنين من إخوانكم الأمازيغ، ولو أدنى قدر من مراعاة لشعورهم، ولو نفاقا وتزلفا عساكم تحتاجون إليهم يوما ليتعاطفوا معكم؟ ألم تفكروا في النتيجة العكسية التي يحدثها موقفكم هذا؟ ألا تدرون أنكم لموقفكم الاستفزازي هذا غررتم خناجركم المسمومة في عواطفنا نحن الأمازيغ المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أدام الله علينا (وعليكم هذه النعمة...)

أهذا هو دفاعكم عن ثقافتنا؟ أم أن الثقافة عندهم هي الانسلاخ عن الدين، وعن التقاليد والأعراف والعادات؟ ألا إنها غباوة عمياء صماء عرجاء إن كنتم تعتقدون أننا سننسلخ يوما عن ديننا وتقاليدنا وعاداتنا؟

لا ندري! لعلكم تبحثون عن الشهرة لحزبكم لأن كثيرا من الأحزاب لا تستطيع أن تعيش بمبادئها، لأنها ليست كذلك، فإنكم تحبون حادثة وقعت بإحدى قرانا، وهي متواترة يضرب بها المثل في الحق والخيبة والفشل؛ فإليك هذه الحادثة :

كان أحد سكان إحدى القرى الخاملين لم يذكر - قط - في أي اجتماع من اجتماعات قريته، وكان متعطشا للشهرة، كيفما كانت تلك الشهرة. ولكي يصل إليها بأقصر الطرق تفتقت موهبته عن التفكير في عمل (بطولي) يشد إليه الأنظار طوال الاجتماع المقبل بقريته.

أتدرون ما هو عمله (البطولي)؟ أنه تفوط - حاشاكم - في ينبوع القرية، (وكل قرانا كانت تستقي من الينابيع).

ولما ذاع الخبر في القرية وشاع، تداعى العقلاء للاجتماع للنظر في الأمر. فأنعقد الاجتماع وأسفر عن الحكم بمقاطعة الجاني وعزله عزلا تاما، فلا يتحدث إليه أحد ولا يلبي دعوته ولا يبيعه ولا يشتري منه ولا يحضر أفراحه وأقراحه... الخ. (كانت هذه هي العقوبة القصوى في قرانا التي تتمتع بديمقراطية عادلة وحازمة في نفس الوقت).

وهكذا حقق هذا (العبقري) شهرته المنشودة فنهينا له. لا ندري هنا أيضا، لعل صاحب الموقف أراد لحزبه شهرة من هذا النوع، إذا كان الأمر كذلك فهو بالغ إياها، لامحالة. ونهنته عن ذلك مسبقا منشدين معه هذا البيت:

إذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب

هذا إذا كان المنطلق من غفلة، أما إذا كان المنطلق من النوايا الخبيثة فالأمر أدهى وأمر. وفي هذه الحالة لا يملك المرء إلا أن ينساق وراء فلكرته التي اكتشوت بها استقرار في أعماقها من المخططات التخريبية التي تكاثف على وضعها الاستعمار القديم والحديث!!

إن ذاكرتنا لتعود الى عصر بعيد، الى عصر الرومان الذي دام بالجزائر ما يزيد على خمسة قرون، والذي كان فيه الناس مقسمين الى قسمين: الأحرار والعبيد.

أما الأحرار (الأسبياد) فهم الرومان. ولكن أتدرون من هم العبيد؟. انهم الأمازيغ، كل الأمازيغ، وطوال هذه المدة بذل الرومان كل ما في وسعهم لجعل الجزائر رومانية، ولكن أجدادنا الأحرار الأمازيغ لم يكتوهم من ذلك. وهؤلاء الأجداد رحمهم الله هم الذين رحبوا بالدين الإسلامي لما أشرق عليهم نوره. فأصبحوا من أكبر الدعاة له، وكيف لا يكونون كذلك، وهذا الدين الجديد ينادي بأعلى صوته، ألا فضل للعربي الذي أتى به على صاحب البلد الذي يبلغ إليه إلا بالتقوى، أي أن هذا الفاتح لا فضل له عليك أيها الأمازيغي، بل يمكن أن تكون أنت أفضل منه، إذا تفوقت عليه بالتقوى. وعند الرومان تعرف بالعبد تحت ظلال هذا المبدأ الإنساني السامي العادل الديمقراطي حقا اندفع أجدادنا ينشرون الإسلام، أو ليس جبل طارق، الذي كان يدعى صخرة الأسد، نقشاً خالداً في ذاكرة الزمن، يخلد جهاد أجدادنا العظماء، في سبيل نشر الإسلام و حمايته وفدائه بالنفس والنفيس. ولكن مع الأسف نحن الأحفاد يبرز من بيننا من يتجرأ، ويكل وقاحة، على الاعتداء بمواقفه الضالة والمضللة، ليس علينا نحن الأحفاد الأحياء فحسب، بل على أولئك الأجداد الكرام. اللهم إلا إذا كان هؤلاء الأمازيغ مزيفين، لأن بعض من يزعمون أنفسهم أمازيغا ليسوا كذلك في الحقيقة، بل هم من بقايا المحتلين السابقين كالرومان والوندال...!!

ومما يرجح هذا الادعاء هو التجاوب والانسجام مع كل ما يأتي من الغرب، ولو كان ذلك هو كتاب «سلمان رشدي»، «آيات شيطانية» الذي تزلزلت منه الأرض حتى في البلدان الملحدة ثم ها هي الأمازيغية تكتب بالحروف اللاتينية! ولا تدري هل هؤلاء (المتمازيغين) يجهلون أو يتجاهلون أن للأمازيغية حروفا تسمى: «تيفيناغ» وحركات وضوابط تسمى: «تيدباكين» وكل ذلك جميعا يدعى: «ثماشغت» أو «ثمازغت» أي اللغة الأمازيغية. فلم العدول عن هذه الحروف الأصلية الى غيرها، كانت بالأمس فاغرة فاها لا بتلاعها.؟

ثم ما معنى هذا التهافت على الأكاديمية البربرية بباريس واحتضان كل ما يأتيها منها بكل حرارة وشوق، وصاحب هذا الفضل في إنشاء هذه المؤسسة كان بالأمس القريب لا يتردد في الزج بمن يضبطه بقرأ أشعار «سي محند وامحمد» في السجن. اشرحوا لنا ببركم أيها المتمازغون العباقرة كيف تحول هذا العدو اللدود للأمازيغية حين كان الأمر بيده، الى صديق حميم بعد أن أفلت الحبل من يده؟ أو لم تعلموا أن المستعمر الفرنسي جاء لردم المسافة الزمنية الفاصلة بينه وبين أجداده الرومان، كأن أربعة عشر قرنا من الزمن لا وجود لها، أو لاوجود للجزائر خلالها، (وتسمية الفرنسي بالرومي جاءت من هذا).

أو تجهلون كذلك أن المحتل الجديد ركز عنايته المكثفة بشكل رهيب على القبائل ليجعل منهم أداة لتسلخ الجزائر، بل إفريقيا كلها من ماضيها ومن حضارتها خاصة الإسلامية. وكأننا بصاحب الموقف المؤيد لزعيمه الروحي «سلمان رشدي» يقول : دعونا من كل هذه الخزعبلات، وهذه الفلسفة، إنكم تحاولون مغالطة السذج، أما نحن دهاة العصر فلا تنظلي علينا حيلتكم!!.

نعم له أن يقول ذلك فهو حر فيما يقول وما يعتقد وإنما فقط نستسمحه في أن يتفضل بالاستماع الى هذه الفقرة الواردة في خطاب «لافيجري» أبو الحركة التبشيرية في الجزائر أمام الوالي العام في المؤتمر المسيحي :

«... إن فرنسا لا يمكنها أن تنجب من الأجيال ما تعمر به أرض فرنسا وأرض الجزائر الفرنسية في نفس الوقت، ولكن اطمثنوا سيادة الوالي العام وطمثنوا الدولة الفرنسية لأننا وجدنا حلا لهذه المعضلة.. إننا عازمون على تمسيح مليونين ونصف من القبائل، وحين يتم لنا ذلك فهم الذين سيمسحون الجزائر كلها بل إفريقيا كلها..»

ما رأيكم في هذا النصريح أمام عدد ضخم من خلق الله يا دهاة العصر؟ أم أن «لافيجري» كان يسفسط هو أيضا ويريد مغالطة دولته (السادجة)؟

ألا فلتعلنوها بصراحة أيها.. وقولوا: إنكم أليتم على أنفسكم أن تكونوا امتداداً لتلك الحملات وأداة لتنفيذ تلك المخططات، ولم لا تصارحن أتباعكم الطيبين؟ ولم تخدعونهم بالعناوين الغامضة والبراقة في نفس الوقت؟ ولم تلبسون مسوح الراعي الذي يعمي القطيع من الذئب، وأنت الذئب الذي يخشى منه على القطيع! ولكن ثقوا أن من خدعتموهم سيكتشفون يوماً خداعكم يومئذ سيكون لهم معكم حساب عسير!! لا. لا. أيها المارقون من الدين، إن فيض الإسلام ارتوت به أرواحنا. وارتوت به أبداننا، وارتوت به حيواناتنا ونباتاتنا وحتى صخورنا. فهو باق الى الأبد في هذه الربوع حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن يدري لعل طارقاً آخر سيظهر في المستقبل لينشر نور الإسلام من جديد، ولكن هذه المرة ليس في الأندلس وحدها، بل في كل أوربا ولم لا في كل الغرب!! ذلك أنه كم من متفلسف مثلكم وصف الثورة الجزائرية عند اندلاعها بأنها عملية انتحار جماعي! ولكن الجواب عن هذا التفلسف ما ترون اليوم، لا ما كنتم تسمعون بالأمس!

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) «الرشديون»

وتحت عنوان : «نحن معك يا صرخة الحق» ورد مقال بإمضاء بن نذير محمد، وعباط أكلبي في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/24 (كله تأييد ومساندة لأصحاب المقال السابق) ومما جاء فيه :

« لقد أنحفنا جريدة «الشعب» الفراء في عددها 3103 بتاريخ 89/11/19 بمقال تحت عنوان «هلا أعلنتموها صراحة».

هذا المقال الذي تناول فيه أصحابه مسألة حساسة وخطيرة معاً، كشفوا به بعض الجوانب للمكائد التي تحاك ضد الوطن وضد الإسلام، وما أكثرها. هذه المكائد التي تبناها بعض أحزابنا عن غفلة أو سوء نية تحت غطاء الديمقراطية وحرية التعبير و الدفاع عن الثقافة الى غير ذلك من العناوين البراقة الخادعة.

وبين كذلك أن هذا نوع من السم في الدسم يراد به خدمة أغراض أعداء الوطن وأعداء الإسلام تحت ظلال الشرعية الحزبية.

قولوا لنا أيها القراء الأفاضل الأعزاء : أمن المستبعد أن يحصل هذا الحزب المنفذ لسياسة أسياده بكل أمانة - عن وعي أو عدمه - على هدية ثمينة جزاء وفاقا على فعلته الشنعاء (بالنسبة لنا) والرائعة (بالنسبة لهم) ؟

ولم لا ؟ فهؤلاء على استعداد تام لبذل أموال باهضة وجهود مضنية لجعل مثل هذه الأفكار الهدامة تتسرب الى المجتمعات التي اتعبتهم كثيرا عبر التاريخ الطويل ! خاصة إذا جاءت مثل هذه المحاولات من أفراد المجتمع نفسه، لأنها تدرك أنها أشد تأثيرا وأكثر فعالية.

الا فتبأ لهم من قوم أغبياء يريدون أن يقذفوا بنا وبأنفسهم ووطنهم وتراثهم المجيد بين أشداق الوحش الذي كان بالأمس - وب يزال - يتربص بنا الدوائر، متى ستسنع الفرصة للاتقضاض علينا وازدراونا جميعا !

وباختصار فإن كل ماورد في المقال يعبر عن مشاعرنا أصدق تعبير لا سيما ما يتعلق بتبني مشاريع الأكاديمية البربرية بباريس «بشوق وحرارة» وإلا فما معنى إقحام الحرف اللاتيني - كما جاء في المقال - على الأمازيغية التي لم تكن تتوهم يوما أن يعانقها هذا الحرف العدو وليتخذ منها (عشيقة) !

إنها حملة شعواء حقا على الوطن وعلى التراث، ولكنها مع الأسف تحت غطاء الثقافة والديمقراطية، ولتحت حماية الشرعية الحزبية !

ألا فلتكشف هذه المشاريع التخريبية حتى تسقط الأفتنة فتظهر الوجهه على حقيقتها كي يمكن للشعب أن يقول فيها كلمته الحاسمة قبل فوات الأوان.

وتحت عنوان : «مزيذا من الحذر واليقظة» جاء في مقال بإمضاء مجموعة من الشباب الوطني منشور بجريدة الشعب بتاريخ 1989/12/22 (تنديد بالتأييد وتأييد للتنديد) جاء فيه :

« وبعد، فلقد اكتشف اخوتنا الأمازيغ زيف شعار الدفاع عن الثقافة الأمازيغية الذي ينادي به حزب التجمع والثقافة بعدما نشرت الصحف الوطنية خبر موقف هذا الحزب من نشر كتاب «آيات شيطانية» للمرتد سلمان رشدي.

جاء ذلك في مقال لجماعة من تيزي وزو، نشر بجريدة الشعب يوم 19 نوفمبر 1989 تحت عنوان «هلا أعلنتموها بصراحة» أن هذا الرد الشجاع شجب بقوة شعرا لا يخدم سوى الأطماع السياسية الاستعمارية الجديدة. هذا وإن كنا لا نشك في إيمان إخوتنا الأمازيغ وإخلاصهم للدين الذي أخرج آباءهم من الظلمات إلى النور، وحررهم من الذل والعبودية طيلة فترة الاستعمار الروماني، فإننا كنا نود أن يعلنوها صراحة قبل هذا اليوم.

إلا أننا نلتمس لأخوتنا العذر لانخداعهم بشعارات زائفة. أن الإسلام ما زال بخير في هذا البلد، وأن من يحاول المساس به، تحل به نقمة الأمة ويسقط من حساباتها. قميدا من الحذر واليقظة فما زال للاستعمار أذنان و خدام ببلادنا».

وتحت عنوان: «اللاكية وأشياء أخرى...» ورد مقال (صحفي) بإمضاء بشير حمادي، منشور بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/26 جاء فيه على الخصوص :

« لقد برزت على الساحة السياسية عندنا منذ قرار التعددية (دستوريا) أحزاب تحمل في تسميتها كلمة «الديمقراطية» ومن هذه الأحزاب من قام من أجل الديمقراطية، أي أنه قام دفاعاً عنها، عاملاً على جعلها حقيقة، مكنها بذلك «مونتسكيو»، هذا التنظيم السياسي يسمى «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» الذي عقد مؤتمره الأول يومي 16 و 17 ديسمبر 1989، وحضرنا جانباً من أشغاله التي أسالت حبر أقلام بعض زملائنا في المهنة خاصة كوكبة جريدة «المساء» التي أزعجت التجمع إلى حد رفض التعامل مع الجريدة ككل!!

إن هذا التنظيم السياسي قائم على أساس ثلاثية مضمنة في تسميته وهي : التجمع، الثقافة، الديمقراطية.

وهذا التنظيم يؤكد في برنامجه من خلال تصريحات قادته على مبادئ تشكل هي الأخرى ثلاثية تتمثل في : الأمازيغية، العروبة، الإسلام.

وعقد هذا التنظيم مؤتمره الأول تحت شعار يتضمن ثلاثية أخرى هي : الصراحة، الوفاق، التفتح.

وقد بعثت مجريات أشغال المؤتمر، وما تلاها ثلاثية جديدة تتمثل في:
الفرنسية، اللاتكية، الاستبداد.

إنه لمن الصعوبة بمكان أن يجد المرء الخيط الرابط بين الثلاثية التي قام من أجلها هذا التنظيم السياسي، وبين مبادئه المعلن عنها، وبين شعار مؤتمره الأول، وبين الممارسة، فإذا أخذنا من الأساس «التجمع» فإننا نجد «الوفاق» امتداده في الشعار، وإذا أخذنا «الثقافة» فإننا نجد «الأمازيغية» امتدادا لها في المبادئ، و«التفتح» امتدادا لها في الشعار، وإذا أخذنا «الديمقراطية» فإننا نجد «الصراحة» امتدادا لها في شعار المؤتمر، ولكن أين امتداد العروبة والإسلام؟

إن هاتين الكلمتين تظهران وكأنهما متحمتان وسط الكلمات الأخرى، ولهذا نجد أن ثلاثية الممارسة جاءت معاكسة لهما تماما، وهذا من خلال «إعادة الاعتبار للفرنسية» التي كانت سيدة الموقف بدون منازع... سيدة على العربية الفصحى، وعلى الدارجة، وحتى على الأمازيغية، وكذلك من خلال «اللاتكية» التي جاءت «حامية الدين» عند التجمع!!

سأقصر حديثي عن الفرنسية كممارسة، التي تولدت عن التفتح كشعار، وعن الاستبداد الذي ولد من صلب «الصراحة والديمقراطية» وعن «اللاتكية الإسلامية»!!

- لقد كانت الفرنسية لغة التخاطب والحوار بين الأغلبية الساحقة من المؤتمرين بل أكثر من هذا فقد كانت محل دفاع عنها في تقرير الجنوب الذي طالب «بإعادة الاعتبار إلى اللغة الفرنسية لأسباب فنية وعلمية» وفي تدخلات عدد من المندوبين الذين يرون أن التفتح على العالم لا يمكنه أن يكون إلا من خلال نافذة الفرنكوفونية، بل أن العالم هو فرنسا والدويلات الضعيفة السائرة في فلكها، في حين أن الفرنسيين يشعرون بغربة كبيرة في أوروبا الغربية نفسها، ذلك أن الإنجليزية في محيطهم الجبوي- سياسي هي السيدة والسائدة دون منازع، وأن الألمانية هي أقوى منها في هذه الساحة، وحائط برلين قائم بين الألمانيتين، فكيف سيكون وضع الفرنسية بعد سقوط الحائط وتوحد الألمانيتين الذي يربح

الفرنسيين، يضاف الى هذا أن الإيطالية والإسبانية تنازعان الفرنسية على كل شبر في المنطقة.

أنصار «التجمع» في موقفهم من اللغة الفرنسية ليس موقف الضحية، أي أنهم ضحية التاريخ، والظروف التي جعلت الفرنسية سيدة في بلدنا، وجعلتهم من المتعلمين بها جاهلين للغة العربية...

ولكنه موقف الضحية من التاريخ والظروف التي جعلت العربية تنافس الفرنسية في هذا الوطن، فقد ذهب بعضهم الى حد اعتبار الإطارات العلمية الجزائرية في الخارج تحت ما يسمى «هروب الأدمغة» ضحية التعريب في الجزائر، ورغم أن التعريب لم يدخل بعد الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية، ولكن رغم ذلك فإن التعريب هو الذي اضطهدهم، وجعلهم يحزمون حقائبهم ويغادرون الوطن للعمل في الخارج!!

والحل حسب هذه النظرة يجب أن يكون مقلوبا بالطبع ويتمثل في إعادة الاعتبار للفرنسية، والتخلي عن التعريب، وهكذا تنقلب المعادلة، وبدلا من هروب الأدمغة الى العالم المتقدم بإرادتنا سيمكنون من العودة الى خدمة فرنسا في أرض الوطن، بكل ديمقراطية وشفافية، وبالفرنسية طبعاً!!

هذا هو التفكير الأعرج «للتجمع» والى هذا التنكر للعربية، والتي ينص قانون الجمعيات ذات الطابع السياسي في مادته الرابعة على أنه «يجب على كل جمعية ذات طابع سياسي أن تستعمل اللغة العربية في ممارستها الرسمية يضاف تنكر آخر للعربية «فلا شيء يربط التجمع بالعالم العربي» وأن «الشعب الجزائري ليس عربيا بالضرورة شئنا أم أبينا» وأن «جامعة الدول العربية مجرد خرافة لأنها تريد أن تجمع دولا ليس كل شعوبها عربا، وهي مبنية على أساس عنصري» وأن «التجمع وإن كان يساند الشعب الفلسطيني، فإنه لا يسانده لأنه شعب عربي كما يقول البعض، ولا لأن إسرائيل شعب يهودي وإنما المسألة تتعلق بشعب يبحث عن مكانة تحت الشمس». وبعد كل هذا يقول التجمع أن الشخصية الجزائرية تتشكل من خمس مكونات تأتي العربية فيها الثانية بعد الأمازيغية!!

- أما فيما يتعلق بالديمقراطية التي تشكل أحد مبررات وجود «التجمع» فقد كان محبا لها حب القطة لأبنائها، حب وصل الى حد الأكل، وينوع من الافتراس البشع، يسمونه في لغة السياسة : الاستبداد، وهناك مؤشرات كثيرة عن الحب الافتراضي للديمقراطية عند «التجمع» نذكر منها:

(1) المناقشة العامة كان الرأي فيها مشروطا، أي أنه لا يجب أن يخالف المتدخلون رأي المؤسسين «للتجمع» فإن قال المؤسسون «الأمازيغية لغة وطنية دستورا» فإنه يحرم على كل واحد أن يقول خلال ذلك حتى وأن كان لم يسمع طوال حياته بـ«لغة أمازيغية» ولم يشاهد حروفها وأرقامها، وإن قال المؤسسون «اللاتكية» فإنه يتحتم على الجميع أن يرددوا هذه الكلمة حتى وإن كان أغلبهم لا يدرك معناها.

(2) منع المندوبين من الحديث الى رجال الإعلام، وتؤكد أن عددا منهم لم يكن يعرف مبادئ الحزب، بل أن البعض لم يكن يعرف أنه ينتمي الى حزب على الإطلاق، وجاء الى العاصمة باحثا عن تاريخ الأجداد الأمازيغ!!

(3) إن الفصل أو الأبعاد من «التجمع» مثلما حدث فيما عرف بقضية «بابوش» يتم وفق قواعد الانضباط العسكرية، بل أن هذه أكثر ديمقراطية، ذلك أن الفصل يتم دون المرور عن لجنة انضباط أو لجنة إثبات العضوية للمؤتمر، دون الاستماع الى رأي المفضول، فيما ينسب إليه من خصمه، فالخصم كان خصما وحكما.

(4) إن ديمقراطية «التجمع» لا تحتمل حتى رائحة الشك في ثوابته فبمجرد تساؤل مندوب في «المناقشة العامة» : ألا يشكل اعتناق العلمانية خطرا على الإسلام الذي هو دين الأغلبية العظمى لشعبنا؟ قاطعه رئيس المؤتمر بقوله : «أن ثوابت (الأر.سي.دي) هي (الأمازيغية والعلمانية) ولاشيء غيرها لأنه قام لأجلها، ولأجلها فقط، وبدونها فإن (الأر.سي.دي) يعتبر معوقا وبدون رجلين، وبالتالي فإنه لا يتحرك، ولن يذهب بعيدا، ومن يعارض أحد هذين الثابتين فما عليه إلا الانسحاب... ويظهر أن بعض الاخوة قد أخطأوا الباب، وما عليهم إلا طرق أبواب أخرى غير باب (الأر.سي.دي).

لقد كنا نعتقد أن «التجمع» قام من أجل الثقافة والديمقراطية، ولكن تبين من كلام رئيس المؤتمر أنه قام من أجل «الأمازيغية واللاتكية» ولأجلها فقط».

وتحت عنوان: «تساؤلات» ورد في جريدة الشعب بتاريخ 1989/12/21، مقال بإمضاء المواطن ص. ب (ذراع بن خدة) جاء فيه:

«أثناء المؤتمر الأول لحزب (التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) الذي انعقد يوم 15 ديسمبر 1989 في قصر الأمم بنادي الصنوبر، أجاب ممثل حزب التجمع - عندما سألته الصحافة الوطنية عن المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن «دين الدولة الإسلام» - قائلا بأن هذه المادة لم تعرف إلا بعد سنة 1962، بمعنى أن الجزائر كانت قبل هذا التاريخ دولة «لاتكية» فارتدت عن المسار الصحيح، فأصبحت بعد الاستقلال تنص في قوانينها على الإسلام.

لقد نسي ممثل «التجمع» بأن الثورة الجزائرية الكبرى فجرتها أرواح طاهرة من ذلك الرعيل الفريد، جيل نوفمبر، أمثال العقيد الحواس والعقيد عميروش (الذي استشهد وفي جيبه المصحف الشريف) والعربي بن مهيدي، وزيفود يوسف وغيرهم...

هؤلاء الصناديد الذين صاغوا توجه ثورتهم في بيان أول نوفمبر سنة 1954 الخالد والذي جاء فيه بالخصوص إقامة حكومة جزائرية.. داخل إطار المبادئ الإسلامية وتحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطار العروبة والإسلام، ثم أن المادة الثانية التي تضمنها دستور سنة 1989 قد صادق عليها الشعب في استفتاء نوفمبر 1988، فلست أدري أبهتف بأن السيادة تعود إلى الشعب وحده من جهة، ثم يستهزئ بمشاعره من جهة أخرى؟

أما عندما سئل عن «اللاتكية» أجاب الدكتور ممثل وزعيم حزب «التجمع» قائلا بأن «شيخ الجامع» أو «شيخ الدشرة» يجب أن يبقى في دائرته أي في «المسجد» كما كان ذلك في السابق، ولايتدخل في الشؤون السياسية والاقتصادية للبلاد... هذا في حين أن هناك بعض القرى «ثوذين» من القبائل الكبرى إلى يومنا هذا، ما زال «شيخ الجامع» الذي يترأس الجمعية العامة للقبيلة

المسماة بـ : «ثجمعيت» ، ترجع له الكلمة الأخيرة في الفصل بين المنازعات الواقعة في حدود قبيلته.

فنحن نتساءل مرة أخرى، لماذا يخول الدكتور لنفسه (و هو طبيب أمراض عصبية) الحق بأن يتدخل في الشؤون السياسية ويحرم غيره من إبداء الرأي بمجرد أنه «رجل دين» أهذه هي «الديمقراطية»؟!

وتحسنت عننوان : «حقوق المرأة!! واللعبة المخفية؟؟» ورد مقال بإمضاء المواطن محمد. ط، بجريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/25 جاء فيه على الخصوص:

« طغت، في أيامنا هذه، مسألة اصطلاح على تسميتها : قضية الحقوق المهضومة؟ المرأة في مجتمعنا...؟! »

والطرح بهذه الصورة، في هذا الوقت، ليس وليد الصدفة.. بل أن في الأمر حسابات وأشياء كثيرة تطبخ بإحكام، ومكر، سرا، من طرف عناصر مدسوسة في الداخل،، معروفة بولائها لكل ما هو آت من وراء البحر؟! وبالخصوص نحو بلد معين؟! لهم حساسية شديدة نحوه؟

وهناك أكثر من دليل يثبت أن القضية تتعدى مسألة رفع جور؟! وظلم!! حاصل ضد المرأة..

بل أن القضية في مجملها أصبحت ورقة في يد كثير من الأطراف والجهات، للمساومة بها، والعزف على أوتارها،، لتحقيق مآرب، ليس للمرأة فيها ناقة ولا جمل...!!

يعني هذا الطرح، بهذه الصورة وفي هذا الوقت بالذات، فيما يعنيه : إلهاء المجتمع الجزائري بقضايا مصطنعة! ومختلفة! من أجل صده عن أمور ذات أهمية، تأتي في الدرجة الأولى من سلم الأولويات، وهي بناء مجتمع جزائري قوي اقتصاديا، الشيء الذي يحقق له استقلالية في قراراته وممارسة لسيادته داخليا وخارجيا، بعيدا عن كل تأثير أو وصاية خارجية، من شأنها أن تحد من ممارسة سيادته بصورة فعلية..

فالمرأة في هذه الأيام صارت مطية وقناعا يختفي وراءه كل من يعادي الجزائر وثوابت الأمة، ويريد تمرير مشروعه الجذاب وسط شعارات جوفاء، ظاهرها حقوق المرأة وباطنها محاربة الإسلام، وأحكام وأخلاق الإسلام، وحتى لغة الإسلام. في المظاهرات التي تقام بهذه المناسبة تجدد كل شيء، يعبر عن معاداة الشعب : طموحاته واختياراته..

فتلاحظ فيما تشاهد، خلال التجمعات «النسوية»!

- الاستعمال الفاحش لمحد الشمال، للغة الفرنسية، سواء على مستوى اللاقات أو الشعارات التي يتناحرن بها..

- اللباس، جله لا يوافق المحيط العام لتقاليد وعادات الشعب، زيادة على أنها تقليد لحسنات الغرب..

- سلوكات مشينة كالتدخين، انحطاط أخلاقي... الخ.

زيادة على كل هذا هناك صمت قاتل، كأنهن صم بكم، بالنسبة للأمور التي تهم الوطن والتي هي من اهتمامات فئات كبيرة من الشعب.

- من هذه القضايا على سبيل المثال لا الحصر :

- لم نسمع يوما وقوف الجمعيات النسوية مع التعريب وضرورة إحلاله مكانته الطبيعية في أرضه وبين أبنائه.

- عدم استنكارها لتدنيس الأقدام السوداء لأرضا الطاهرة..

- الصمت المشبوه!! للاتسامح والاضطهاد الممارس في فرنسا ضد طفلتين بسبب وضعهما على رأسيهما منديلا!!

كل هذا وأكثر من هذا رسخ في عقولنا أن هذه الجمعيات النسوية مستعملة من قبل أطراف أجنبية! كمعاول لضرب الإسلام، ومحاربة ثوابت الأمة، واختيارات الشعب...

وما يدعم الاعتقاد، وبتركنا نشك فيهن وجعلهن موضع ربه وخطر على المجتمع، هو أن الذي أعطى شرارة الانطلاقة لحركتهن المشبوهة هي (إيزابيل

أجاني) المتربية في أحضان «مدام لفرونس»... ومن ثمة فإن هناك اعتقاداً لدى قطاع واسع من أبناء الشعب أن جمعياتكن طرف له تمثيل في «حزب فرنسا»...!

وتحت عنوان : «لا علاقة بين حزب علماني والإباضية» ورد مقال بإمضاء محمد سليمان بوكراع (من معهد الحقوق جامعة الجزائر) صادر بجريدة الشعب في 1990/1/30 جاء فيه على الخصوص :

« - كثيراً ما نسمع ونشاهد في وسائل الإعلام الوطنية المختلفة وحتى الأجنبية منها أحاديث وآراء يريد بها أصحابها «إنارة» الطريق للتعبير الحر، وتوسيع دائرة النقاش البناء على مسرح الأحداث الوطنية، غير أن معظم هذا حاد عن الطريق الإيجابي وأخذ بمنهاج التعصب والتفرقة والتغريب.

- كيف ونحن نطالع بعض الصحف للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية لمجدها تنادي إلى العلمانية «اللاتكية» واعتبارها من الثوابت الأساسية للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نطالع في نفس الصحف عن علاقة الحزب «الأر. سي. دي» تجاه إحدى الجماعات الإسلامية العريقة في الجزائر، وهي جماعة الإباضيين «الميزابيين» والفرض أو الهدف من وراء كل هذا هو كسب تأييد هذه الجماعة المسلمة في إطار حملة الحزب لتوسيع قاعدته الشعبية، وإعداده للانتخابات المقبلة، وهنا السؤال الذي يطرح نفسه، هل زعماء وأنصار حزب «الأر. سي. دي» تناسوا أم تجاهلوا أن هذه الجماعة المسلمة من الإباضيين، هم الذين أسسوا أول دولة جمهورية طبقت أحكام الفقه والشرعة الإسلامية في الجزائر؟ وهي الدولة الرستمية التي بلغت ذروة التطور في كافة المجالات، سواء كانت اقتصادية، اجتماعية، سياسية أو ثقافية، والتاريخ لخير شاهد على ذلك.

- إذن من هذه المعطيات التاريخية والموضوعية نلاحظ التعارض والتناقض من المبادئ إلى الأهداف، وأن الجانبين يقفان على أسس مختلفة جذريا، ذلك أن موقف جماعة الإباضية (الميزابية) من الدين الإسلامي غير موقف حزب «الأر. سي. دي» من الدين الإسلامي. وكذلك موقف جماعة الإباضية من الثقافة

والهوية مغالاف تماما لموقف «الأر. سي. دي» حيث أن حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية حزب علماني، ينادي بفصل الدين عن الدولة، وهذا استنادا الي قول أمبئنه العام (أن ثوابت «الأر. سي. دي» هي الأمازيغية والعلمانية، أي اللاتكية، ولاشيء غيرهما، لأنه قام لأجلهما ولأجلهما فقط ويدونهما يعتبر «الأر. سي. دي» معوقا بدون رجلين، وبالتالي فإنه لا يتحرك ولا يذهب بعيدا).

إذن الأسس الإيديولوجية للحزب وبرنامجها السياسي ينبع ويصب من وفي العلمانية بصريح الألفاظ والمحتوى، وهذا ما أعلنته قيادة الحزب المتأثرة والمنخدعة بالثقافة والقيم الغربية، وهذا يتجلى كذلك واضحا لما راج من أخبار عن الوكالة الفرنسية للأتباء «التي أشادت بالشجاعة السياسية والأدبية التي تحلى بها حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية في مطالبته بفصل الدين عن الدولة، وباعتماد اللهجة الأمازيغية كلغة وطنية وبإعادة الاعتبار للغة الفرنسية».

وكذلك جاء في تدخل ممثل الحزب الاشتراكي الفرنسي في المؤتمر الأول للتجمع «الأر. سي. دي» حيث أشاد بأعمال هذا التجمع وعبر عن مساندة حزبه الكاملة لـ «الأر. سي. دي» وقال بالحرف الواحد «استمروا في عملكم فإننا معكم».

- إذن كيف يرفع الحزب شعار فصل الدين عن الدولة ساعيا مع ذلك جلب جماعة من الجماعات الإسلامية المتمسكة أكثر من غيرها بالشريعة الإسلامية، وتعمل بها، وهي الداعية الي إقامة شرع الله في العباد والبلاد لما فيه الخير، وقد عهزت عن هذا الأسلوب في حياتها اليومية من خلال علاقاتها الأسرية والاجتماعية والاقتصادية.

- الإباحيون «الميزابيين» هم الذين يوصفون بالفضيلة والعدل، ويوصفون بالاستقامة ويدعون الى الحق ويبشرون به بين الناس، ويدعون الناس الى التحسك بأهداف الفضيلة والتمسك بمبادئ الكتاب الكريم والسنة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإباحية تدعو الى اتباع النظام الذي كان عليه رسول

الله عليه الصلاة والسلام، والذي كان عليه الخلفاء الراشدون، إذن الإباضيون وقفوا عند حدود الله، وعملوا بسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، ولم يتعدوا قيد شعرة ما جاءت به أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيها، فهم كانوا وما زالوا ملتزمين حق الالتزام بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وليعلم زعماء وأنصار وضحايا «الأر. سي. دي» أن من المبادئ الأساسية في الحياة العامة للإباضية (الميزابيين) هو نظام الولاية والبراعة عملاً بقوله تعالى: «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم وما تعبدون من دون الله كفنرنا بكم وبنا ببنا وبهتكم العداوة والهفشاء أبنا حتى تؤمنوا بالله وحده»⁽¹⁾. ولهذا الآية أبعاد دينية واجتماعية وسياسية، إذن لا شك أن ولاء الإباضية عامة هو ولاء للإسلام.

فكل التصرفات والادعاءات التي تصدر من «الأر. سي. دي» وأدعيائه سواء كانت عن جهل أو معتمدة لكسب وجلب الشباب الإباضي المسلم والمثقف بالثقافة الإسلامية، ستسقط ولا مجال لها في أحوال العرقية والتغريب، وليدركوا قيمة ونبل أبناء الإباضية في ميزاب بمساهماتهم في الماضي والحاضر خدمة للإسلام والمسلمين، وهم الذين ساهموا ويساهمون في حركة النهضة السياسية والإصلاحية الإسلامية ليس في الجزائر فحسب، بل في كل المغرب العربي الإسلامي الكبير، والتاريخ حافل بهذه المساهمات والبطولات.

أما موقف التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، من قضية التنوع والتعدد اللغوي للشعب الجزائري، حيث ينادون بوضع حد لأهمال اللغة الأمازيغية وإعادة الاعتبار لها بعدما دفنت وذلك بتحويلها إلى لغة وطنية ثانية إلى جانب اللغة العربية التي ليست لغة كل الشعب الجزائري واستبدالها بالدارجة باعتبار هذه الأخيرة هي اللغة الشعبية الحقيقية والأقرب إلى الجميع، وتبريرهم لهذا يكمن في كون اللغة الأمازيغية ما تزال تربط بين معظم جهات وفئات المجتمع الجزائري، لكنهم لم يقفوا عند حد الأمازيغية، بل راحوا يطالبون بإرجاع اللغة الفرنسية إلى

(1) سورة الممتحنة، الآية: 4.

كافة مجالات الحياة الاجتماعية، ومبررهم في ذلك هو التنوع والتعدد الذي يؤدي الى التفتح على العالم والاستفادة منه.

- لكن الأمر ليس بهذه البساطة كما يتوهم أغلب ضحايا « الأرس.سي.دي » لأن وراء هذه المطالب عدة أغراض وأهداف منها العرقية والعنصرية التي تدخل في سياق خدمة العلمانية والتفسيخ والتغريب.

والحل السليم لهذه القضية يكمن في أن الثقافة الأمازيغية تجد طرحها السليم في منظور إسلامي واقعي بإحياء الثقافات المحلية والمحافظة عليها وتشجيع الإبداع بها، هذا ما يطمح إليه المجتمع المسلم الإباضي الميزابي، بعيدا عن كل التعصب الذي تقف وراءه أياد أجنبية خفية، لكنها معروفة ومكشوفة لدى كل مواطن غيور على وحدة وطنه، وهذه الأيدي الأجنبية الخفية الحاكمة، لها أهداف ونوايا خبيثة على هذه لجماعة المسلمة في مسلسل التهديم والتفسيخ، تحت شعار حماية حقوق الجماعة الإباضية (الميزابية) ثقافيا وسياسيا، وإخراج هذه الجماعة من توقعها وانزوائها، هذا حسب زعم زعماء « الأرس.سي.دي ».

وليعلم أخيرا كل زعماء وأنصار وضحايا حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية أن الإباضيين (الميزابيين) الجزائريين يرفضون كل حزب لا يتماشى مع المنطق الإسلامي، وهم الذين يرجعون كل مقومات ومكونات الثقافة الوطنية الى معيار أساسي واحد وهو مدى قربها وبعدها عن المكون القاعدي والجهوي لها أي الإسلام.

الفصل السابع

مناقشة أطروحات الحركة البربرية

لقد كان من فوائد هذه المرحلة المعيشة من الديمقراطية وحرية التعبير في الجزائر (ما بعد أكتوبر 1988) أنها بينت للذين لا يعملون، أشياء كثيرة طفت على السطح، ما كان لهم أن يصدقوا بوجودها قبل ذلك في أعماق المستنقع! ولعل ما أوردناه من نصوص ومقالات لمختلف الاتجاهات، (في الفصول السابقة) لأقوى دليل على ما نقول.

ورغم أننا متيقنون بأن الزيد سيذهب جفاء ولا يبقى في الأرض إلا ما ينفع الناس في النهاية، إلا أن ما يجب الوقوف عنده يتمعن في هذا الماراطون التعبيري الحر الذي أصبحت تعيشه البلاد، والمتمثل في عرض أطروحات متناقضة حتى مع الدستور الجديد (1989) الذي أوجد طارحيها، ومكنهم من عرضها، هو ما يلاحظ من عمليات الخلط بين المبادئ والأهداف والوسائل، عن جهل تارة لدى البعض، أو تجاهل لدى البعض الآخر من هذه الأحزاب، ولئن كان المناور منهم معروفا والمهاجم مكشوفاً فالمدافع معذور إذا رأيناه يحاول البرهنة على البديهييات، كإثبات وجود الشمس في وضع النهار!

وانطلاقاً من هذه المفارقات (العجيبة) التي تلاحظ في الخلط بين الهدف والوسيلة وبين الأمة والقبيلة.. حيث أنحرفت المناقشات لدى بعض الأحزاب من إطار البحث عن الكيفيات لترسيخ الثوابت الوطنية لأركان الأمة، إلى التشكيك في البديهييات، كالبحث عن الذات، وكأنما الجزائر خرجت اليوم إلى الحياة!!

فمن هذه المفارقات لدى بعض التشكيلات السياسية الطائفية على السطح - في الساحة الديمقراطية والتعددية - ما يلاحظ من محاولة الإنكار تارة لعروبة الجزائر وإسلامها، أو إثبات إسلامها دون عروبتها... أو إثبات عروبتها (المستعمرة) دون إسلامها... ووجدت هذه الأحزاب نفسها تطرق (أو تقفل) أبوابها فتحها الفاتحون الأول منذ قرون! ⁽¹⁾ ولئن كان طرق هذه الأبواب لا يفيد، فإن محاولة غلقها لا يعيد التاريخ إلى الوراء على الإطلاق، على اعتبار أن الإنسان إذا كان يمتلك بعض القدرة على التحكم في الحاضر أو المستقبل، فإنه لا يملك أية قدرة على أن يجعل الذي كان لم يكن!!

وطالما أن الجهل قد اختلط بالتجاهل في هذه المسألة الهامة والمصيرية، وأن بعض الخطأ قد غلف بورق براق من (الصواب السفساطي). فإن الأمر يتطلب الوقوف للتذكير ببعض البديهيات العلمية والسياسية... ومنها أننا لو تناولنا الموضوع من الزاوية الإصطلاحية العلمية نجد أن كل النظريات الأنثروبولوجية التي تبحث موضوع الشخصية والثقافة تثبت أن مسألة العرق لا تمت بصلة إلى موضوع الثقافة، لأن الثقافة من صفاتها الأساسية أنها مكتسبة، أما العرق فهو وراثي، ومن ثمة فإن السمات الشخصية لأي شعب تتكون من نوعية ثقافته وليس من فصيلة دمه، أو لون بشرته، أو لون شعره، أو شكل جمجمته... ولو كان للعرق دور في الشخصية القومية للشعوب لكان كل أبناء البشر أمة واحدة، لأنهم في حقيقة الأمر منحدرين من أصل واحد، سواء من (آدم الإنسان) عند المؤمنين، أو من (آدم القرود) عند الداروينيين!

مع العلم أن الثقافة في آخر تعريفاتها العلمية الشاملة المقررة في المؤتمر العالمي لوزراء الثقافة بمكسيكو سنة 1982 هي: «... أن الثقافة بمعناها الواسع اليوم هي جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وأن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي...»

(1) انظر كتابنا كيف صارت الجزائر مسلحة عربية ٢، مطبعة البحث قسطنطين 1981.

ومن هنا كانت نوعية الثقافة تساوي نوعية الشخصية. فحدد لي ثقافتك (بما فيها من دين وقيم وتقالييد راسخة، وعموميات ثابتة في المسائل الجوهرية المميزة لأصحاب تلك الثقافة) أحدد لك شخصيتك القومية، ولذلك نجد حجة العرقية تمثل سلاحا لا يفيد إلا الاستعمار الجديد في تخطيط وحدة الشعوب المتخلفة التي لا تقلد المستعمرين فيما يفعلونه مع أنفسهم في أوطانهم الأصلية، وإنما تقلدهم، أو تعمل برأيهم - فقط - فيما ينصحون به سكان مستعمراتهم (السابقة واللاحقة) مع أن الفرق بين ما ينصحون به غيرهم، وما يفعلونه مع أنفسهم في الوطن (الأم) هو الفرق بين الموت والحياة (كما سنبين فيما بعد) 11

ومن ذلك - مثلا - أن الاستعمار الفرنسي، كان منظوره، وما يزالون، يصرون على اعتبار الفتوحات الإسلامية للجزائر، والمغرب العربي عموما، على أنها استعمار، جهلا أو تجاهلا، (أرجع الي نص في آخر الفصل الأول) والحقيقة أن هذه التسمية تنم في كلتا الحالتين، عن اعتراف - ضمني - بأن وجود الأقوام الأوروبية في القديم والحديث في هذا البلد كان استعمارا بالمعنى الحقيقي للكلمة، وليس نشرا للحضارة، أو استرجاع أمجاد روما، بإخراج الشعوب المغربية من الظلمات، ورفع الضيم عنها وتخليصها من الاحتلال العربي - الإسلامي، كما ظلوا وما زالوا يزعمون...

كما تنم هذه التسمية للفتوحات الإسلامية بأنها استعمار عن حقد دفين على الإسلام الذي حل محل الدين المسيحي في هذا البلد قديما، وقاوم الغزو الصليبي الفرنسي حديثا.

والأسئلة المنطقية والعلمية التي تطرح نفسها على هؤلاء وأولئك من الذاهبين في هذا الاتجاه هي :

لو كان المسلمون مستعمرين - حقا - فلماذا بقي الإسلام راسخا في الجزائر دون الأشكال الأخرى المختلفة من أنواع الاستعمار التي عرفها البلد، من قبل الفتوحات الإسلامية وبعدها؟

ثم إذا صح أن العرب الفاتحين كانوا دهاة في استعمارهم للجزائر... فآية فائدة للمستعمر أن يحتل بلدا ثم لا يحكمه أبدا؟ بل يسلم السلطة لأهل البلد

بعد إسلامهم ليحكموا أنفسهم بأنفسهم؟ ثم لماذا لم يردد البربر عن دينهم الجديد بعد أن كونوا دولتهم بل دولهم الموحدة والمستقلة بعد الفتح الإسلامي مباشرة، بدءاً من الدولة الرستمية إلى آخر دولة بني عبد الوادي في تلمسان مروراً بدولة المرابطين، والموحدين، والفاطميين المتلاحقة...؟

إذا كان الإسلام واللغة العربية قد انتشرا بقوة السيف في الجزائر، في فترة قصيرة وزالت المسيحية واللاتينية من البلد تبعاً لذلك... فلماذا لم تتمكن فرنسا من القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية طوال قرن ونصف من المحاولات الحثيثة؟ فهل كان الفاتحون الأوائل أكثر ذكاءً في معاملتهم للجزائريين في القرن السابع الميلادي من الفرنسيين في القرن العشرين؟ وإذا كان بقاء العرب في الجزائر يرجع إلى تواضعهم وعدم تكبرهم على البربر ومصاهرتهم والاختلاط بهم والتساوي معهم في الحقوق والواجبات... أفلم تحاول فرنسا الاندماج مع الجزائريين بكل الوسائل... ففشلت كل محاولاتها؟ ثم هل كان للمصاهرة بين البربر (الأصليين) والعرب (المحتلين) أن تحدث من طرف واحد لو لم يكن البربر يرغبون في ذلك؟ وهل كان لأحد أن يرغب في المصاهرة مع أحد (أجنبي وغريب) يعتبره عدواً له ودخيلاً أو أدنى منه عنصراً؟.

وأخيراً لماذا لم تنجح فرنسا في إحلال المسيحية والفرنسية محل الإسلام واللغة العربية، مثلما حل الإسلام والعربية محل المسيحية واللاتينية في الأول قبل 14 قرناً؟.

إن كل هذه الأسئلة وغيرها لا يجدها لها هؤلاء «الفيورون جدا» على ضرورة استقلال البلاد من الاستعمار (العربي - الإسلامي) تفسيراً أو أجوبة علمية تقنعهم، فضلاً عن إقناع غيرهم بها؟.

وهكذا نرى أن الأطروحة التي أوجدها الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد الاستقلال السياسي ستظل قائمة في هذا البلد ومتجددة ما بقيت اللغة الفرنسية سيدة الموقف فيه، وستظل أيضاً ما بقي في المجتمع الجزائري من يرفض أن تكون الجزائر فرنسية، أو أن تكون غير مسلمة عربية في يوم من الأيام، لأن فرنسا أخرجت بالقوة من البلاد وفي نفسها أمل في عقول ونفوس بعض العباد (...).

وهذا الأمل ما انفك يتسع ويغضب على مر السنين الأخيرة التي أعقبت الاستقلال لأسباب كثيرة وستتضح أبعادها أكثر في السنوات الأربع القادمة.

وعليه، فنكتفي هنا بمناقشة هذه الأطروحة (العرقية - اللغوية) التي تحاول أن تغرس في النفوس (...) مقولة مؤداها أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي (نوميديا سابقا) كان استعمارا بآتم معنى الكلمة، وأن اللغة العربية المنتشرة في البلاد نتيجة لذلك هي لغة المستعمر (القديم) التي يودون أن تحارب من أهلها أو من بعض أهلها (على الأقل) لصالح لغة المستعمر الجديد (وهو بيت القصيد) كما لا يخفى على عقول غير المستعمرين (بفتح الميم) من أبناء الأمة، وقد عبروا عن ذلك بمختلف الصيغ فيما أوردناه من استشهادات في الفصول السابقة... وحججنا العلمية والمنطقية للرد على هذه الأطروحة المغالطة هي:

أولا : أن عامل العرق في القومية أو الوطنية هو خرافة لا أساس لها من الواقع، وقد أبطلها العلم بطلانا دامغا (1).

ثانيا : أن ادعاء أية جماعة بأنها ذات عرق رفيع متميز، وأنها محافظة على نقاوة هذا العرق.. هو ادعاء عنصري لا ينهض على أي أساس من العلم، ولا من الواقع في أي بلد من بلدان العالم، باستثناء الكيانات العنصرية. (في ألمانيا النازية. مثلا. فيما مضى، والصهاينة في فلسطين المحتلة، أو صنها حكومة (بوتان) في جنوب إفريقيا في الوقت الحاضر) (2)

ثالثا : أن ربط نوع اللغة بالعرق لا ينهض على أي أساس من الصحة

رابعا : أن مطابقة خريطة المتحدثين بالعربية في الجزائر على خريطة المتحدثين من أصل عربي (كجنس وعرق)، ومطابقة خريطة المتحدثين ببعض اللهجات البربرية في الجزائر على خريطة المتحدثين (جنسا أو عرقا) من الأصل الأمازيغي أو البربري هي مطابقة خاطئة للأسباب العلمية والمنطقية التالية :

(1 - 2) للمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع، أنظر كتابها عن التعصب والعراق العرقي والديني واللغوي... منشورات وحلب، الجزائر.

(1) أن نسبة الجزائريين الذين يتحدثون البربرية بلهجاتها المختلفة (التي قد تفوق العشر لهجات) هم لا يتجاوزون على أكثر تقدير نسبة 15% من سكان الوطن في الوقت الحاضر، أضف الى ذلك أن نسبة 99 % من هذه القلة يعرفون العربية (الدارجة على الأقل)، بل ويجيدونها في غالبيتهم بحكم ديمقراطية التعليم التي انتهجتها البلاد بعد الاستقلال، الى جانب انتشار وسائل الإعلام والتثقيف الجماهيري باللغة الوطنية (العربية) التي عمت كل أرجاء الوطن في السنوات الأخيرة.

(2) أن الحس الشعبي لدى كل الأفراد المنتمين جغرافيا (بحكم الولادة أو الإقامة) الى هذه المناطق المسماة ناطقة بالبربرية (في الخريطة الاستعمارية الفرنسية الجديدة) لا يهضم التمييز بين كلمة عربي وكلمة مسلم، فالعرف السائد حتى الآن في هذه المناطق هو أن كل عربي مسلم والمسلم - أيا كانت جنسيته - لا يتصورونه إلا عربيا!

وهذا الخلط معقول ومقبول في بلد خال من الطوائف (المشرقية) ولم يعرف غير الإسلام دينا والعربية لغة منذ أن دخل في دين الله وتخلّى عما سواه!

(3) انتفاء وجود أي شعور بالتمييز إزاء العروبة الإسلامية في هذه المناطق (كباقي المناطق الأخرى من الوطن) بدليل انتشار الأسماء العربية كـ (فاطمة ورقبية، والزهراء، وخديجة... والعربي، وعلي، وعمر، وعثمان، و «آيت العربي») ومن ذلك - مثلا - محمد أركون، وفقيد الثقافة الجزائرية (محمد) معمري المعروف بمولود (لأسباب نضالية فيما نعتقد؟) والعقيد الشهيد (آيت حمودة) عميروش (أبو نور الدين) الذي ظل ينظم تدريس العربية تحت القنابل الفرنسية، إبان ثورة الجهاد، للمحافظة على روح وكيان الإنسان في أهم مراكز الولاية (كمزrane وثامقوت، وبونعمان...) والواقعة اليوم في ولاية تيزي وزو، حسب التقسيم الإداري الجديد...

كما ظل يرسل مئات الشبان من قلب الولاية الملتهبة بروح الجهاد، لدراسة اللغة العربية في الأقطار الشقيقة استعداداً لاستكمال مسيرة الاستقلال الأكبر،

بعد الاستقلال الأصفر الذي اكتفى به بعض الصغار دون الكبار (بطبيعة الحال) من أبناء الأمة، والذين لا أخالهم، إلا على درب وعهد الشهيد سائرون، والجنة داخلون!

(4) التمسك الشديد لسكان هذه المناطق (على غرار باقي المناطق الأخرى من الوطن) بالتقاليد والقيم الثقافية العربية الإسلامية في عمومياتها الثابتة (وليس في جانبها الفولكلوري)، بدليل أنها كانت، منذ قيام الدولة الرستمية حتى الآن، من أشد مناطق الوطن محافظة على لغة القرآن، وأخصبها إنتاجا للعلماء والكتاب والشعراء، ويكفي دليلا على ذلك أن ابن خلدون تلقى العلم في بجاية (فيمن تلقى على أياديهم من علماء زواوة) على أحد مشايخ منطقة عزازقة، وهو أحمد ودريس المدفون بجبال جرجرة، منذ قرابة الخمسة قرون، بالقرب من معهد تلميذه سيدي عبدالرحمن (اليلولي) الذي يعتبر أحد أقوى القلاع والمعاقل، وأسطق المنارات المشعة للعربية والإسلام في هذا الوطن، والذي ظل وما يزال عامرا بالعلم والعلماء، وقد خرج أجيالا من مصابيح هذه الأمة في أحلك ليلالي الاحتلال، ومنهم (الشيخ مولود الحافظي، والشيخ أرزقي الشرفاوي) الذي درس ودرّس بالأزهر الشريف، وختم مشواره العلمي بتدريسه في المعهد المذكور، علما بأنه من مواليد المنطقة المعروفة (بالشرفة) واسم الشرفاوي نسبة إلى مسقط رأسه كما هو واضح.

هذا وما يزال هذا المعهد بخرج المئات من الشموع بعد إعادة بنائه سنة 1981 على أحدث طراز، للتجاوب مع متطلبات المرحلة (الاستقلالية) ومحو آثار الدمار الذي لحق به من قنابل (التحضير والتنوير الفرنسية سنة 1957) وعلى غرار هذا المعهد المشع والعامر - أبدا - أقام الأهالي على أنقاض التدمير أكثر من خمسة عشر (15) معهدا مماثلا في المنطقة، وبمجهوداتهم الخاصة، تعبيرا وبرهنة على الوفاء بالعهد لنهج لا لافاطمة نسور، وجهاد أحفادها من قادة نوفمبر ومؤتمر الصومام. وذلك لمواصلة الزحف الجهادي المقدس الذي لم تكن سنة 1962 إلا مرحلة من مراحلها المعتبرة، وذلك مصداقا لما كان يستهدفه القائد الشهيد (عميروش) في إرساله المئات من الشبان الذين هم الآن قيمون على هذه المنارات

المشعة الجديدة التي ستتكاثر في وظيفتها (الأهلية) مع المجهودات الرسمية التأصيلية والتنويرية لإزالة كل مخلفات العمليات التنصيرية التي ستهدف المنطقة في الماضي وما تزال تستهدفها بكل الوسائل وتحت ألف ستار، مطبقة مبدأ ميكيا فيلي الشهير «الغاية تبرر الوسيلة».

هذا في الشمال، أما في جنوب البلاد فيكفي دليلا على ذلك، أن شاعر الجهاد المقدس وصاحب النشيد الوطني الخالد، (مفدي زكرياء) من نتاج معهد الحياة النابض بوادي ميزاب، معقل الأصالة العربية الإسلامية التي كانت وما تزال (رغم محافظة أهلها على تداول البربرية في الحياة الأسرية) تضاهي - بكل جدارة واستحقاق - جميع المناطق الوطنية الأخرى التي زالت البربرية بكل لهجاتها، من على ألسنة أهلها منذ قرون!!

والحديث بالبربرية في الحياة اليومية، أمر طبيعي، من عهد طارق بن زياد، وابن تومرت، ويوسف بن تاشفين، وهو أمر طبيعي، كان وسيظل قائما، ليس داخل الوطن الجزائري فحسب، بل حتى على صعيد الوطن العربي، بما فيه اليمن والحجاز، حيث تتعايش الفصحى مع العاميات العربية، بمختلف مصادرها وأصولها، بشرط أن تظل الفصحى (كشأنها دائما) هي لغة الأفكار والعلوم والثقافة الراقية والحضارة والفلسفة والسياسة وإدارة الأمصار... وتبقى العامية وسيلة التداول بين العوام في الحياة اليومية، وجوانب الثقافة المادية، والمسائل الفلكلورية... وحينئذ لا يبقى أي تعارض مفتعل بين الفصحى، وأية عامية من العاميات المتداولة في العالم العربي على الإطلاق، من مسقط إلى نواقشط، مرورا بهواحة سيوه والنوبة، وجبال الأطلسين والطاسيلي في بلاد الموحدين والمرابطين.

هذا إن لم يوجد تكامل وثيق بينهما (أي العاميات والفصحى) إذا التزمت كل واحدة منهما حدها وظلت لغة الكتابة هي الفصحى وحدها كما عرفت منذ تأسيس أول دولة إسلامية ذات اللسان العربي في هذه الربوع، وهي الدولة الرستمية (بعاصمتها تيهرت) (1)

(1) انظر كتابنا : كيف صارت الجزائر مسلمة عربية مصدر سبق ذكره .

5) أن قرابة 90% من أفراد المجتمع الجزائري في مختلف مناطق الوطن الأخرى لا يتكلمون أولا يتداولون إلا اللغة العربية (العامة على الأقل)، ولا يعرفون سواها كلفة حديث يومي (يقطع النظر عن معرفة بعضهم للغة الفرنسية بحكم الوجود الفرنسي الذي كان وسيظل السبب، في كل المصائب السابقة واللاحقة)

والسؤال المطروح هنا لفضح هذه المناورة الاستعمارية الجديدة هو : هل هؤلاء الناطقون باللغة العربية في الجزائر كلهم عرب (صفة العرق) قدموا من جنوب الجزيرة العربية مع طلائع الفتح الإسلامي الأول في القرن 7 الميلادي، أم هم في غالبيتهم العظمى من سكان البلد الأصليين وتعربوا جماعيا، وإراديا، على مر الأيام ليصبحوا على هذه الدرجة من الكثرة الغالبة في البلاد؟.

فيذا كان الجواب بنعم على الشطر الأخير من السؤال (وهو الأصح والمنطقي) فيطرح السؤال التالي وهو : كيف يمكن لأي عالم أو جهاز علمي (كائنا ما كان) أن يميز في هذه المناطق الناطق أهلها باللغة العربية وحدها، بعد امتزاج عضوي عن طريق التزاوج المباح بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، وامتزاج لغوي وثقافي وحضاري ظل متواصلا بين أفراد هذه الأمة الواحدة على امتداد أربعة عشر قرنا من التاريخ؟.

وإذا كان الجواب بالنفي ومؤداه هو : أن المتحدثين بالعربية هم العرب (المستعمرون) والمتحدثين باللهجات البربرية هو وحدهم السكان الأصليون، فالسؤال الذي يطرح نفسه حينئذ على أصحاب هذه الأطروحة هو : كيف يعقل، ويأتي منطق يبرهن، على أن الفرع أو الجزء يساوي الكل، ناهيك عن أنه - في هذه الحالة - يكبره بتسعة أمثاله وهو ما يتطلب أن يكون عدد الفاتحين العرب للجزائر أكثر من السكان الأصليين بتسعة أضعاف أو يزيد!!

علما بأن العديد من الفاتحين لشمال إفريقيا ومن أعقبهم، لم يكونوا أصلا من العرب، كحسان بن نعمان وعبد الرحمن بن رستم وغيرهما، شأنهم في ذلك شأن طارق بن زياد ورجاله من البربر (أو الأمازيغ) بالنسبة لفتح الأندلس فيما بعد.

ولعل أقوى دليل إحصائي على تهافت هذه الحجة هو أن عدد السكان الناطقين بالعربية وحدها في الجزائر (يقطع النظر عن العديد من العوامل والحجج الأخرى) هم ضعف عدد سكان الجزيرة العربية في الوقت الحاضر!

وإذا كان هذا شأن الجزائر وحدها فكيف يكون الجواب إذا تعلق الأمر بما يقارب المائتي مليون عربي (مسلم وغير مسلم) الموزعين على امتداد نصف الكرة الأرضية من المحيط إلى الخليج؟ فهل كلهم مستعمرون قذفت بهم جبال مكة (المكرمة) دفعة واحدة في زمن (قباسي) واحد، مثلما قذفت بلاد الغال بالجيوش الصليبية إلى هذه البقاع بعد ذلك بقرون؟!.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نسبة معتبرة من سكان تلك المناطق (المصنف أهلها في عداد البربر في الجزائر وبلاد المغرب عموما) هم يعتبرون أنفسهم عربا، ويطلقون على أنفسهم اسم المرابطين ويعتقدون (كما تثبت ذلك الوثائق ويؤكد الواقع المعيش في المنطقة) ⁽¹⁾ أن أجدادهم قد وفدوا على تلك المناطق الجبلية في فترات متلاحقة من التاريخ (إما بغرض نشر الإسلام واللغة العربية في الأول، أو هروبا من موجات الاحتلال المتعاقبة للإسبان والفرنسيين فيما بعد) فتأثروا نتيجة لذلك المقام الطويل والطيب - خلفا عن سلف - في تلك المناطق، باللهجة المتداولة فيها، شأنهم في ذلك شأن تأثر أي نازح مهاجر في العالم بلهجة أو لغة البلدة أو المنطقة التي يقيم فيها.

وعليه، فإن إجادة هؤلاء الوافدين للهجة البربرية المحلية، إلى جانب العربية بطبيعة الحال (كما سبقت الإشارة) لا يمكن أن ينهض دليلا علميا أو منطقيا، على أنهم - في الأصل - من سكان تلك المنطقة، بالضرورة منذ فجر الخليقة!!

خاصة : وإذا كانت فرنسا - كما يمكن أن تدعى - بريئة من اختراع هذه القنبلة الانشطارية للجزائر، فلماذا ظلت طوال مائة وثلاثين سنة من احتلالها لبلاد جاهلة ومتجاهلة للغة البربرية، ولا تدرسها ولا تعترف بها إلا سنة 1967 بتدشين الأكاديمية البربرية في باريس، أي بعد بضع سنين من خروجها من البلاد.

(1) أنظر جريدة الشعب 1981/4/29

على أيدي الأحفاد الشرعيين (لماسينيسا، وتاكفاريناس، وعقبة بن نافع، وحسان بن نعمان، وطارق بن زياد... الخ) ١٢.

وإذا كانت فرنسا بريثة من هذا الاختراع، فكيف يجاب على ذلك النص الرسمي ذي (الطابع السري) لوزير العدل الفرنسي آنذاك (آلان بيرفيت) والذي نشرته صحيفة (الليبيراسيون الفرنسية) بستتين من صدوره، وذلك في عددها يوم 1980/7/6 والذي يوصي فيه بتشجيع الحركة البربرية في الجزائر والمغرب العربي عموما لأسباب استراتيجية تخدم المصلحة العليا للوطن (فرنسا). (انظر الوثيقة الأصلية في الملاحق).

سادسا : إذا كانت هذه الأطروحة أو النظرية الفرنسية المستحدثة (في العرقية اللغوية والقومية) علمية وصحيحة في نظر هؤلاء المستوردين أو المتبنين لها من المتجنسين (بالجنسية الجزائرية) فلماذا لا يحاولون العمل على تطبيقها وترقب نجاحها، أولا في (الوطن الفرنسي) ذاته، المكون من أشتات من الأعراق والسلالات والألوان الفسيفسائية، التي لم تجمعهم ماضيا ولا تجمعهم حاضرا ولن تجمعهم مستقبلا، سوى مقومات الوحدة الفرنسية، التي تأتي في مقدمتها وحدة اللغة الفرنسية، رمز السيادة، وعنوان الجنسية وأساس الوطنية... (أنظر مقالا في جريدة (لوموند) بعنوان «اللغة هي الجنسية» للمفكر الفرنسي «جيلبير كونت» بتاريخ 1978/7/15)، وهذا بحكم النظرية الفرنسية ذاتها في القومية، الراضة أصلا للعامل العرقي، والمبنية أساسا على مبدأ إرادة التعايش ووحدة الثقافة واللغة كما هو معلوم (أنظر في هذا الموضوع بالذات تصريحاً لميشال دوسري عضو الأكاديمية الفرنسية ورئيس وزراء دوجول بجريدة لوموند بتاريخ 1989/1/23) أم أن رافض الشيء لنفسه أو فاقده - أصلا - يمكن أن يعطيه يوما لغيره ١٣.

سابعا : إذا كانت هذه النظرية (الجديدة) مطبقة في الديمقراطية الفرنسية اليوم، فلماذا تفرض دولتها اللغة الوطنية (الفرنسية) على مقاطعة (البروتان) و (كورسيكا) ومحارب كل نزعة انفصالية لبعض دعاة (صفاء العرق غير الفرنسي)

في هاتين المقاطعتين، مع رفضها بالتالي لأي اعتراف رسمي أو غير رسمي بأي طابع مميز لسكانها عن بقية الفرنسيين في كافة أنحاء الوطن الفرنسي الذي كان الى وقت قريب جدا (وهذا للتذكير فقط) يمتد من دانكيرك الى تامنغست!! في الوقت الذي تعترف اليوم بما يسمى باللغة البربرية (بحروفها الفرنسية) كلغة أجنبية ثانوية في المدارس الفرنسية؟.

ثامنا : إذا كانت فرنسا مقتنعة بجدوى هذه الأطروحة المصدرة إلينا من باب الموضوعية العلمية والنصيحة (الأخوية) فهل تقبل فرنسا أن تعتبر ما يقرب من أربعة ملايين (من الحاملين للجنسية الفرنسية عن جدارة واستحقاق) والمنحدرين - أصلا وفصلا - من بلاد الأطلسي بلهجاتهم (البربرية والعربية) المختلفة، وبشرتهم السمراء (الشمال إفريقية المعروفة) ... أن تعتبرهم بربرا أو عربا، أو تقسمهم الى أقليتين وتعترف لكل واحدة منهما (حسب العرق أو اللغة) بحقوقهم القومية داخل التراب الفرنسي، وخارج الأمة الفرنسية الواحدة ذات الرسالة الحضارية و الديمقراطية (الخالدة) والشعار المثلث الشهير بـ (الحرية، الإخاء، المساواة)، فهل هو إخاء في الأصل الغالي (نسبة الى الغاليين) الذي كان ينسب إليه أجداد هؤلاء (المتجنسين) على الورق، في البرامج المدرسية الفرنسية طوال 130 سنة من احتلال البلاد؟ وإذا افترضنا هذا السبب صحيحا... فلماذا يعتبر هؤلاء الفروع (غاليين) وبصر على الاعتراف - الآن فقط - بأن أجداد، بل آباء هؤلاء المتجنسين هم خليط من اعراق الأمازيغ (الأصلاء) والعرب (الدخلاء) بل فلماذا لا تتمسك فرنسا بالمقولة (الغالية) الأولى وتطالب بالحق (التاريخي) في إلحاق ما في الغيب بما في الجيب أو إلحاق الأصل (العاق) هنا في الجزائر بالفرع (البار) هناك، وتضرب بذلك عصفرين بحجر واحد، حيث تخلص أبناء العمومة (الغاليين) من الاستعمار العربي من جهة، وتحقق من جهة أخرى الوحدة الترابية للأمة الفرنسية الواحدة التي كانت - الى وقت قريب جدا - قطعة أرض واحدة تمتد من دانكيرك إلى تامنغست يعبرها (نهر) اسمه البحر الأبيض المتوسط؟.

وإذا لم يكن الجواب كذلك - وهو ما نعتقد - فكيف إذا يفرض الإخاء بين أشتات من الأعراق البشرية (والتي لم تعرف التجانس حتى الآن) تحت لواء إرادة التعايش والولاء لمحتويات لعلم ومقومات وحدة الوطن في فرنسا، ويرفض أو يشكك في الإخاء (الرياني الوجداني) تحت لواء التوحيد الإسلامي ولغة التنزيل القرآني، لأفراد أمة انصهروا بإرادتهم الواعية في بوتقة واحدة أفقدتهم مع مرور الزمن - نظريا وعمليا - أدنى الفواصل والمميزات العرقية - جسميا أو نفسيا - بعد تلاحم عضوي تم تلقيحه بنجاح منذ أربعة عشر قرنا من التاريخ المتواصل الحلقات والمختوم بملايين الشهادات؟!

تاسعا : وإذا كان الذين يتبنون هذه الأطروحة الانشطارية (ضد الوحدة الوطنية) من حاملي الجنسية الجزائرية (داخل الوطن أو خارجه) لهم ولاء للوطن وإخلاص لوحدة الوطن وذرة من الوطنية (حب الوطن والتضحية في سبيله). فكيف يصبحون دعاة، أو منفذين للمخطط الاستعماري الفرنسي الذي فشلت فرنسا ذاتها في تنفيذه بقوة السلاح طوال بقائها المادي في البلاد؟!

واندحر عملاؤها سنة 1949 على يد (أسد جرجرة) المجاهد البطل بلقاسم كريم، طيب الله ثراه، (راجع بحثا منشورا عنه في جريدة الشعب ليوم الاثنين 12/12/1988).

عاشرا : وأخيرا إذا كانت هذه الأطروحة المفضوحة غير معروفة الأصول والأبعاد الاستراتيجية الفرنسية لدى متبنيها فهم معذورون فيما فات، وإذا أصروا على الاستمرار في الإحلال (المباشر) محل الاستعمار (الفاخر) في عملية تدمير الذات الوطنية، فاللوم لا يعود حينئذ على مستعمري الأمس، أكثر مما يعود على خائني اليوم، من بقايا العملاء، أو أصحاب القابلية (للاستعمار) من بعض (الطلقاء) المقيمين الذين صوتوا - دون جدوى - بـ (لا) في الاستفتاء الحر على تقرير المصير يوم 3 جويلية 1962 وكانت نسبتهم آنذاك لا تتجاوز 2.5٪ على أكثر تقدير!

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها من هذا الموضوع هو أن المجتمع الجزائري بقطع النظر عن الأصل العرقي لبعض أفراد، أو وجود بعض اللهجات القليلة غير العربية فيه هو مجتمع عربي من حيث الانتماء (...) والعروية هي الانتماء اللغوي والثقافي والحضاري والتاريخي وليس الانتماء العرقي الذي يريد الاستعمار الفرنسي أن يفالط به الشعوب (كما هو واضح) وكل ما يقال عن الجزائر يقال عن سائر بلاد المغرب، وجل بلاد المشرق العربي في هذا الخصوص...

ومادنا في موضوع المناقشة لأطروحات أصحاب النزعة (الانفصالية) البربرية فيبدو لنا من الأنسب أن نورد في هذا السياق مجموعة من الأسئلة المطروحة من المؤلف على زعيم حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» في برنامج «في لقاء الصحافة» المقدم مباشرة في التلفزة الوطنية (الجزائرية)، يوم الثلاثاء 1990/02/22 م.

مع الملاحظ أن مناورات، ومضايقات المسؤولين على الحصة، لم تسمح سوى بطرح 05 أسئلة منها وهي على التوالي : 6، 4، 5، 7، 10. ومع ذلك فلم يجب زعيم الحزب على أي سؤال من الأسئلة المطروحة عليه، باستثناء محاولة الإجابة على السؤال السادس، ثم امتنع عن الإجابة عندما انتبه إلى حتمية وقوعه في التناقض...

نص الأسئلة :

(1) أن حزبكم يعتبر الثقافة من ثوابته... فهل الثقافة التي يدعو إليها هي الثقافة الوطنية العربية الإسلامية (لغة ودين) أم الثقافة الفرنسية أم الثقافة الأمازيغية؟ وهل يوجد فرق جوهري بين الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر والثقافة الأمازيغية في نظركم وما هو هذا الفرق؟ أعطني مثالا واحدا من الواقع!!

(2) أن فرنسا (أم اللاتكية) تقرر اللاتكية في الدستور، وتحارب اللاتكية في الواقع، مع المسلمين : (تمنع بنتين مسلمتين من غطاء الرأس، وتسمح للفرنسية بحمل الصليب على صدرها، وتسمح لليهودي بوضع غطاء الرأس).

وعندنا نحارب اللاتكية باللسان، ونطبقها في الميدان، والدليل على ذلك أنك موجود معنا هنا مع أنك لاتكفي، ولم يفرض عليك أحد أن تصلي أو تصوم أو أن ترتدي نساء حزبك الحجاب الإسلامي، فلماذا تطالب باللاتكية وهي موجودة؟ أم هي مسألة مبدأ، وانزعاج - فقط - من المادة الثانية من الدستور؟

(3) أن اللاتكية تعني فصل الدين عن الدولة، فهل رأيت في الجزائر إماما رئيسا للبلدية أو واليا أو وزيرا أو قاضيا؟ أعط، مثالا واحدا؟.

(4) أن فرنسا تطبق اللاتكية في الدين مع إخواننا وأبنائنا هناك، ولكنها لا تطبق معهم اللاتكية في اللغة، في قطاعات سيادتها، ونحن نطبق اللاتكية مع أبنائنا هنا في الدين وفي اللغة معا، فهل هذا لا يمس السيادة الوطنية في الصميم على اعتبار أن اللغة هي الجنسية واللغة هي الشخصية الوطنية، واللغة هي السيادة في نفس الوقت على رأي ديغول وميشال دوبري : «اللغة هي الجنسية وهي الشخصية»، فهل سيعمل حزبك على تكريس توحيد الاستعمال اللغوي الوطني، أم سيشجع هذا الوضع «الشاذ» الذي توجد عليه البلاد في الوقت الحاضر، والذي أكدتموه بقولكم - قبل حين - بأن الإنسان لا يستطيع أن يخاطب «جميع الجزائريين» بلغة واحدة!!

(5) إن كان حزبك يؤمن بالوحدة الوطنية للجزائر فهل الوحدة الوطنية في نظركم هي وحدة التراب أو وحدة الشعب؟ إذا كان الجواب بأنها وحدة التراب ووحدة الشعب معا فهل تعتقدون بوجود شعب موحد في الثقافة والشخصية بلغتين ودينين، وأذكرك بمشال : إيزلاندا وبلجيكا، وكندا، والسودان، ولبنان، وقبرص، وإسبانيا، والاتحاد السوفياتي حاليا...

(6) إنكم تقولون بأن الهوية الوطنية تتكون من ثلاثة عناصر هي : الأمازيغية والعربية والإسلام... والسؤال هو : يمكن للإنسان أن يكون مسلما فرنسيا (مثلا كنا قبل 1962 م) و (مثل الحركة في فرنسا اليوم)، ويمكن أن يكون الإنسان عربيا مسيحيا (مثل الاقباط في مصر...) فهل يمكن للإنسان أن يكون مسيحيا مسلما في نفس الوقت، أو يكون عربيا فرنسيا في نفس الوقت، أو أن يكون أمازيغيا فرنسيا في نفس الوقت...؟ وهل يمكن لإنسان أن

يكون عربيا أمازيغيا في نفس الوقت؟ كيف يتم ذلك دون تقسيم الوطن الى قوميتين، وبالتالي الى أمتين ودولتين أن أجلا أو عاجلا؟!

١٧ إنكم تقرون بوجود أغلبية مسلمة في الجزائر، وأغلبية تتحدث العربية، فهل هذا الواقع ناتج عن استعمار عربي، أم هو وضع تلقائي قبله أجدادنا وساهموا في نشره حتى الأندلس والقاهرة؟!

إذا كان الجواب بنعم يعني استعمار عربي، فحدد لي من هو المستعمر، ومن هو المستعمر هنا فيما بيننا في هذه القاعة وإذا كان الجواب هو أن العرب ليسوا مستعمرين، فلماذا لا نبقى شعبا واحدا دينه الإسلام ولغته (المكتوبة) هي لغة القرآن، ونطرد الفرنسية العدو؟ مثلما طردنا الفرنسيين الأعداء في مؤتمر الصومام على أيدي كل أبطال الوطن من المجاهدين الحقيقيين؟!

٨ أريد منكم إجابة صريحة عن عدو اللغة العربية (الوطنية) في الجزائر، هل هي الفرنسية أم الأمازيغية بلهجاتها المختلفة؟ ومن هو عدو الأمازيغية هل هي العربية أم الفرنسية؟.

٩ هل يستقيم مفهوم (الجزائر الجزائرية) أو (الجزائر الأمازيغية) أو (الجزائر الفرنسية) مع سيادة اللغة العربية بالقول والفعل في الجزائر؟

١٠ هل يمكن القضاء على اللغة العربية في الجزائر، دون القضاء الكلي على الإسلام الذي أوجدها، وحماها في البلاد على امتداد القرون، أي هل يمكن للجزائر أن تصبح أندلسا ثانية؟!

١١ إن اللغة الفرنسية ليست لغة محايدة في الجزائر لأنها تحمل للمواطن شحنا من الآلام والعذاب والجراح فهل فكر حزبكم في المطالبة بمبدل أحسن منها وهي اللغة الإنجليزية لغة العلوم، ولغة معهد باستور في باريس؟!

١٢ لو وصلون الى الحكم فهل تبقون على المادة الثانية والثالثة من الدستور الحالي؟.

١٣ إن الشعب الجزائري قد صوت بالإجماع سنة 1962 م بأن الجزائر ليست فرنسية، بل هي شعب واحد... عربي مسلم... (كما تنص على ذلك وثائق

اتفاقيات ايفيان) فهل تشكون في نتائج ذلك الاستفتاء النزيه؟ وهل تنوون إعادة الإستفتاء مرة أخرى لوتتاح لكم الفرصة؟

14) لو تتحرر الجزائر من الاستعمار اللغوي «الفرنسي»، فهل ذلك سيسهل في نظركم انتشار اللهجة الأمازيغية (القبائلية)، التي تطالبون بها، كلفة علوم وتكنولوجيا، وإدارة، كما تطمحون في برنامجكم؟

15) هل عندكم خطة لتعريب الإدارة، والعلوم والطب في الجامعة الجزائرية؟

16) تصرون دائما على الأصالة وتطالبون ببعث لغة لم تكتب منذ أكثر من 20 قرنا، وفي الوقت الذي تدافعون فيه عن الشخصية... تكتبون هذه اللغة بالحروف اللاتينية، علما بأن اليابان والصين وكوريا لم تتقدم في التكنولوجيا بتهديل حروفها الصعبة والكثيرة التي تعود الى آلاف السنين؟

فهل العبرة في الإنسان أم في اللغة أم في الحروف؟، مع العلم أن الحروف العربية هي أكثر الحروف انسجاما وتعبيرا عن النطق البربري (س، ص، ح، خ، ز، ض، ط، ث، ق). في (أسافر، أطا، أحانوت، أخام، أذقل، أضو، طارق، ثابورث، أقشيش، أسمىض). ولقد كتب بها الشاعر الشعبي الموحوم سي محند ومحمد (أمقران نشوعرا) كل أشعاره الرائعة، والتي كانت - بسبب وطنية محتواها، ومناهضتها للاحتلال الفرنسي - ممنوعة من التداول العلني من قبل هذا المحتل نفسه الذي أصبح حاميك والصديق لحزبك اليوم!!

17) إن لغة الغاليين (أجداد الفرنسيين) تختلف اختلافا كبيرا عن اللغة الفرنسية الحالية المنحدرة من خليط «لاتيني غالي» والمرسمة والموطنة في فرنسا منذ ما لا يزيد عن 4 قرون، فهل هذا التغير اللغوي، والتحول اللساني أساء الى الشخصية الفرنسية والجنسية الفرنسية والسيادة الفرنسية، المفروضة على كل الأعراق البشرية الموجودة في فرنسا، ومنهم أبناء المغرب العربي (من الحركة والحونة والمتجنسين) دون أن يطالبوا أو أن يسمح لهم بالمطالبة بإحياء أو إحلال اللغة البربرية أو الغالية (أو غيرها) باسم الأصالة بدل اللغة الفرنسية الوطنية والرسمية في الدستور والواقع هناك؟

18) تقاليدنا الثورية العريقة علمتنا أن الرجال يزولون والمبادئ تظل دوما هي المتحكمة في الباقيين السائرين على الدرب... والواقع عندنا يوحى بعكس ذلك بالنسبة لموضوع استكمال ممارسة السيادة الوطنية المتمثلة في التعريب الكامل للإدارة والفروع العلمية في الجامعات الوطنية... فهل توافق على هذا القول؟ وإلا فكيف تفسرون إلغاء اتفاق رسمي مبرم مع الحكومة السورية (الشقيقة) حول تعريب الفروع العلمية بالجامعات الجزائرية... وقد ألغى بمجرد - ولربما لهذا السبب - تغيير الحكومة الأخيرة يوم 1989/09/09 م! فهل لو كان اتفاقا مبرما مع فرنسا من أجل الفرنسية، هل كان سيلغى؟! وهل احتج حزبكم على هذا الإلغاء، أو طالب بتحقيق حول هذا الموضوع المصيري الخطير؟

19) في الماضي كان عندنا فرنسيون بالجنسية وعرب مسلمون بالشخصية، وكان الفصل هو بين العربي، والرومي (أو أعراب أرومي)، واليوم أصبح عندنا مسلمون عرب بالأوراق والجنسية، وفرنسيون بالشخصية، فما هو برنامج حزبكم للقضاء على هذا الوضع الخطير الذي قد يرجع الجزائر فرنسية بالفعل، وليس بالقول! ومنها أن أحد كبار المسؤولين عندنا (وهو رئيس الوزراء) صرح أخيرا في جريدة (لوموند) بأن اللغة الفرنسية هي اللغة الوطنية الثانية في الجزائر، والحقيقة - لو كان منصفًا - فهي اللغة الوطنية الأولى، في الإدارات وأجهزة الإعلام، ومعاهد باستور الجزائرية! فهل احتج حزبكم (الحريص على الشخصية والأصالة والهوية...) على هذا التصريح الخطير الذي يمس بجوهر الهوية الوطنية ومستقبلها؟! أم أن عدو البربرية الأول والأخير هي العربية - فقط - في نظركم، أما الفرنسية فهي أختها بحكم الرضاعة، وبحكم جغرافية البحر الأبيض المتوسط الذي ما يزال يعبر فرنسا في اعتقاد حزبكم!؟

وهذا خطاب مفتوح موجه إلى المؤلف بعد اللقاء التلفزيوني المذكور. وقد نشرته جريدة المساء في عددها الصادر يوم 1990/3/1 وهو بعنوان: «رسالة غير شخصية إلى السيد أحمد بن نعمان». وهذا نصه كاملا :

«... في تدخلك كواحد من أعضاء الجمهور في الحصة التلفزيونية المذكورة أردت أن تلقي جملة من أسئلة مقتضبة دقيقة تحتاج كإجابة عنها (نعم) أو (لا)

وكأنك تحاول أن تمثل دور سقراط في مناظراته المشهورة، بيد أن سقراط كان يحاول من خلال أسئلته البسيطة العميقة ان يتلمس محاوره الحقيقة بنفسه بينما أنت أردت من خلال أسئلتك ذات المنطق الساذج، والتي لم تنهها من حسن الحظ، أن توقع بإنسان له مسؤوليته المدنية والسياسية وله رصيده الثقافي والعلمي - أي تماما مثلك - ويمكنه غدا أو بعد غد أن يصبح رئيسا للجمهورية، أليس مزريا أن نخرج دوفا طائل فردا نشطا في مجتمعنا يمكن أن تسند اليه مستقبلا أثقل المسؤوليات؟

أعود الى نعتي لأسئلتك بذات المنطق الساذج والسبب هو أن الإجابة عنها تؤدي الى نتيجة هي عكس الأطروحة التي أردت الوصول إليها من خلالها فأحاول إذن أن أجاريك وأجيب عنها:

س - هل يمكن لإنسان ما أن يكون فرنسيا، مسلما؟

ج - نعم (هذا إذا اعتبرنا اعتباريا أن الفرنسية جنسية وليست قومية).

س - هل يمكن لإنسان عربي أن يكون فرنسيا؟

ج - لا.

س - هل يمكن لإنسان عربي أن يكون أمازيغيا؟

ج - لا.

وهنا تكمن الإشكالية فلو أمكن أن يكون الإنسان الأمازيغي عربيا « بمعنى القومية لهذه الكلمة » فلا يمكن أبدا أن تطرح قضية الهوية الأمازيغية في الجزائر وحزب التجمع إذ يتبنى الأمازيغية بجانب العربية والإسلام إنما يتبنى الواقع الجزائري كما هو ويعطياته جميعا.

وإذا طورنا القضية أكثر يمكن أن نقول أنه يمكن للأمازيغي أن يكون مسلما تماما كالفرنسي والإيراني والأفغاني... والخ. وانطلاقا من مبادئ الإسلام ذاتها ليس شرطا لأعجمي أن يتعرب كي يكون مسلما.

وفي تدخلك الثاني كان سؤالك بشقيه محرجا أيضا ولا يليق بمثقف أو إنسان ذي منزلة مثلك، فقد سألت إذا كان الجزائريون مستعمرين فكيف نعرف

الأمازيغي من غير الأمازيغي في هذه القاعة؟ وإذا كانوا غير مستعمرين فلماذا نعود الى ما قبل 14 قرنا؟ إنني لا أجيبك، لأنه سؤال غير ذي محتوى، ولكن أعاتبك فقط، هل نحن بحاجة الى علم غزير كي نعرف أن في وقت ما من التاريخ (القرن السابع الميلادي) جاء الى هذه الأرض أناس غرباء عنها وليسوا منها؟ هؤلاء جاؤوا للفتح، وليس للاستعمار، ثم في وقت لاحق (القرن العاشر الميلادي) جاء أناس آخرون من نفس أصول الأولين، ولكن ليس أناسا على درجاتهم من التحضر والوعي والسمو البشري فعاث هؤلاء اللاهقون في الأرض فسادا قبل أن يذوبوا نهائيا في المجتمع العتيق الأصيل، الذي جاؤوه غزاة ولا أظن مثقفا مثلك يجهل أنه منذ مجيء المسلمين الفاتحين تعاقبت على هذه الأرض دول أمازيغية مسلمة لم تستعمل فقط اللغة العربية استعمالا واعيا وطوعيا وإنما أيضا لم تحاول أبدا عن قصد مبيت أن تقضي على قيام الثقافة الأمازيغية التي تغطي كامل شمال إفريقيا.

ولذلك فبإنني عندما كنت أشاهد حصة «لقاء مع الصحافة» لم أر في الاستوديو أمازيغيا وعربا، وإنما رأيت جزائريين، بعضهم لا يتكلم الأمازيغية، لأن أربعة عشر قرنا من تبني الإسلام والعربية أنستهم لسانهم الأصلي وهذا معقول منطقيا وليس عيبا على الإطلاق، بينما بعضهم يتكلمها دون صعوبة الى جانب العربية والفرنسية، وهذا أيضا ليس جريمة البتة.

وإذا أنستك نخوة الانحياز الإيديولوجي والتحيزي مقتضيات الموضوعية، فلا أعتقد أنه بالإمكان أن تنسيك أبسط قواعد احترام المشاهد الذي لا يرى رأيك وحديثك عن «الاستعمار» بعدما أمضينا ربع قرن في الحديث عن الاستقلال والسيادة بعد شتما لا مبرر له، وسواء أوضعت نفسك في خانة المستعمر أو في خانة المستعمر فإنك في كلتا الحالتين تعبر عن عقدة نفسية -اجتماعية مازال للأسف كثير من أبناء هذا الوطن يعانون منها، وأؤكد لك ياسيد بن نعمان أننا لسنا مستعمرين، وأنه بإمكاننا أن نعود الى ما قبل 14 قرنا مع الاحتفاظ بمكاسب هذه الأربعة عشر قرنا.

وفي الشق الأخير من رسالتي «غير الشخصية» إليك أود أن أطرح عليك

سؤالا معاتبا بصفتك رئيسا لجمعية «الدفاع عن اللغة العربية» كيف تسمح لنفسك أن تستنكر على جزائريين - ولست أنت أحسن منهم، ولا أكثرهم وطنية- قضية الدفاع عن اللغة الأمازيغية وثقافتها وتسمح في نفس الوقت لنفسك -ومن معك - أن تكونوا جمعية الدفاع عن اللغة العربية، مع العلم أن اللغة العربية استحوذت على كل الاهتمام الجزائري، ودعمه معنويا وماديا وسخر لذلك إمكانات هائلة بينما بالمقابل قمعت اللغة الأمازيغية كل القمع وتجهولت كل التجاهل، فأيهما أحق بالدفاع؟ إن الدفاع عن اللغة العربية لا يتم عن طريق الكلام الديماغوجي والسفسطائي، ولا أعتقد أنك تجهل أن السفسطائيين أيضا استعملوا أسلوب المحاوره كما فعل سقراط، وإنما الفرق في غاية كل من الطرفين، وأقول لك أن المدافعين الحقيقيين هم في مصر عن طريق طهاتهم وعقائدهم وحكمائهم ومحفوظيهم وإدريسهم وهم أيضا في لبنان (لبنان الحرية والديمقراطية سابقا) عن طريق دور نشرهم بينما في الجزائر بقي الدفاع عنها لا يتجاوز مستوى الاستهلاك السياسي. وليكن في علمك من الآن فصاعدا أي الى جانب الأمازيغيين الذين يحسنون الفرنسية، بل يبدعون فيها هناك أمازيغيون يحسنون العربية أيضا ويمكنهم أن يبدعوا فيها متى توفرت شروط الإبداع.

وإذا أصرت على أن ترى بأن فترة تاريخية من الزمن - مهما طالت - يمكن أن تنسي شعبا هويته فبنك في نهاية المطاف تنسف جهود الجمعية التي أنت رئيسها أما التاريخ لا يقاس عندما نقرأه بعدد السنين ولكن يقاس بكثافة حضور الأحداث ودقتها وتسارعها فقد حققت الفرنسية مع الجزائر في مدة قرن ما حققته العربية في مدة أربعة عشر قرنا ومع ذلك فلا يحق لأحد أن يشبّطك عن مساعيك بأن يقول لا طائل من العودة الى ما قبل الاستعمار الفرنسي...

إمضاء : أمعز محمد أورمضان

جواب المؤلف عن الرسالة المذكورة أعلاه وقد نشر في نفس الركن من الجريدة المذكورة يوم 1990/3/11، وذلك في إطار «نعم» حرية التعبير التي تعبثها الجزائر، والتي كان من نتائجها صدور هذا الكتاب نفسه... ونظرا لأن

هذا الجواب يتضمن مناقشات ومواقف وتوضيحات لبعض أطروحات أصحاب النزعة البربرية كما تتجلى من مضمون الرسالة «غير الشخصية» الموجهة الى المؤلف... فإننا نورد نص الجواب عن الرسالة كاملا كما نشر، مقابل إيرادنا لنص الرسالة «الاعتراضية» كما نشرت وهذا نص الجواب بعنوان: «الى صاحب الرسالة غير الشخصية» :

... لقد تلقيت رسالتك بكل سرور شاكرا لك اهتمامك الخاص بأسئلتي في لقاء الصحافة الوطنية يوم الثلاثاء 1990/2/22 مع السيد رئيس حزب (ت.م. ث. د) وشاكرا جريدتنا الوطنية «المساء» التي نشرتها في عددها الصادر يوم 1990/3/1، وإني إذ أسعد بالإجابة على جميع أسئلتك الموجهة الي، والتي لو أجاب عنها رئيسك (المسؤول) في الحصة، لأقنعني وأقنع ملايين المواطنين مثلي، ولربحهم في الانتخابات الرئاسية المقبلة، إن شاء الله، كما أشرت في رسالتك... وأود قبل الإجابة عن أسئلتك في الرسالة أن أصحح لك بعض المفاهيم التي بنيت كل استفساراتك وأحكامك عليها. واقفا عند «ويل للمصلين» وملاحظاتي التصحيحية هي كالتالي :

اولا : أنا لست رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، كما ذكرت في رسالتك، وأعترف لك أنني من ملايين الجزائريين المدافعين عن أهم بنود الدستور في غياب حماة الدستور، والسلطة اليوم للشعب كما هو معلوم من الدستور بالضرورة.

ثانيا : لقد قلت بأنني حضرت مع الجمهور المستجوب للسيد رئيس الحزب... وهذا شيء أعترف به، وشرفني أن أكون في صف الشعب أعبر عن صوته دون أي تحيز لأية جهة مقابلة لإرادة الشعب الجزائري

ثالثا : لقد حضرت الى اللقاء المذكور بطلب من المسؤولين على الحصة في التلفزة الوطنية، ولم أرفض «رغم المضايقات الملاحظة من الجميع» حتى لا أتهم بأنني تكبرت لا سمح الله، أو تخليت عن نداء الواجب الوطني الذي لم أتخل عنه - فيما أظن - حتى الان (...)

رابعا : لقد تلقيت بعض النصائح من بعض الاخوة على أن أرفض الحضور لاعتبارات كثيرة من بينها أنني من منطقة القبائل الكبرى (سابقا) ومع ذلك حضرت كمواطن جزائري بقطع النظر عن منطقتي الوطنية التي أعتز بالإنتماء إليها والجهاد فيها والدفاع عن تراثها الزاخر، مثلما تعتر أنت تماما، ولا يفرقنا إلا التحزب إلى الوطن وثوابت الوطن ومقدساته، بدل التحزب إلى أشخاص أو أفكار (إيديولوجيات) أو زعمات أو جهة من الوطن بعينها!

خامسا : لقد رجمت بالغيب واتهمتني أنني متحزب، وهنا أتحداك أن تجدني منخرطا في أي حزب سياسي من الأحزاب الراهنة، غير حزب الوفاء لعهد الشهداء الذين حملونا الأمانة الوطنية، والباب مفتوح أمام كل جزائري وطني أن يتحمل هذه الأمانة كما سلمت لنا (كاملة غير منقوصة). وإذا كانت المواطنة بالجنسية التي تمنح وتمنع، فالوطنية لا تكون إلا بالتضحية! وكن أستاذا مثل أبطال الصومام بالأمس أكن لك تلميذا مستوعبا، مثلما كنت لهؤلاء تلميذا مستوعبا بالأمس، وما أزال حافظا للعهد، لأن هذا من أهم شيم الأحرار بهذا الوطن المفدى!

سادسا : لقد عاتبته على أنني أخرجت شخصا محترما قد يصبح رئيسا للجمهورية في المستقبل القريب، وأعتقد أنه كان من المفروض أن تهنتني وتشكرني على ذلك لو كانت تهكم سمعة الوطن، لأن الحوار بين الاخوة في التلفزة الوطنية أفضل من إحراج شرف الوطن في المحافل الدولية مستقبلا!

سابعا : لقد دافعت عن رئيس حزبك وهذا من حقك، وتشكر عليه، ولقد كنت أود أن يجيبني - هو شخصيا - مثل جميع المواطنين، بصفته شخصية علمية محترمة مثلي (كما قلت في رسالتك) ولا أظنه سوف يأخذك معه إلى اجتماعات القمة العربية المغلقة لتدافع عنه هناك، وإذا كان هذا غير ممكن، فلماذا لا تصبح أنت رئيس الحزب وتقنع الجميع بالمنطق الذي ناقشتني به في رسالتك اللطيفة هذه؟

ثامنا : لو تتبعتم أسئلتني بموضوعية أثناء مشاهدتك للعبة لوجدتني متأدبا مع رئيسك إلى أقصى درجة، وذلك بشهادة الجميع، ولو كنت أنت مكانه لأجبتني مثلما حاولت أن تهيبني عن بعض أسئلتني في رسالتك المفتوحة هذه الي، والتي وضعت لي فيها أمورا أزالست لي وللمواطنين بعض علامات الاستفهام التي لم أجدها جوابا عند رئيس حزبك، ولو كنت أنا مكانه لأجبتته دون استهزاء، وما أتمناه وأرجوه أن يكون هو مقتنعا بإجابتك لي مثلما اقتنعت أنا ببعض تلك الإجابة!

تاسعا : قلت بأنه من حسن الحظ أنني لم أقم أسئلتني كلها وأنا الذي أتيت لأسأل في منبر للديمقراطية، عن الثقافة، رئيس حزب شعاره «الثقافة والديمقراطية» فمن حسن حظ من؟ السائل أم المسؤول؟؟

عاشوا : لقد قلت بأن «أسئلتني كانت ساذجة» فلماذا تهتم بالرد على أسئلة ساذجة؟ فهل تشك في قدرة ووعي الشعب الجزائري في التمييز بين الأسئلة الساذجة والأجوبة الساذجة، حتى تأتي أنت لتوضح لهم الساذجة بما أتاك الله من علم وحكمة؟!

والهك الإجابات عن الأسئلة المحددة الموجهة إلي في الرسالة

وهنا لا أقف موقف الرفض من أسئلتك «المعرجة» مثلما وقف رئيسك موقف الرفض من أسئلتني (الساذجة) على حد تعبيرك، على الرغم من أنني لست أدعي الزعامة، ولا حتى الرئاسة، إلا على نفسي وكلامي - بكل تواضع - إيمانا مني، بأن الكلمة مسؤولية لمن يقدرها حق قدرها...

أولا : لقد قلت في سؤالك الأول هل يمكن لإنسان عربي أن يكون أمازيغيا؟ وأجبت بالنفي، وأنا أقول لك : ممكن لإنسان عربي أن يصبح أمازيغيا، ويمكن لإنسان أمازيغي أن يصبح عربيا، مثل الفرعوني الذي أصبح عربيا، وكذلك الفينيقي والآشوري، لكن الشيء الذي يستحيل وقوعه هو أن يكون الإنسان أمازيغيا وعربيا في نفس الوقت، أو عربيا وفرنسيا في نفس الوقت...

لأن ازدواج الشخصية الفردية أو الوطنية، مرض لا يعرف خطورته على الأمة إلا الأطباء في الأمراض النفسية *، أما كيف يمكن لإنسان أمازيغي أن يصبح عربيا فهو واقع في الجزائر منذ 14 قرنا كما قلت في رسالتك وأوافقك تماما أن الفتح الإسلامي لم يكن احتلالا وهذا ما قصده بسؤالي في الحصة (...) وكنت أود أن أجده له جوابا في الحصة ذاتها..

أما كيف يمكن لإنسان عربي أن يصبح أمازيغيا فأقول نعم لو أنزل القرآن الكريم بالأمازيغية «الأم» ولو تم ذلك لأصبحت اليوم كل الجزيرة العربية وكل البلاد الإسلامية الناطقة بالعربية أمازيغية، ولوجدتني أدافع عن الأمازيغية في كل البلاد الإسلامية، كما أدافع اليوم عن لغة القرآن تماما، ولعلمك فإن العربية هي لغة العرب قبل نزول القرآن - فقط - أما بعد نزوله بلسان عربي مبين، فهي لم تعد لغة أبي لهب وأبي جهل، وإنما هي لغة سلمان الفارسي، وصهيب الرومي وبلال الحبشي، وطارق الأمازيغي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده الفرعوني، وابن باديس الصنهاجي. وإذا أردت أن تقضي على العربية في أي بلد مسلم فاقض على الإسلام أولا، كما قال أحد (كتابكم) الراحلين **.

ثانيا : لقد قلت في سؤالك الثاني... ((وإذا طورنا القضية أكثر، يمكن أن نقول بأنه يمكن للأمازيغي أن يكون مسلما تماما مثل المسلم الفرنسي والأفغاني والإيراني... الخ. وانطلاقا من مبادئ الإسلام ذاتها ليس شرطا لأعجمي أن يتعرب كي يكون مسلما)) وأنا أوافقك تماما على هذا الطرح، وأسألك بدوري، هل لو خرجت فرنسا من الجزائر (وأقصد اللغة الفرنسية المحتلة) سيكون سؤالك عن الأمازيغية مطروحا اليوم؟! فإذا كان الجواب بالنفي، فيكون واجب جميع الجزائريين الوطنيين اليوم أن يتحدوا لطرد الاستعمار الأكبر للشخصية، مثلما آتحدوا جميعا بالأمس القريب لطرد الاستعمار الأصغر (استعمار الجنسية) وإن كان الجواب بالإثبات، فلماذا لم تطرح هذه الأسئلة منذ

★ إشارة إلى رئيس الحزب (ت.ث.د) لكونه طبيبيا في الأمراض النفسية |
★★ المقصورة هنا هو : كاتب ياسين.

14 قرنا الماضية، مع أننا كأمازيغ، كنا أحرارا في تأسيس دولنا المستقلة بدءا من الدولة الرسنمية الى دولة الأمير عبد القادر الجزائري، فكنا شعبا واحدا دينه الإسلام ولغته المكتوبة هي لغة القرآن، الى أن جاء الاحتلال الصليبي الفرنسي الذي حارب لغة الأمة، كما هو معلوم، ولم يعاملها كغنيمة حرب (وهو المنتصر) كما لم يعامل الإسبان اللغة العربية (كغنيمة حرب) بعد سقوط غرناطة الشهيرة. أم نحن اليوم أذكى من هؤلاء وأكثر وطنية منهم؟؟؟

والسؤال الثاني هو هل حرام على الأعجمي أن يتعرب مثلما تعرب أجدادنا الأمازيغ، وعلموا العربية للعرب أنفسهم، مثل ابن معطي الزواوي، وابن آجروم، على غرار سيبويه، والخليل بن أحمد، وهل منعتك أعجميتك من أن تتقن اللغة العربية التي سألتني بها أسئلة فصيحة أشكرك عليها، وأرجو أن تكون قدوة لفيرك فيها، وهل القدرة التي مكنت بعض الجزائريين (بالجنسية) من إتقان لغة المحتل الفرنسي خانتهم في تعلم اللغة العربية، بعد ربع قرن من الاستقلال، مثلما لم تخنك أنت، ولم تخن من قبلك طارق بن زياد والفضيل الورتلاني... وعلماء زواوة الجهابذة الذين تتلمذ على أيديهم ابن خلدون في جامعات أجدادنا الحماديين ببجاية الحضارة والأصالة الإسلامية ذات اللسان العربي المبين؟ وإذا كان أجدادنا الأمازيغ كما هو معلوم هم الذين تبنا لغة القرآن طائعين، كبديل للغة اللاتينية، التي رفضوها بصفتها لغة المحتل الروماني.. فهل اليوم يكون عتابنا على العرب الفاتحين الذين لم يحتلونا (كما قلت أنت في رسالتك) أم نعاقب أجدادنا الأحرار ونحاكمهم في قبورهم على تبنينهم لغة القرآن لسانا قوميا وحيدا في البلاد على امتداد القرون الأربعة عشر الماضية؟!

أوافقك على أن إيران وأفغانستان والسينغال ومالي والنيجر دول مسلمة دون أن تكون ناطقة بالعربية في غالبيتها، وإسبانيا كانت ولمدة ثمانية قرون دولة (مسلمة عربية)، فهل تريد أن تصبح جزائر المليون والنصف المليون شهيد (أندلسا) ثانية، في القرن العشرين؟ وهل يوجد ما يمنع الإيراني والتركي والأفغاني من أن يتبنوا لغة القرآن لسانا وطنيا ورسميا له دون عصبية (قومية)

جاهلية؟ (راجع مقالا لي في جريدة الشعب بتاريخ 1989/06/30 عن جهاد جمال الدين الأفغاني في هذا الخصوص مع العثمانيين و قد قتله اليهود بالسسم من أجل هذا سنة 1886 .)

أوافقك تماما بأن الجزائر كانت أمازيغية كلها، وتعربت كلها نتيجة إسلامها الجماعي غير المفروض (...). فهل يمكنك اليوم أن (تبرّر) كل هؤلاء الجزائريين الناطقين بالعربية، كي تحافظ على وحدة الشعب الجزائري (مثلما كانت موحدة قبل الاحتلال الفرنسي وأثناءه)، والتي لا يمكن أن تتحقق دون سيادة لغة وطنية ورسمية واحدة، في كافة ربوع الوطن، يقطع النظر عن تعايش اللهجات البربرية (أو الأمازيغية) الكثيرة كجزء من التراث الوطني الذي ندافع ونحافظ عليه، بصفتنا شعب مسلما ناطقا بالعربية، لم يبدأ تاريخه من القرن السابع الميلادي، ومثلما تدافع مصر عن تاريخها الفرعوني، والعراق عن تاريخها الأشوري، وسوريا عن تاريخها الفينيقى والسرياني... وهكذا، ولكن ماذا نرسم اللهجات (العربية وغير العربية) (على حساب اللغة الوطنية، ولحساب لغة الجلادين الفرنسيين القدماء والجدد) في هذا الإحياء؟ فهل العقاد (كما قلت في رسالتك) وطه حسين وشوقي، وحافظ إبراهيم، وأحمد أمين : دافعوا عن إحياء (وتوطين) وترسيم القبطية الميتة، أو (غنيمة الحرب) الأنجليزية، أم عن لغة القرآن في كل ربوع الإسلام؟ إذا وافقتني بأن أكبر عدو للغة الوطنية في الجزائر اليوم هو سيادة اللغة الفرنسية (رغم أنف الشعب)، ووافقتني بأن أكبر عدو لإحياء التراث الأمازيغي الجماعي للأمة هو الثقافة الفرنسية (اليهودية المسيحية)، فأوافق على كل ماقلت في دفاعك المشروع عن حزب التجمع، وأضم صوتي وبدي الى صوتك وبذك لإحياء هذا التراث بعد طرد العدو المشترك، والمتمثل في اللغة الفرنسية (هزيمة الحرب) وليس (غنيمة الحرب كما تدعون!).

ثالثا: لقد وجهت لي سؤالك الأخير قائلا: «كيف تسمح لنفسك أن تستنكر على الجزائريين قضية الدفاع عن اللغة الأمازيغية وثقافتها وتسمح في نفس الوقت لنفسك - ومن معك - لتكونوا جمعية للدفاع عن اللغة العربية...»

أنا لم ولن أمتنع أحدا من الدفاع عن أية لغة أو لهجة أقرها الشعب الجزائري في مواد دستوره، بل أدافع فقط عن اللغة الوطنية والرسمية، ضد اللغة الفرنسية المستعمرة مثلما يدافع الفرنسيون (الأحرار) عن اللغة الفرنسية ضد اللغة الألمانية والإنجليزية والعربية، وتأكد أنه لو كانت للجزائر لغة وطنية ورسمية غير اللغة العربية لدافعت عنها (من باب الوطنية) ودافعت عن العربية من باب العقيدة الدينية، ولكن طالما حباننا الله بأن جعل لغتنا الوطنية والرسمية هي نفسها لغة عقيدتنا الخالدة، فإني سعيد بأن أضعف دفاعي مرتين (...) وهمي الوحيد في ذلك كله هو وحدة شعبي، ووحدة أمتي، ووحدة عقيدتي، ولا وحدة وطنية بدون وحدة لغوية، ولا شخصية وطنية بدون سيادة اللغة الوطنية، ولا إسلام بدون عربية، فغير اللغة الوطنية والرسمية لأغلبية الجزائريين بكيفية ديمقراطية، ساكن أول الخاضعين لإرادة الأغلبية، مثلما خضعت فرنسا لإرادة الأغلبية عندما قالت «لا للجزائر الفرنسية» في الاستفتاء على تقرير المصير سنة 1962، علما بأن هناك من المواطنين من صوت ضد هذا الاستقلال، ومنهم من ذهب مع عساكر المحتل، ومنهم من بقي خاضعا للجنسية الجديدة، والذي نعمل له اليوم هو أن تتطابق شخصيتنا (غير الفرنسية)، أي العربية المسلمة مع جنسيتنا (غير الفرنسية)، ولا يتحقق ذلك إلا بالاستقلال عن اللغة الفرنسية، لأن اللغة هي الشخصية، واللغة هي الجنسية، كما قال الفرنسيون أنفسهم. وحتى لا أطيل في مقام لا يتطلب الإطالة؛ أسألك سؤالا واحدا هو كالتالي: إذا كان بإمكان الإنسان الحر أن يتحكم في المستقبل الذي لا يعرف المستحيل، أمام إرادة الشعوب التي هي من إرادة الله... فهل يمكن لأي مخلوق على وجه الأرض أن يتحكم في الماضي فيجعله غير موجود، أو غير ما كان عليه في حقيقته، وإذا كان هنا مستحيلا - كما أظنك تجيبني - فهل تعتقد بوجود شعب في العالم قرر مصيره مرتين في التاريخ؟ فأجيبك بنعم: هو الشعب الجزائري (الحر) الذي قرر مصيره في القرن السابع الميلادي، ضد الاستعمار اللاتيني الصليبي القديم، وقرر مصيره في القرن العشرين مرة أخرى، ضد إرادة الاستعمار

اللاتيني الصليبي الجديد. فهل تطالب الشعب الجزائري (كل الشعب الجزائري) أن يقرر مصيره للمرة الثالثة؟ أم تعتقد بوجود عدة شعوب في الجزائر على رأي ديغول صاحب شعار «الجزائر الجزائرية»؟

انتهى نص الرد

هذا ولعله من الأجدر في ختام هذا الفصل، وقبل الشروع في تحديد المواقف وتشخيص العلاج الطبيعي (في الفصل اللاحق) لهذه المسألة - القضية (المفتعلة) أن أترك أحد أحرار الجزائر الذين يحرصون على حرية الوطن، ووحدة شعبه وازدهاره، في مناخه الطبيعي، الذي لم يخلق لغيره... وهو الأستاذ دحمان آيت يذير، في مقال منشور بجريدة الشعب بتاريخ 20 / 11 / 1989، تحت عنوان : «بربر يوبا الثاني وبربر طاكفاريناس». جاء فيه ما نصه :

« قبل أن يستولي الوندال ثم البيزنطيون على شمال إفريقيا، كان الرومان قد نصبوا بها أنفسهم سادة دون كبير عناء، وعلى الرغم من أن مدة إقامة هؤلاء الغزاة بهذه الديار تزيد على خمسة قرون، فإن الثورات التي سجلها التاريخ ضدهم تعد قليلة جدا، وزعماء البربر الذين فرضوا أسماءهم على تاريخ تلك الحقبة قليلون جدا أيضا.. ويجوز تقسيم هؤلاء الى فئتين اثنتين، فئة يمثلها يوبا الثاني الذي بهرته حضارة روما الى حد رضي بوصايتها على دويلته والى مدى أصبح فيه يقلد الرومان في كل شيء، فتنازل وذووه عن الشخصية البربرية المتميزة.

أما الفئة الثانية فهي فئة تاكفاريناس التي ثارت في إباء وشهامة في وجه الجور الروماني البغيض، وتشبثت بما لديها من قيم وتقاليد.

وعندما حرر العرب البربر، فيما بعد، من الاستبداد البيزنطي أسرعوا الى اعتناق الدين الذي ارتضاه الله للناس أجمعين، واختفى من أرض شمال إفريقيا بربر يوبا الثاني، وبقي بربر تاكفاريناس، وقد ازدادوا شرفا باعتناقهم الإسلام، فرفعوا هامهم بين الشعوب، وجعلهم جزءا من أمة واحدة تجمعها كلمة التوحيد، يلودون عنها، وببذلون من أجلها الغالي والنفيس فظهر فيهم طارق بن زياد ويوسف بن تاشفين وزيري بن مناد، وغيرهم كثير...

وبعدما أصبحت شمال إفريقيا جزءا من دار الإسلام لم يشك أحد من البربر في انتماؤه الحضاري الإسلامي، وبقي الأمر كذلك حتى أشهر الاستعمار الفرنسي في هذه الديار سلاح (فرق تسد) وأيقظ في القلوب النزعة الشعوبية، وقد دعمت الأنظمة الحاكمة، بعد الاستقلال، هذه النزعة بوقوفها غير المشرف، من الشائني الذي لا يمكن أن تعرف هذه المنطقة الاستقرار من غير استتبابهما فيها وهما الدين الإسلامي واللغة العربية.

ونحن واعون الآن بأن العاقلين من البربر لا يمكن أن يصغوا الى دعوة الردة التي رفع رايتها مشبهون يمثلون في حقيقة الأمر، رأس جسر للصليبية الجديدة، كما أننا واثقون بأن القيم الإسلامية التي تشبع بها الأحرار الخالص منهم ستبقى لديهم نامية مترعرة الى أن يرث الله الأرض ومن فيها.

فلا ينبغي لأحد الآن أن ينساق وراء كل دعوة تفضي الى ظهور بربر يوها الثاني من جديد...».

الفصل الثامن

خلاصة عامة تتضمن رأي المؤلف الذي يعكس الموقف الوطني من الاحتلال الفرنسي ودعاة النزعة البربرية حاضرا ومستقبلا

لإدراكنا من الأمة للأبعاد الخطيرة لدعاة النزعة البربرية (كأداة طيعة في يد الاستعمار الجديد) المدمرة للشخصية الوطنية والوحدة الوطنية للشعب الجزائري العربي المسلم، ودفاعا عن شروط استقلال الشخصية الوطنية الكفيل بدوام استقلال الجنسية الوطنية، والمحافظة عليها على امتداد العصور وتقلب الأحوال القابلة لكل احتمال... (راجع مقدمة هذا الكتاب).

وتمسكا بالأساس الجوهري لوحدة الأمة (دينها ولسانها)، وإيمانا بالعلاقة الربانية الرابطة بين الإسلام واللغة العربية بكيفية لا تقبل أي تعارض أو أي انفصام. واقتناعا بأن أية محاولة لضرب دين الأمة هو ضرب للسانها، وكل ضرب للسانها هو ضرب مباشر لدينها، لكون لسانها هو عينه لسان دينها، وهذه نعمة من الله على الأمة، يجب المحافظة عليها لقوله تعالى: «وَأَنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنَا لَهُ الْحَافِظُونَ»⁽¹⁾.

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

ونظرا لاستحالة الفصل بين سيادة اللسان وسياسة الإنسان لتجسيد التطابق في الواقع بين استقلال الجنسية واستقلال الشخصية الكاملة للأمة... يتعين اقرار المواقف التالية :

أولا : الرفض المطلق لكل محاولة تستهدف ترسيم أية لهجة وطنية لاعتمادها لغة رسمية جهويا أو وطنيا ، لأن سيادة العُلم الواحد فوق الادارة الوطنية لا تقابلها الا سيادة اللسان الرسمي الواحد داخل الادارة الوطنية.

ثانيا : الاقرار بأن سيادة اللغة الواحدة على الصعيد الرسمي والوطني لا يتعارض مطلقا مع تعايش اللهجات المختلفة التي تعتبر عامل اثرء للتراث الشعبي الوطني، الذي يختلف في خصوصياته الفرعية من ناحية الى أخرى، باختلاف الموقع الجغرافي و المناخ... دون أن يشكل ذلك الاختلاف الفرعي (في جوانب الفلكلور والثقافة المادية) أي خطر على الوحدة الوطنية، أو على الشخصية بأي حال من الأحوال، اذا التزمت الفروع الثقافية حدودها ولم تحاول أن تنقلب الى أصول مفجرة لكل تجانس ممكن، بين أطراف الأمة الواحدة ومؤسساتها الرسمية الجامعة.

ثالثا : عدم الخلط بين مشروعية استعمال اللهجات الوطنية المختلفة، والمتعددة (سواء كانت ذات الأصل العربي أو الأصل البربري) في الحياة اليومية للمواطنين.. والاستعمال الرسمي للغة الوطنية الوحيدة داخل التراب الوطني في اطار ممارسة السيادة للدولة المستقلة.

رابعا : التمييز بين امكانية ومشروعية دراسة اللهجات الوطنية (باللغة الوطنية) في اطار التخصص الجامعي في الأدب الشعبي، والتراث الشفاهي للأمة... وبين المطالبة والإصرار على احلال بعض أو كل اللهجات الوطنية محل اللغة الوطنية الفصحى، لتدريسها والتدريس بها، في المدارس والجامعات واستعمالها في المجال الرسمي كجزء من ممارسة السيادة (...). فبقدرما يكون الاحتمال الأول جائزا ومقيدا ومشروعا يكون الاحتمال الثاني مدمرا وقاتلا لروح الأمة الواحدة مع سبق الإصرار والترصد!!

مع العلم أن أية لهجة في العالم مهما تكن ضعيفة يمكن أن تصبح لغة مكتوبة، إذا اصطنعت لها حروف... ووقفت وراءها نعرات سياسية... كما أن أي لغة حية وقوية يمكن أن تضعف أو تزول من خريطة الحياة إذا لم تجد طريقها إلى الاستعمال في الحياة الرسمية أو اليومية للناطقين بها! فاللغة في هذه الحالة بمثابة الظل للإنسان الناطق بها، ولا يحقل أن يستقيم الظل والعمود أعرج على الإطلاق!!

خامسا : الرفض القاطع لأية محاولة داخل الأمة الواحدة لتحويل أية لغة مشافهة أو أية لهجة جهوية إلى لغة مكتوبة ذات قواعد موضوعية بأية حروف كانت (عربية أو لاتينية) لأن الحروف كما وضعت يمكن أن تستبدل بحروف أخرى، بحجرة قلم، وذلك لأن اللغة (كما أسلفنا) هي منتج بشري خاضع لإرادة الإنسان المتقلب بنواياه البناءة أو الهدامة على حد سواء (...).

سادسا : عدم فصل اللغة المكتوبة، في أية أمة، عن الشخصية الوطنية والوحدة الوطنية أو عن السياسة والسيادة... والخطر الذي يجب التنبيه إليه بالنسبة للذين لا يروون حرجا في مباركة ترسيم بعض اللهجات الوطنية الجزائرية، بالحروف العربية، بدلا من اللاتينية... فالخطر هنا يكمن أساسا في الترسيم، أي إعطاء طابع الشرعية الدستورية وشهادة ميلاد للغة الرسمية، وليس الخطر في شكل الحروف (اللاتيني أو العربي) الذي يظل قابلا للتغيير بمرسوم في أي وقت، بدليل ما وقع للحروف العربية في اصطنبول سنة 1933 حيث استبدلت بها الحروف اللاتينية (على غرار كل اللغات الأوروبية المكتوبة بالحروف اللاتينية في الوقت الحاضر...) والدليل الثاني الملموس لاحتمال اصطناع الحروف والقواعد أو تغييرها، لأية لغة مشافهة، أو أية لهجة من اللهجات في العالم، هو وضع اللغة الصومالية الحالية التي رسمت (منذ أقل من 20 سنة) بالحروف اللاتينية : وقبلها اللغة الفرنسية ذاتها التي كانت قبل خمسة قرون مجرد لهجة من لهجات فرنسا المتحدة، تحت سيادة اللغة اللاتينية الأم، فرسمت وحلت محل اللاتينية في الإدارة الفرنسية، وفرضت شيئا فشيئا بقوة القانون على كافة أنحاء التراب

الفرنسي وخاصة على يد (تاليران) بعد الثورة مباشرة، بهدف صنع الأمة الفرنسية والشخصية الفرنسية، والسيادة الفرنسية المنسوبة بالاسم، الى اللغة الفرنسية وحدها، كما سيأتي تفصيله في مكان لاحق...

سابعاً : الرفض المطلق لأية محاولة لأي ترسيم لغوي بأي حرف، لاحتمال تغيير الحرف بحرف آخر بعد فترة زمنية محسوبة، مع ابقاء السابقة في تفتيت وحدة الأمة الى قوميات لاحصر، ولا نهاية لها، وحتى لا تتحول المعركة القائمة الآن بين اللغة الوطنية (العربية)، واللغة المحتلة (الفرنسية) الى معركة داخلية (لا نهاية لها) بين اللغة الوطنية واللغات الوليدة (والمستولدة) في المحاضن الفرنسية، لحساب سيادة اللغة الفرنسية وتأييدها في البلاد، وهو سبب كل هذه التخطيطات الجهنمية منذ سنوات... والدليل على ذلك هو أن الاكاديمية (البربرية - الفرنسية) منذ إنشائها في باريس سنة 1967 وهي تنشط لنشر اللغة البربرية وإعداد الدروس بالمراسلة وارسالها بالمجان لطلبة بعض الثانويات الجزائرية... بحروف (تيفناغ) بحجة الأصالة (لاضفاء طابع الشرعية على هذه اللغة، بهدف إحيائها وترسيمها، كبديل مناهض للغة الوطنية، لنفاية السابق ذكرها...) واليوم يلاحظ أنه بعد أقل من عشرين سنة فقط من تلقف (العملاء) الطعم ضد اللغة الوطنية، لصالح ما يسمى باللغة الأصلية للجزائريين أو بعض الجزائريين، بحروف (تيفناغ) يأتي نفس المنظرين (في هذه السنة 1989) للمطالبة بالتخلي عن الحروف (التارقية) واستبدالها بالحروف اللاتينية، والبرهان الناطق موجود في امتحان البكالوريا في فرنسا هذه السنة حيث خير الطلبة في بعض الشعب، بين اللغة العربية أو (اللغة البربرية) بالحروف اللاتينية!! ولدليل الثاني موجود في النسخة الفرنسية من جريدة «الجزائر الجمهورية» في عددها الأول الصادر في الجزائر يوم 1989/10/1، وكذلك العدد الأول من جريدة حزب «التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية» الصادرة في 1989/12/10.*

وهذه الخطوة التالية في التخطيط الفرنسي... ما كان لها أن تنجز قبل 20 سنة، ولم يحن أوان الإفصاح عنها الا الآن! والهدف المكشوف من وراء ذلك هو اضفاء الطابع اللاتيني على جزء من الوطن العربي لفصله نهائياً ورسمياً عن

* لقد خصصت الصحيفة بعض الصفحات فيهما لمقالات باللهجة التيفالقية كتبت بحروف لاتينية (فرنسية)

حضيرة الأمة، في انتظار الأجزاء الأخرى، مما يثبت النوايا غير البريئة وراء محاولة اسطناع أي وضع لغوي في الجزائر مخالف لما كان سائدا من تعايش طبيعي بين اللهجات (البربرية والعربية) على قدم المساواة أمام سيادة لغة القرآن منذ أن دخلت الأمة في الإسلام جماعيا قبل 14 قرنا من الزمان.

ثامنا : اعتبار اللهجات البربرية والعربية رافدا من روافد اثراء التراث الشعبي المنقول بالحروف العربية، على غرار ما كان سائدا على امتداد التاريخ الحضاري المكتوب في الجزائر، حيث ظلت تكتب الأشعار الملحونة (العربية والبربرية) بالحروف العربية كما ينطقها الشاعر... ومنها على سبيل المثال روائع الشاعر سي امحمد أو محند، وكتاب «أعز ما يطلب» في الفقه المالكي الذي وضع في العصر الموحي بفرض نقل المعنى الفقهي الى السامع باحدى اللهجات البربرية، في غياب الدراسة والدراسة الكافية بالفصحى، أو الدارجة العربية، في المناطق الجبلية النائية عن المراكز الحضرية... وهذا تصرف مقبول ذو أغراض عملية، ومرحلية في ذلك الوقت، لا تشتم منه رائحة الانتحار الوطني الذاتي الواقع اليوم!

تاسعا : ان العدو المشترك بين جميع الوطنيين في الجزائر اليوم هو اللغة الفرنسية التي أحدثت الوضع الخطير الراهن، كثمرة مرة، من ثمار الاحتلال المباشر في غفلة أو تراطؤ من بعض أولياء الأمور (...).

وعليه فالولاء يجب أن يظل للغة الوطنية ضد اللغة الفرنسية ولبس للفرنسية (التي يقال أنها أجنبية...) ضد اللغة الوطنية، بقطع النظر من ائتمان الوطنيين لهذه اللغة أو تلك، بحكم حتمية الظروف المعروفة... والدليل على هذا الحكم هو أن جميع دعاة التمييز القومي (البربري) بكل اتجاهاتهم ونزعاتهم (اللاوطنية) لا يتفاهمون فيما بينهم الا باللغة الفرنسية، على حساب اللغة الوطنية (العامية على الأقل) والتي لا يجهلونها ويقرن، (ديماغوجيا) بأنها اللغة الوطنية، مما يجعل القضية قائمة ليس بين المغرب والفرنس، ولكن بين الوطني الحقيقي، والوطني المزيف أو «البطني». وإذا كانت المواطنة تكتسب بالحصول على الجنسية، فالوطنية لا تكتسب الا بالبذل والتضحية في سبيل دعم

أسس الوحدة الوطنية والشخصية الوطنية التي لا يمكن أن تقوم لها قائمة دون السيادة الكاملة للإسلام واللغة العربية. ولعل أفضل صورة بريئة لما يمكن أن يحل به أشكال اختلاف اللهجات باختلاف الجهات في الوطن... هو وضع اللغة العربية وقداستها في وادي ميزاب، ماضيا وحاضرا، حيث لا يوجد من الميزابيين من يتحدث بغير اللهجة الميزابية (البربرية) في البيت، وفي الحياة اليومية، مع أفراد العشيرة... وفي الوقت ذاته لا يوجد فرد من رادي ميزاب يتعامل بغير اللغة العربية (شفاهيا أو كتابيا) مع باقي المواطنين، من أفراد الأمة في كافة أنحاء الوطن وخارجه، ولا أدل على ذلك من أن أروع الأناشيد الوطنية الخالدة (فداء الجزائر... قسما...) تفجرت من قرائح أبناء ميزاب الذين عربهم الإسلام فرفعوا للعربية ذكرا وقدرنا في الأنام، وفي أحلك أيام الظلام!

مباشرة : ان مصير الأمم لا يقرر في كل حين، ومصير الجزائر قرر في المرة الأولى منذ دخول الإسلام واعتناقه الجماعي والطوعي من قبل السكان، وتبني لغة القرآن لسانا رسميا للأمة في شؤون الدين والدنيا، والعلم، والحضارة على امتداد القرون دون أي لسان سواه... وقد جدد هذا التقرير للمصير في هذا القرن نتيجة الكفاح المرير الذي أوجد اتفاقيات (إيفيان) التي خيّر بموجبها، أبناء الجزائر، بكل حرية وديمقراطية، بين أن يكونوا فرنسيين مسلمين أو عربا مسلمين، فكانت النتيجة أن أكثر من 97.5٪ صوتوا لصالح استقلال الجنسية الجزائرية والشخصية العربية الإسلامية، ولم يمنع الذين لم يقبلوا بنتائج الاستفتاء (من الأهالي) من أن يحافظوا على جنسيتهم الفرنسية بالذهاب مع المحتل لخدمة العلم الفرنسي، ومجيء من كان قاطنا هناك للتمتع بالجنسية والشخصية الوطنية هنا في الجزائر، ولقد تم الفرز على هذا الأساس القانوني والمنطقي. إلا أن الشيء الذي لا يقبله العقل، على الإطلاق، هو بقاء نسبة قليلة من الذين صوتوا به (لا) على الاستقلال الوطني ليظهروا في السنوات الأخيرة، بنوع من الطرح الجديد لتقرير المصير مرة أخرى، للمطالبة بإرجاع الجزائر الفرنسية بقوة من النافذة اللغوية والثقافية : بعد أن أخرجت من الباب العسكرية والسياسية إلى غير رجعة في اعتقاد المفاوضين الوطنيين في (إيفيان).

والحقيقة أنه إذا أمكن للإنسان أن يكون مسلما فرنسيا، أو عربيا مسيحيا، فإن ما لا يستقيم وضعه على الإطلاق، أن يكون الإنسان مسلما مسيحيا أو عربيا فرنسيا في نفس الوقت وهذا ما يريد بعض (المتجنسين من الكولون الجدد) في الوقت الحاضر وهو من المستحيلات، والحل الوحيد والأمثل الذي لا محيد عنه، هو أنه مثلما طبق قانون السيادة الفرنسية على أبناء الجزائر الذين اختاروا الذهاب مع العدو للذويان (الشخصاني) في كيانه اللغوي والحضاري... يطبق (ويدون أية مساومة على السيادة) قانون الجنسية وقانون الشخصية الثقافية والحضارية العربية الإسلامية، المنصوص عليها في اتفاقيات تقرير المصير الأخير⁽¹⁾ على كل من اختار البقاء، عن طواعية في الجزائر، وإذا أمكن ممارسة التسامح في الدين باسم حرية الاعتقاد (التي ضمنها الدستور) فلا تسامح على الإطلاق في التمرد أو المساس بالسيادة اللغوية، لان اللغة كما رأينا هي عنوان الهوية وأساس الجنسية، وجوهر الشخصية الذي لا يقبل الازدواجية ولا اللاتكيفية على الإطلاق!!

حادي عشر : ان أول ما يجب أن تتضافر من أجله جهود كل الوطنيين، على غرار ما كان عليه الأمر أثناء الكفاح المسلح، هو العمل بجد وإخلاص من أجل استرجاع السيادة الوطنية من اللغة الفرنسية، بدلا من العمل على القضاء على هذه السيادة في المهد، قبل أن تتحقق... وان أية محاولة لعرقله بسط هذه السيادة الوطنية (اللغوية) تحت أي شعار من الشعارات، هو عمل استعماري صرف، كما هو ثابت بالأدلة.

ولقد كان من المفروض، لو توفر الحس الوطني، الذي كان سائدا أثناء الكفاح المسلح... هو العمل على توحيد اللهجات واللهات (حتى ولو كانت متعددة ومكتوبة) في لغة وطنية واحدة، للمصمود تجاه العدو المشترك (سيادة اللغة الفرنسية)... بدلا من محاولة خلق أوضاع لغوية مصطنعة لصالح هذا العدو المشترك ذاته (كما سبق التفصيل) ولا يوجد حل آخر لتدارك هذا الوضع

(1) أنظر ابن يوسف بن خدة، اتفاقيات « البقيان » دهران المطبوعات الجديدة، 1987

قبل استفحاله، غير التمسك بصمام الأمان الوحيد المتمثل في بسط السيادة الوطنية باللغة الوطنية، كلغة وحيدة في الإدارة والتعليم في كافة المراحل، وعبر كافة أنحاء الوطن، لتظل مثلما كانت قبل أن تعرف بلادنا الاحتلال الاستيطاني المدمر، وتبقى اللهجات المتداولة شفاهيا (عربية أو بربرية) متعايشة سلميا مع الفصحى ومساعدة لها، تأخذ منها المفردات العلمية والحضارية والثقافية الراقية، وتساعدنا في التبليغ الشفاهي لدى الأوساط الأمية، مثلما كان الشأن على امتداد التاريخ الوطني العربي الإسلامي في الجزائر، وفي كافة الأقطار الشقيقة مشرقا ومغربا، ولا سيادة للغة الوطنية بدون روح وطنية ولا وطنية بدون سيادة كاملة للغة الوطنية في الوقت الحاضر كما هو الشأن لدى الأمم المعتمدة في العالم قديما وحديثا. ولا قيمة لاستقلال الجنسية لاية دولة دون استقلال كامل للشخصية مهما طال الزمن، وكل استقلال مرهون بقاؤه بالآخر، كما تعلمنا دروس التاريخ الناطق للأمم والشعوب الحية في كل زمان ومكان، ولعل سقوط «جدار برلين» أخيرا لأسطح برهان! *

ثاني عشو : ان اللغة الفصحى في أمة هي بمثابة الملكة التي لا تقبل التعدد، واللهجات أو اللغات الشعبية المحلية (أي غير المكتوبة) هي بمثابة الخادومات المساعداة للملكة في الأمور العادية اليومية (غير الرسمية) وإذا أمكن أن تقوم الفصحى - عند الضرورة - بأعمال الخادومات، فإنه لا يمكن للخادومات أن تنوب عن الملكة في المسائل الرسمية، لان الملكة واحدة، بينما الخادومات متعددة، يمكن أن تنوب الواحدة عن الأخرى دون أي ضرر أو اثر سلبي على حياة الدولة والأمة ومسيرتها الحضارية نحو الرقي والتقدم المضطرد، بينما لو تصبى الخادومات ملكات (١) فإن أولى النتائج هو أن يصبح لكل ملكة شعب تحكمه أو تحكم به، وهذا هو معنى ترسيم الدارجات العرييات (وغير العرييات) في البلاد، والذي يعد انتحارا لوحدة أي شعب على وجه الأرض، وهو انتحار لصالح الاستعمار الفرنسي وحده في الجزائر، كما أكدنا ونؤكد دائما وأبدا دون ملل!

* أهدى مقدمة الكتاب بضمين مرة أخرى .

ثالث محشو : ان متطلبات تكوين الأمم وبقائها ، هو العمل على ازالة عوامل التفرق ، وتجميع عوامل الدعم والتحقق . . ومن هذا المنطلق كان لزاما على كل المواطنين من أبناء الأمة أن يعملوا على التضحية بالجزء من أجل الكل ، ويجهدوا في تجميع اللهجات المتفرقة في لغة وطنية واحدة . فضلا عن أن يتهاونوا في هذا الأمر الخطير ويغضوا الطرف عن تفتيت وحدة الأمة نحو لهجات ولغات متناحرة مع الزمن ، ولعل أبرز مثال لدينا هو دولة العدو (الأول لأمتنا) التي لا تجمعها (من أصقاع العالم) سوى عقيدة واحدة كانت سببا في جعل كل اليهود المتعاشين في هذه الدولة ، والذين كانوا ينتمون الى أكثر من 120 جنسية (أي 120 لغة وطنية) يتحدون ويندمجون بلغة واحدة ، وفي ثقافة واحدة ، هي اللغة العبرية ، اللغة الرسمية والوطنية للدولة اليهودية المنبعشة من العدم ، بقوة العقيدة ، وقدرة القيادة ، وفرض السيادة . . .

رابع محشو : ان مبدأ اللاتكية اذا كان معتمدا في الدين فانه لا يوجد بلد في العالم يعتمد لاتكية في اللغة ، لان اللغة هي استعمال ضروري يومي لاغنى عنه على الإطلاق ، كما أنه ملموس وغير قابل للتعويض الا بصنوه ، أي بلغة أخرى ، الى جانب أنه شامل لكل أبناء الوطن في كل حين . ومن هنا كانت ضرورة التمسك بسيادة اللغة الواحدة ، ان وجدت وتوحيدها ان فقدت ، لان في اللغة تكمن وحدة الوطن بالتكامل مع الدين ، ان كان للدين علاقة باللغة مثل الإسلام والعربية في الجزائر ، وهذا مبرر آخر إضافي للتأكيد على الدعم والتوحيد اللغوي .

خامس محشو : في الوقت الذي يفرض الإسلام نفسه في كل بقاع العالم ، وينتشر تدريس لغة القرآن تبعا لذلك في كل الأقطار الإسلامية أو التي بها اقلية إسلامية ، لا يعقل أن تتخلى عنها الجزائر المسلمة التي كانت سباقة الى هذه اللغة منذ فجر التاريخ الإسلامي على البشرية . . . فضلا عن أن أسباب انتشار العربية في الجزائر المسلمة هي أقوى منه في البلدان الإسلامية الأخرى لعدة اعتبارات ، (منها أن أية لغة غير العربية لا يمكن أن تجمع الجزائريين في الوقت الحاضر ، نظرا لعلاقة هذه اللغة بالعقيدة السائدة) ومثلما اجتمع الجزائريون في العقيدة المعتقدية يجتمعون نحو لغة هذه العقيدة ، ومن ثم فان الوحدة الحقيقية

للأمة لا تكون الا بتوحيد لسانها بالعربية، بعد توحيد قلوب أفرادها بالإسلام، وان اي اعتراض أو عرقلة لهذا المسعى البنائي لوحدة الأمة، هو عمل هدام لوحدة الوطنية، لأنه لا وحدة وطنية حقيقية بدون وحدة لغوية ودينية على الإطلاق!

سادس عشر : ان الروح الوطنية الحقيقية تحتم على كل مدع للوطنية (وتعني هنا حب الوطن و التضحية في سبيله) ان يتقن اللغة الوطنية ويعمل على نشرها وسيادتها، ليس على الصعيد الوطني فحسب، وهو أمر واجب، وانما لاتخاذها وسيلة استراتيجية لمحاربة فرنسا في المعركة الحضارية القادمة المتمثلة في الهيمنة السياسية والثقافية والاقتصادية والتكتلات الإقليمية، وكم هي متاحة الفرصة للجزائر أن تتبنى استراتيجية التفتح نحو افريقيا الإسلامية (الفرنكوفونية والانجلوفونية) بالعربية، لغة القرآن المحايدة، التي كانت هي السائدة والسيدة وحدها، كلغة حضارة، قبل أن تعرف هذه القارة الاحتلال أو «الاستحلال» الصليبي في القرن الماضي، عن طريق البوابة الاستراتيجية مفتاح افريقيا في الخير والشر . الجزائر... هذه هي الخطة التي يجب أن تتبنى ممن يدعي الوطنية، بدلا من أن يصبح مطية لنشر الهيمنة الحضارية الفرنسية على الاشقاء في افريقيا، كما هو حاصل اليوم بكل أسف شديدا!!

سابع عشر : ان عدم البت القاطع في مسألة التحرر اللغوي للأمة بتوحيد وتعليم واستعمال اللغة العربية استعمالا حقيقيا وشاملا... سيعوق اعاقا مباشرة وخطيرة تكوين وارساء دعائم الأمة القوية، المتجانسة العناصر، المستهدف تكوينها، على غرار الأمم القوية المعاصرة كالأمة اليابانية أو الكورية أو الألمانية أو الصينية، ذات التقاليد العريقة والتكنولوجية المتقدمة دون أدنى تعارض بين سيادة لغاتها المعقدة وعلمها المتقدم في جميع المجالات من جهة، واتقان اللغات الأجنبية لدى الخاصة من أفرادها للأغراض الحضارية والعلمية المتعلقة بالترجمة والانفتاح الثقافي والحضاري على العالم المتقدم من جهة أخرى، في اطار حكيم من تحقيق التوازن بين الأصالة الحضارية والانفتاح البناء الذي لا يعني على الإطلاق الذوبان في شخصيات وحضارات أخرى، وان الأمم الشخصيات مابقيت

فان هم ذهبوا شخصياتهم ذابوا! وأمريكا ليست بالضرورة ذات شخصية مطابقة لإنجليترا ونفس الشيء يقال على كوبا واسبانيا، والبرازيل والبرتغال...

شاهن محشو: لقد كانت حجة «الجنرال دوقول» ضد الثورة على فرنسا وضد الاستقلال الوطني... ان الجزائر على مر التاريخ ما هي الا عبارة عن مجموعة من القبائل المتناحرة ولم تكن أمة في وقت من الأوقات، وكانت الحجة القوية لدى المفاوض الوطني هي أن الجزائر كانت أمة متكاملة المقومات (دينا ولغة) منذ قرون، أي قبل أن توجد الأمة الفرنسية ذاتها، وكانت العربية (اللغة الوطنية) رمز الأمة المتميزة عن فرنسا (المحتلة)، تدرّس تحت القنابل، وفي السجون والمعتقلات، للبرهنة على التمايز القومي عن فرنسا، ولم يطالب حينئذ أحد بتدريس البربرية في الجبال ولا في السجون، وذلك للبرهنة ليدقول بأن الجزائر أمة واحدة، وليست اشتاتاً من الشعوب اللامتجانسة في العرق أو الدين أو اللغة، (كما كان يدعي هو وعملاؤه من الكلون والخنونة) وكان الاستقلال بفضل هذا الوعي المتقدم لدى المجاهد المفاوض الوطني... واليوم يأتي بعض الحلف ليحاول التصديق بالاستقلال والوحدة الوطنية على فرنسا بالذات، عندما يطالب بتدريس إحدى اللهجات (البربرية) في المدارس والجامعات وفرضها في الإدارة الوطنية في بعض مناطق البلاد*، فلماذا لم يطالب بهذه السيادة أثناء الثورة التحريرية وقبلها؟ فإذا قيل بأن هذا المطلب قد تغاضى عنه بعضهم بحكم ضرورة الاتحاد ضد العدو لافتكاك الاستقلال من الاحتلال... نقول: وهل العدو القديم والمتجدد قد ترك السلاح ضد تفتيت الوحدة الوطنية اليوم، لتأبيد سيادة لغته وثقافته، وبالتالي سياسته في البلاد، لاجهاض استقلال الجنسية باحتلال الشخصية، أو جزء منها على الأقل، فلماذا لا يبقى نفس المنطق الاستقلالي سائداً للإبقاء على وحدة الأمة لدى كل من يدعي حب الوطن والوطنية... فلماذا لا يقبل العربية كموحد للأمة، مثلما يدعي أنه قبل الإسلام بدلاً من اليهودية والمسيحية اللتين كانتا سائدتين قبل الإسلام؟؟ فلماذا تقبل الإسلام بدل المسيحية، ونرفض العربية بدل الفرنسية باسم التمييز؟! تميز من عن من، أم عن

* راجع الملاحق « توصيات ملتقى أبعكرون 1980 » .

ماذا؟ عن الاسلام أم عن العربية؟ وهل يمكن الفصل العملي والعلمي في الجزائر بين الإسلام والعربية أو بين المسلم والعربي؟؟ (راجع الفصل السابق).

والحقيقة أنه إذا كانت المواطنة بالجنسية فالوطنية لا تكون الا بالتضحية، والباب يبقى مفتوحا لمن يدعي الوطنية أن يضحي بنزواته الشخصية من أجل أهم مقوم لبقاء الوحدة الوطنية التي ضحى في سبيلها الوطنيون بالأرواح والشرف والعرض، ويبخل عليها «الادعاء» بمجرد التخلي عن المطالبة بشيء لن يتحقق الا على حساب الوحدة الوطنية ولصالح العدو ذاته، وهو عمل بمثابة قتل للشهداء مرتين على أيدي نفس الجلادين!!

القاسم عشو: ان مفاوضات «ايفيان» التي توجت باعتراف فرنسا باستقلال الجزائر سنة 1962 كما هو معلوم كانت متسامحة في بعض الأمور (غير الجهورية)، إلا أنها كانت متصلبة أشد التصلب في التشديد على نقطتين جوهريتين، هما: الاستقلال الوطني والوحدة الوطنية (الشعبية والترايبية) وهذا ما يحتم على الجيل الوصي على الاستقلال اليوم، ان يتمسك أكثر بالوحدة اللغوية والدينية لأنها هي أساس التجانس الثقافي*، وبالتالي بقاء الوحدة الوطنية الحقيقية للأمة، وهي غير الوحدة المصطنعة على الورق والمفروضة بحد السلاح، على أفراد مشتتي الولاء وغير شاعرين بالانتماء الى أمة واحدة...

وإذا كانت الحكومة المؤقتة في مفاوضات الاستقلال متشددة في رفضها المطلق لعرض المفاوض الفرنسي عليها، بقاء مليون كولوني في الجزائر مع محافظتهم على نظام متميز (في الثقافة واللغة والجنسية المزدوجة) ادراكا منها لما تشكله هذه (القنبلة الموقوتة) من خطر على مستقبل وحدة الأمة المتجانسة (لغة ودينا) حيث تصبح هذه الأقلية الفرنسية فتيلة دائم الاشتعال، يخول لفرنسا التدخل في كل حين لانقاذهم، وتكون الجزائر بذلك لبنانا ثانية، أو كندا أو قبرص أو... وإذا كانت الحكومة الجزائرية (المؤقتة) تحت الضغط الاستعماري، قد رفضت هذه المسألة رفضا قاطعا، لكونها عاملا من شأنه - لو تحقق - أن يعيد

* نقصد هنا ما يصطلح عليه علميا بالعموميات الجهرية الثابتة وليس الفكر والاعتقادات الشخصية التي يختلف من جهة الى أخرى داخل الوطن، انظر كتابنا سمات الشخصية الجزائرية، المؤسسة الوطنية (الجزائرية) للكتاب 1989.

الاستعمار من النافذة بعد أن أخرج من الباب، فكيف يعقل أن تقبل الفكرة ((المستقلة وذات السيادة)) أن يجعل من الجزائر بعد ربع قرن من الاستقلال (السياسي) لبنانا ثانيا، أو سودانا ثانيا، وبارادة أبنائها، جهلا أو تجاهلا، بأن التعدد اللغوي المنشود هو تخطيط للوحدة الوطنية مع سبق الإصرار والترصد، ولذلك فإن أبناء الأمة الحقيقيين يناهضون بدون هوادة هذا الاتجاه الخطير، ولو كان هذا الاختلاف موجودا بالفعل لعملت الأمة بأبنائها الحقيقيين على إزالته نحو التوحد مثلما تعمل الأمم الجديرة بالبقاء في التاريخ، مثل فرنسا ذاتها التي وحدثت لهجات متعددة في لغة واحدة (كما سنرى بعد حين) . وطالما أن هذا العامل المفرق غير موجود إلى حد الآن، ومن حسن الحظ فإنها والحالة هذه ترفض رفضا قاطعا ومبدئيا أي حركة لإيجاده، تحت أي ستار كان، وفي سبيل محاربة هذا التوجه الانحرافي الخطير يحق كل جهاد وطني متواصل. فلوافترضنا -جدلا- أن اللهجات المحلية (العربية أو البربرية) انتصرت على لغة القرآن (الوطنية والرسمية) في الجزائر والبلاد المغربية عموما... فهل المشكلة ستحل؟ الا تتنازع الجزائر أو تونس أو ليبيا أو المغرب أو موريتانيا مثلا عدة عاميات، فأية واحدة منها ستفصح وترسم؟ وإذا افترضنا أنه وقع الاتفاق على واحدة ولتكن أقواهن انتشارا، فمن يضمن لنا أن هذه اللهجة (المصطنعة والمرسمة) لا تتفرع هي الأخرى إلى لهجات، مع مر الزمن (؟؟؟) ويصبح كل من يتحدث بفرع منها يطالب بقومية مستقلة بذاتها، ودولة ذات سيادة، مثلما يحدث للأقطار العربية في الوقت الحاضر، وإذا كان لابد من وقف التقسيم اللغوي اللامتناهي الذي يفضي بالقطر الواحد إلى التمزق القومي تغاديا لزوال شخصية الدولة ذات الشعب الواحد (كالجزائر أو المغرب أو السودان، أو ليبيا، أو تونس، أو موريتانيا) أفلا يكون من المنطقي أن نوقف هذا التقسيم من الأساس، نوقفه عند المستوى القومي (العربي) قبل أن يصل إلى المستوى القطري الضيق، بمعنى أن نحافظ على اللغة العربية النصحي ونقويها في أقطارنا كلغة مشتركة، فوق لهجاتنا المتباينة، لينحصر الصراع بين النصحي والعاميات (والتي تكون الغلبة فيه للنصحي إذا وقفنا بجانبها ودعمناها بالتعريب) بدلا من أن ينتقل ذلك التطاحن إلى داخل أقطارنا الضيقة ليشدد على رؤوسنا بين اللهجات المحلية ويحطم وحدتنا الوطنية

لحساب لغة المحتل ذاتها ولو فرضنا أن اللهجات العربية أو البربرية قد استقلت عن الفصحى وترسخت في أقطارنا الحالية، فهل يكف منظور الاستعمار (الفكري) الجديد، عن الدعوة إلى ترك تلك اللغات الضيقة الوليدة التي لا تسير التطور الحضاري الصاروخي... لتبني لغتهم (الحية) التي يوحون لنا بأنها هي وحدها التي تكفل لنا التقدم والتحضر.. وبذلك يتم هضمنا حضاريا وثقافيا، بعد أن فشلوا في قتلنا سياسيا، وابتلاعنا اقتصاديا، لماذا لا ننظر إلى تاريخ تلك الأمم، (الاستعمارية ذاتها) التي تحافظ على عناصر هويتها في أوطانها كيف تعمل على تفادي التقسيم اللغوي، وتدعو إلى التوحيد بخلق وفرض اللغة المشتركة العمومية، من أشعات من اللهجات المحلية في أقطارها...

فلنأخذ تاريخ الأمة الفرنسية التي يتخذها بعض المثقفين (من دعاة العصرية) عندنا قدوة يحتذى بها في كل ما تقول، وليس في كل ما تفعل، مع أن الفرق بين ما يقدمه المحتلون لغيرهم من نصائح، وما يفعلونه في غالب الأحيان مع أنفسهم (وهذا شأن كل الغزاة) هو الفرق بين الموت والحياة!

فلنأخذ العبرة والدرس المفيد في هذه المسألة الحيوية، «والمصيرية» من الأمة الفرنسية ذاتها في بلادها أو على رقعتها الجغرافية، في الماضي أو الحاضر. فبالنسبة للماضي الفرنسي القريب يقسم علماء اللغة اللهجات الرومانية الكثيرة التي كانت سائدة في المجتمع الفرنسي في عهد اللغة اللاتينية المندثرة (...) أي قبل أن تصبح لفرنسا الحالية لغة مشتركة قومية وقرية، تخطت الحدود إلى ما وراء البحار لتفرض على مجتمعاتنا الأفريقية (المنبذبة الشخصية) بشتى الوسائل والطرق المتاحة للمستعمرين الفرنسيين (...) يقسمونها إلى قسمين رئيسيين هما : اللهجات الشمالية واللهجات الجنوبية، ويطلق على المجموعة الأولى اسم (لهجات الأويل) ويطلق على المجموعة الثانية إسم (لهجات الاوك)، واللغة الفرنسية الحالية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت إليها لهجات (الأويل) الشمالية، والبروفانسية الجنوبية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت إليها لهجات (الاوك) الجنوبية، والفرق بين الاثنين كبير جدا كما نعلم، حيث أن الاختلاف بينهما يصل إلى مستوى الاختلاف الموجود حاليا بين اللغة الإسبانية واللغة الإيطالية كما يقول العالم اللغوي الفرنسي الشهير (أنطوان ميهيه) ومن

الطبيعي أن هذا الفرق لا يترك مجالا للتخاطب والتفاهم بين اللغتين دون دراسة خاصة أو ترجمان!!

ويعود هذا الاختلاف الشاسع بين القسمين الى مدى تأثير كل من اللغة اللاتينية في الجنوب والجرمانية في الشمال الفرنسي. فاللهجة العامية التي انحدرت منها اللغة الفرنسية الحالية التي تمثل ضواحي العاصمة الباريسية في الوقت الحاضر، والتي تعرف باسم جزيرة فرنسا قد تطورت وانتشرت فيما بعد نتيجة عوامل التوحيد اللغوي (الأنفة الذكر) ومن جملة الأسباب والعوامل أن المنطقة المذكورة كانت مهدا للأسرة التي أسست المملكة الفرنسية، ولذلك اكتسبت لهجاتها مكانة سياسية خاصة، مكنتها من التغلب شيئا فشيئا على اللهجات الأخرى تبعا لتوسع نطاق حكم الأسرة المذكورة.

فكلما دخلت مقاطعة من المقاطعات تحت حكم المملكة الفرنسية كانت تدخل في الوقت ذاته تحت تأثير اللغة الفرنسية، وكانت بهذه الكيفية تتغلب على اللهجات المحلية أولا في المدن، ثم باقي المناطق الريفية تدريجيا..

وقد تم انتشار اللغة الفرنسية في مناطق لهجات (الأويل) قبل مناطق لهجات (الأوك) وذلك لان التوحيد السياسي والاداري في المناطق الشمالية كان أسبق من المناطق الجنوبية التي لم تنضو تحت المملكة في توحد الجنوب مع الشمال، اذ بقيت لهجات الجنوب مصونة من سيطرة اللغة الفرنسية، مدة أطول، مما جعل آثارها متبقية الى الآن، عكس مناطق الشمال التي تفرنست في وقت مبكر، فضلا عن أن لهجات (الأويل) كانت أقرب الى الفرنسية الحالية من لهجات (الأوك) مما مكن للأولى أن تلتهم باللغة الفرنسية، قبل الثانية التي وجد الناطقون بها صعوبة في التكيف السريع مع اللغة الفرنسية، التي تختلف كثيرا عن لهجاتهم المحلية (...).

وقد كان للأدب المكتوب باللغة الفرنسية دور كبير في انتشار هذه اللغة الى جانب العوامل السياسية المذكورة... فمع مطلع عصر النهضة الفرنسية في القرن السادس عشر عرفت المملكة الفرنسية حركة أدبية وفكرية قوية على أيدي

أمثال ديكارت (الذي يعتبر أول من كتب آثاره الفلسفية والأدبية باللغة الفرنسية) وروسو وباسكال، وغيرهم من الذين ألفوا مجموعة من الآثار الأدبية والفكرية الخالدة باللغة الفرنسية، مما مكن اللغة الفرنسية - نتيجة لذلك - من أن تكتسب مكانة مرموقة بين جميع الفرنسيين، واخذت في التغلغل لدى عامة الناس، والمثقفين بصفة خاصة، ومن ثمة في طرد اللهجات وتضييق الخناق عليها لتحل مكانها كلغة فكر وأدب وثقافة الواحدة بعد الأخرى، وهو نفس ما حدث من قبل للغة العربية بعد انطلاق عملية التعريب في المناطق التي شملتها الفتوحات الإسلامية الأولى في المشرق والمغرب العربيين..

الا أن ما يجدر ذكره على الخصوص هنا هو أن تلك اللهجات الفرنسية المختلفة لم تنقرض نهائيا من الواقع الفرنسي نتيجة الحركة الفكرية والأدبية المذكورة.. بل ظلت مخلفاتها محصورة في بعض المناطق الريفية (كما هو شأن البربرية في بلدان شمال إفريقيا..). كما عبر عن ذلك الإمام عبد الحميد ابن باديس في مقاله الشهير (كيف صارت الجزائر عربية) حيث قال «وهذه الحقيقة (أي وجود لهجات محلية من مخلفات الماضي في أرياف فرنسا) يتعمى عنها الغلاة المتعصبون، ويحاولون بوجود اللغة البربرية في بعض الجهات وجودا محليا، وجعل عدد قليل جدا بالعربية في رؤوس الجبال أن يشككوا في الوحدة العربية للأمة الجزائرية التي كونتها القرون وشيدتها الأجيال»⁽¹⁾ وذلك ما استدعى اهتمام رجال الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وجعلهم يتدبرون الأمر لإيجاد الحلول الجذرية لها، تفاديا لأبعادها المستقبلية على وحدة الأمة الفرنسية السياسية والثقافية، والاجتماعية (...). وكان مما قدمه أحد المهتمين بهذا الموضوع إلى مجلس الثورة الفرنسية سنة 1790 تقريرا جاء فيه «اننا نستطيع أن نؤكد -دون مغالاة- بأن نحو ستة ملايين من الفرنسيين - ولا سيما في الأرياف - لا يعرفون شيئا عن اللغة القومية وعددا لا يقل عن ذلك - إذا عرفوا شيئا منها - فأنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها، والذين يحسنون التحدث بها

(1) نقلا عن كتاب، التعلم القوي والشخصية الوطنية للدكتور رابح تركي، الجزائر 1975 ص. 52 .

بفصاحة لا يتجاوزون الثلاثة ملايين، وأما الذين يستطيعون متابعتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك أيضا.. ويضيف التقرير الذي قدمه أحد رجال الثورة البارزين قوله : أن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح باب التوظيف أمام جميع المواطنين بدون تمييز، ولكن تسليم زمام الإدارة الى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية، يؤدي الى معاذير كبيرة (...) وحيث أن ترك هؤلاء الجاهلين للغة القومية خارج مبادي الحكم والإدارة يخالف مبدأ المساواة الذي تؤكد عليه الثورة... فيترتب عليها - والحالة هذه - أن تعالج المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين⁽¹⁾»

وانطلاقا من هذا الاعتبار أخذ رجال الثورة الفرنسية - وعلى رأسهم «تاليران» - ينظرون الى اللهجات المحلية على أنها مخلفات من عهود الاقطاع، وقالوا بوجوب محاربتها من هذه الوجهة أيضا، مع العلم أن المقاطعات الفرنسية كانت تتمتع - الى عهد الثورة - بامتيازات كثيرة ومتنوعة وذلك حسب الظروف الخاصة التي كانت قد أحاطت بانضمام كل واحدة الى المملكة الفرنسية في تواريخ مختلفة، كما سبق الذكر وقد رأى رجال الثورة ضرورة ازالة تلك الامتيازات لدعم وحدة البلاد السياسية وتحقيق الترابط الفكري والثقافي وتعزيد اللحمة الاجتماعية، وبناء على ذلك اجمع ممثلو المقاطعات الفرنسية بعد الثورة، وعلنوا تنازلهم عن جميع الحقوق والامتيازات الباقية، من نظام الإقطاع، وسارع رجال الثورة بعد ذلك الى تغيير التقسيمات الادارية تقسيما جوهريا وتنسيقها بما يتفق مع الوضع الثوري الجديد...

غير أن اللهجات لا يمكن أن تزال بين عشية وضحاها بقرارات تتخذها الحكومة أو بيانات تصدرها المجالس التمثيلية مثل التي ألغت الامتيازات المحلية، بل أن زوال اللهجات أو توحيدها (كما مر بنا في مكان سابق) يتطلب عملا متواصلا وتخطيطا دقيقا محكما ينفذ بصرامة، وقد يستمر عدة أجيال بحسب الظروف والإمكانات، ولذلك دعا مجلس الثورة الفرنسية جميع الناس الى الاهتمام بهذا الأمر، أي الاعتناء باللغة القومية المشتركة الى درجة التقديس

(1) عن مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق نيسان 1957 .

والتخلي أو الترفع بها عن اللهجات المحلية الضيقة.. ومن ذلك ما جاء في بيان لقيادة الثورة في شهر افريل من السنة الثانية لتاريخ الثورة حيث يقول (أيها المواطنون فليدع كل منكم الى تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا، لان تلك اللهجات إنما هي من بقايا عهود الاقطاع والاستعباد...» (1).

وهكذا أخذت الثورة تستحث الشعب ومختلف الدوائر الحكومية والتعليمية والهيئات العلمية على بذل الجهود المكثفة والمجادة لنشر اللغة الفرنسية الفصيحة وتحقيق الفرنسية الكاملة لابناء الأمة الفرنسية، وفي هذا المعنى يقول ساطع الحصري «عندما اقرت الثورة الفرنسية (مبدأ التعليم الالزامي العام) رأى رجال الفكر أن تكون مكفحة اللهجات المحلية والعامية من جملة الأهداف التي يرمي اليها التعليم بوجه عام» (2).

هذا بالنسبة لفرنسا في الماضي أما في الحاضر، فيكفي أن يلاحظ كل ذي عقل (غير محتل) أن الصراع الحزبي لعقائدي والسياسي قد يحتد ويصرخ ويزيد، حول العديد من المسائل المتعلقة بالمهاجرين (المغاربة) أو المسلمين الأفارقة بصفة عامة، أو عن قبول أو رفض اللباس الإسلامي، أو فرض (اللباس) اللاتكي العلماني، على الطالبات المسلمات (الفرنسيات وغير الفرنسيات) فينتصر ذاك لهذا وينتصر هذا لذلك، ويحدث الخلاف بين لويان وديستان وشراك ومتران... وفي الحين نفسه، رغم العداوة الظاهرة، نجدهم صفا واحدا بالنسبة لتدمير لبنان، وبالنسبة لسيادة اللغة الفرنسية داخل الوطن الفرنسي، وفي سائر بلدان السودان ومالي والنيجر والسينغال وأزمة الخليج... وحول هذا نورد النصوص الصريحة الموحدة لأبناء الأمة الفرنسية تحت لواء اللغة الفرنسية..

فهذا تصريح لميشال دويري، (رئيس وزراء سابق في حكومة دوغول) في خطابه أمام مجمع الخالدين في بلده، على أثر اختياره عضوا عاملا فيه؟ حيث يقول :

(1) نفس المرجع السابق ذكره .

(2) آراء وأحاديث في اللغة والأدب، دكر العلم للملايين بيروت 1958 . ص 72 - 73

« يجب أن نعلم أنه لكي تبقى فرنسا في المرتبة الأولى على الصعيد الأوروبي واتحاد الشعوب الحرة، خاصة في الوضع الراهن العالمي الذي يتسم بوضع حربي، أن الشعب الذي يعول على نفسه في بناء ذاته لا يمكن أن يقرم بهذا العمل شعب آخر في مكانه، ولا يتأثر هذا الا بالتخطيط للمستقبل.

ان القوة الرادعة ليست فوق امكانياتنا المالية، والفرنسيون قادرون على رفع اقتصادهم الى المستوى الضروري الذي يؤهلهم الى احتلال مكانة مرموقة على المستوى الأوروبي والعالمي :

ان التعاون الدولي في ميدان البحث في المرحلة الأولى يتطلب سياسة وطنية كبيرة في الميدان العلمي والانخفاض الملحوظ في مواليدنا لا يعتبر مصيبة، لأن وجود سياسة عائلية تحظى بالأولوية تستطيع أن تضمن لنا الحصول على نسبة كبيرة من الشباب الذي هو الشرط الأول لبقائنا.

... وعلاوة على ماسبق، فانه يجب تذكيركم أيها السادة بأهمية مسؤولياتكم تجاه اللغة والثقافة لأن ثقافة فرنسا ولغتها هي تعبير عن وجدانها.

وفي هذا المضمار، ساهمت الأكاديمية في ميدان اللغة الفرنسية بفضل مؤسسها على المحافظة على وحدة البلد، وفي القرن الثامن عشر سمحت مهمتكم في خدمة اللغة الفرنسية على بسط نفوذ فرنسا، أما في القرن التاسع عشر فان لغتنا قد أخذت مكانتها بين اللغات العالمية.

أما في القرن الحالي فقد أعيد النظر في نفوذها وللأسف، ويمكن إعادة النظر حتى في وحدتنا في القرن المقبل، الأمر الذي يجعل دراساتكم تحظى بالأهمية القصوى.

لقد هوجمت اللغة الفرنسية من قبل لغات أجنبية، لا تكمن قوتها في نوعيتها الجوهرية، بل في عدد الأفراد الذين يتكلمونها، ويجب أن تفرض (الفرنسية) على اللغات «الجهوية» حتى لا تكون ترقيتها في بعض الأحيان اصطناعية تعبر عن تفكك سياسي! ولهذا فالفرنسية تواجه جبهتين، وعليه فان مهمة الأكاديمية محددة الاتجاه.. أولا : ضمان نوعية اللغة الفرنسية والتذكير

بمتطلبات الإملاء والنحو، ثم جعل وحدة اللغة تخدم نوعية الثقافة وأخيرا تشجيع استعمال لغتنا ومساندة من يفعل ذلك من الأقطار الأخرى.

فليكن زميلنا الرئيس (ليوبولد سيدار سينغور) وأميننا الدائم (موريس دريون) مشكورين على عنادهما لتأكيد الفرنكفونية، التي ستكون مهمة أساسية لكل حكومة، كما أثبتته الوزارة التي يديرها زميلنا (آلان ديكو)، ولكونها تعبيرا عن وحدتنا ونفوذنا وباختصار عن سيادتنا، إذ تدعونا الى معركة كبيرة، حيث وصف (كليمنصو) اللغة الفرنسية بلغة «الوضوح» لغة «العدالة» لغة «الصدقة» ولغة «الحرية»⁽¹⁾.

ومن أوجه هذا الصراع الحاد الدائر بين الأمبراطوريتين اللغويتين (الانجليزية والفرنسية) في الوقت الحاضر الضجة القائمة في فرنسا حول معهد (باستور) لاعتماده اللغة الانجليزية كلغة بحث دون الفرنسية... ورد في مقال بجريدة الشعب الجزائرية الصادرة بتاريخ 18/5/1989 مانصه «نقلت إلينا وكالات الأنباء منذ مدة خبرا مقتضبا مفاده : ان ادارة «معهد باستور» هذه القلعة العلمية الفرنسية ذات الشهرة العالمية قررت أن تصدر حولياتها باللغة الانجليزية ولم يمر الخبر كما تمر بقية الأخبار الاخرى! - ان الموضوع حيوي ويمس السيادة الوطنية الفرنسية - فقد ثارت ثائرة العلماء والكتاب والصحفيين والسياسيين واعتبر الجميع هذا العمل خطيرا ولا ينبغي السكوت عنه - فقد شارك الاعلام الفرنسي في خوض هذه المعركة بمختلف وسائله - فهذه المجلة «جورد وفرانس» تكتب على غلافها وبعنوان بارز «اللغة الفرنسية في خطر!!» - (الجرثومة الانفلونجية في «معهد باستور»!! - يا للفضيحة!! - بين عشية وضحاها أصبحت عناوين الحوليات السنوية للمعهد باستور ر des annales de l'institut pasteur تحمل اسما بالانجليزية أنها فضيحة - كما قال أحد الكتاب وينبغي علينا الدفاع عن اللغة الفرنسية المهددة في عقر دارها ومن طرف أبنائها!! - ان الموضوع لا يزال يتفاعل في فرنسا - فقد أقام رجال العلم والمعرفة والسياسة ولم يقعدهم بعد!!

(1) جريدة لوموند الصادرة بتاريخ 1989/1/23 .

فقد قال قائل من هؤلاء الكتاب : كيف تسمح ادارة المعهد لنفسها بأن تصدر حولياتها باللغة الانجليزية فقط، علما بأن 58% من المقالات والمواد التي احتوتها حوليات المعهد سنة 1987 جاءت من البلدان الفرنكوفونية!! ومع ذلك نجد أن 84% من هذه المواد وتلك المقالات أعيد تحريرها ونشرها باللغة الانجليزية أو بلغة شكسبير كما قال أحد الكتاب!!»

ويضيف المقال : «أما رئيس تحرير المريدة الطبية اليومية وعضو لجنة الدفاع عن اللغة الفرنسية ويدعى (ليليان لا بلان موتي) فقال : بأن ما أقدم عليه معهد باستور من تبني اللغة الانجليزية في منشوراته وأبحاثه العلمية - بأنه عمل خطير، ويمس بالسعة الوطنية لفرنسا وبهيبتها، فمعهد باستور له شهرة عالمية وهذا مادفع الأكاديمية الطبية أن تشجب هي الأخرى بعنف هذا الموقف، وقد أبدت أسفها العميق لتصرفات المسؤولين في المعهد، ونحن ننتظر موقفا يتسم بالحيوية والفعالية، من جميع السلطات المعنية ومن منظمات علمية أخرى، وليعبر هؤلاء جميعا عن ارادتهم في الابقاء على حضور اللغة الفرنسية في العالم، قد يمكن اعتبار هذا الحدث حدثا رمزيا، ولكن الذي يدعونا الى اتخاذ موقف فعال ازاء هذا هو ما نلاحظه من تطورات في الساحة الدولية، حيث أصبحت اللغة الفرنسية تختفي تدريجيا من المنابر الدولية، بل أصبحت الفرنسية تختفي تدريجيا من عدة ميادين بما في ذلك القانون، والديبلوماسية، وقد سيطرت لغة واحدة على الساحة!! وإذا نحن تصرفنا على غرار تصرفات معهد باستور فإنا نعطي انطباعا يوحي باننا استسلمنا وتخلينا عن تراثنا الثقافي وينبغي علينا في الأخير الوقوف في وجه المد الانجلوفوني!!»

وقال كاتب آخر مناشدا الغيورين من بني جلدته من علماء ومفكرين أن ينظموا مظاهرة احتجاج أمام أبواب معهد باستور، هذا المعهد الذي نعتقد أن مخصصاته المالية ومساعداته المادية تأتيه من طرف الفرنسيين - فأنا في قضية اللغة لا يختلف موقفي مع موقف (شامفور) القائل : «أن اللغة هي الوطن فلنكن مع الوطن»، وفي الأخير طالب هذا الكاتب جميع المستشارين الثقافيين بالغاء اشتراكاتهم مع هذا المعهد تأديبا له على مواقفه المعادية للغة بلزاك» (1).

(1) جريدة الشعب، نفس المرجع السابق ذكره .

مخشون : وهكذا في المقابل، فإن اللغة العربية الفصحى التي هي اللغة الوطنية والرسمية في الجزائر منذ الفتح الإسلامي، وقد حلت محل اللغة اللاتينية في الإدارة والتعليم كما هو معلوم، وهي موجودة في البلاد ومتعايشة بكيفية تكاملية مع اللهجات العربية المتفرعة عنها بنفس الكيفية التي تتعايش وتتكامل بها مع اللهجات البربرية التي وجدتتها متداولة في البلاد منذ ذلك التاريخ، أما اللغة البربرية (الأصل) فهي مضمحلة اضمحلالا كليا في البلاد، ان على مستوى التراث المكتوب أو التداول الشفهي اليومي... ولم يبق في الجزائر اليوم الا اللهجات المتفرعة عنها منذ قرون، والتي يبلغ عددها في الجزائر وحدها ما يفوق العشر لهجات وهي متفرقة عبر كافة أرجاء الوطن، مما يجعل هذه اللهجات في وضعية (من حيث هي لهجات عامية) أشبه ماتكون باللهجات العامية العربية السابقة الذكر، مع الفرق أن اللهجات العربية لها مصدرها وموردها الذي تنهل منه المفردات للتداول اليومي، وهي اللغة المرجعية المتمثلة في اللغة الفصحى، لغة الكتابة والتفكير والتأليف والإبداع... في حين أن اللهجات البربرية ليس لها معين تأخذ منه سوى العربية الفصحى ذاتها، كما كان الأمر سائدا في البلاد منذ الفتح الإسلامي، أو من الفرنسية ذاتها كما هو الحال بعد الاحتلال الفرنسي بالنسبة للجزائر وبعض الأقطار المغربية الأخرى. ومثلما لا يمكن لأية لهجة عربية أن تستقل بذاتها عن الفصحى لتصبح لغة رسمية ووطنية في البلاد... لا يمكن ولا يعقل أيضا ولنفس الأسباب، لأية لهجة من اللهجات البربرية أن يدعي متداولوها أنها هي اللغة البربرية الأم أو الأصلية... كما أن هذه اللهجة المحلية أو تلك، مهما تكن متداولة في جهة من جهات الوطن، فهي لا يمكن أن تفرض كلفة وطنية على اللهجات البربرية الأخرى، فضلا عن اللهجات العربية بطبيعة الحال، وذلك لان أصحاب هذه اللهجات البربرية الأخرى الذين تعايشوا مع الفصحى كلفة كتابة وثقافة منذ قرون، لا يقبلون أن تسود أية لهجة بربرية لتفرض عليهم كلفة كتابة وتعليم وإدارة، وهذا ما يحتم، من منظور المحافظة على الوحدة الوطنية من جهة، ومن منظور التمسك بلغة الدين من جهة ثانية،

ومن منظور الديمقراطية التي تخضع الأقلية الي ارادة الأغلبية من جهة ثالثة، ومن منظور الآ يمكن القضاء على اللغة العربية الفصحى في الجزائر، الا بعد استئصال جذور الإسلام نهائيا، وهذا أمر مستحيل في الوقت الحاضر على الأقل!

ونظرا للاعتبارات السالفة الذكر فان الحل الأمثل لهذا الطرح المفتعل، وبعيدا عن الدوافع الاستعمارية الفرنسية، التي أشرنا إليها في فصول هذا الكتاب... هو أن تتعايش جميع اللهجات العربية والبربرية على قدم المساواة في التداول اليومي والثقافة الشعبية والفلكلور، دون أية حساسية كما كان الشأن دائما منذ الفتح الإسلامي حتى الآن.

وفي هذا المعنى نذكر جوابا لفضيلة الشيخ محمد الغزالي عن سؤال وجه اليه أثناء اللقاء محاضرة في مدينة تيزي وزو (بالجزائر) (ديسمبر 1989) رأيه في اللهجات المحلية؟ فأجاب بالحرف الواحد : «أنا أرى أن العربية الفصحى، يجب أن تسود، وهذا ليس بدعا، فكل أصحاب الألسنة الأخرى يفضلون الفصحى، ويعلنون أنها لغة التخاطب، وخصوصا في المجالس الجادة وفي الخطب الرئيسية، وفي المحاورات المحترمة. أما الرجوع الى اللهجات المحدودة، فهذا يكون سببا في تقسيم الأمة ونحن نريد التوحيد لا التقسيم، نعم قد تعني هذه اللهجات أصحابها وأنا لا أردهم عنها، وانما الذي يهمني هو أن تكون لغة العلم ولغة العالم هي العربية الفصحى وحدها، وعندني القرآن هو الأساس في تفضيل لغة على أخرى، فلهذا القرآن عندي هي أهم لغة في الأرض لأنها لغة الوحي الخاتم» (1).

واحد وعشرون : ان الدعوة الي ترسيم اللهجات العامية في الوطن العربي ليس له سوى النتائج التالية :

(أ) - القضاء على سيادة لغة القرآن في هذا الجزء من العالم الإسلامي بعد تقليص رقعة الخلافة، قبل الغائها نهائيا باسم العلمانية والوطنية (القطرية الضيقة) في أوائل هذا القرن.

(1) جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1989/12/25.

(ب) تفتت كل قطر عربي الى عدة دول بحسب عدد اللهجات العربية وغير العربية المتداولة بين أفرادها اذا قدر لها أن ترسم وتعلم!

(ج) احياء النعرات العرقية وربطها باللهجات، بحيث يصبح لكل لهجة محلية عرق واسم وقومية تمثلها على الرقعة الجغرافية الاقليمية أو القطرية.

(د) القضاء على الرابطة الأولى التي ما تزال تربط العرب في الوقت الحاضر، وتبرر وجود الجامعة العربية (ولو صوريا)، والقضاء بالتالي على أي احتمال مستقبلي لانبعث متجدد للحضارة الإسلامية لتعود مثلما كانت عليه - لعدة قرون خلت - على اعتبار أن لا حضارة ذات طابع خاص بدون لغة واحدة. وحضارتنا التي وجدت وسادت هي حضارة إسلامية الروح والفكر، عربية اللسان والبيان، ونظرا لأن حضارات الأمم تحمل أسماء لغاتها فان تعدد الأمم يعني تعدد اللغات، والإسلام لا يعترف الا بأمة واحدة كما ورد في القرآن الكريم: «إن هذه أمتكم أمة واحدة» (1).

(هـ) ان التفاضل عن سيادة الفصحى في كل الأقطار الإسلامية عموما، والعربية على وجه الخصوص، معناه تكرار مأساة الاندلس مرات عديدة في البلاد العربية، حيث ستظهر من داخل هذه الأقطار وبايعاز من الخارج (...) تيارات صليبية شعوبية حاكمة على كل ما هو مسلم وناطق بالعربية، على اعتبار أنه دخیل، وتعم الظاهرة اللبنانية والفلسطينية والسودانية والقبرصية في العديد من البلاد التي تظن نفسها في مأمن من هذا الخطر المتنامي تحت السطح، سواء في المغرب أو المشرق على حد سواء، لأن العرب اذا كانوا غمر مبالين، أو غافلين، فالاستعمار الصليبي الغربي والشرقي غير نائم، ولا يهدأ له بال الا عندما يتأكد من زوال شبح الأمة المحمدية الموحدة التي أقضت مضاجعه منذ وجدت حاضرة (وغائبة!).

ثاني وعشرون: وللإجابة في الختام عن ادعاءات ومطالب أولئك الذين يريدون أن يوقفوا التاريخ ويعودوا «بالأمة» الجزائرية الى عهد الاحتلال الروماني متذرعين «بالأصالة» و «الجزأة» و «التاريخ الوطني» و «الشخصية» أو

(1) من سورة الأنبياء، الآية: 92.

«الهوية» الوطنية التي يصرون في كل ندائاتهم، وشعاراتهم، وتصريحاتهم الرسمية وغير الرسمية، بأنها ذات التركيب أو الترتيب الثلاثي: «أمازيغية عربية إسلامية» (...) نقول لهم بأننا نوافق علي هذا المطلب وهذا الطرح أو هذا التركيب أو الترتيب، بشرط أن يكون (كما هو الشأن في فرنسا ذاتها، وفي جميع البلاد العربية الإسلامية الحالية) ترتيبا عموديا في الزمان، وليس تمزيقا أفقيا في المكان!! ولتبيان ذلك للذين يهمهم أمر «الأمة» ومصيرها وتاريخها، ولتوضيح المعنى الحقيقي للاستمرارية التاريخية للشخصية، والهوية الوطنية الجزائرية (الأمازيغية العربية الإسلامية...)، فإننا نتمثل بعملية تلقيح الأشجار في العلوم الطبيعية، والتلقيح هنا ثقافي بالدرجة الأولى، وليس عضويا، لأن التلقيح العضوي - ان حصل - فهو أمر ثانوي جدا (كما رأينا في الفصل السابق) وأن التطعيم - كما نعلم - يتم بنقل فرع من شجرة معينة ومختارة، ليطعم به جذع شجرة أخرى لها وجود وجذور ممتدة في أعماق الأرض، ما شاء لها التاريخ أن تمتد... والتطعيم يحتمل النجاح ويحتمل العكس، كما أن له شروطا من جملتها التقارب أو التشابه في فصيلة الشجرة والنوع، أي تطعيم نوع من الشجر مع نوع من الشجر المشابه له، وليس تطعيم نوع من الشجر مع نوع من الحجر!!!...

وإذا ما نجح التطعيم نجحنا كاملا، وكبرت الشجرة المطعمة، فيصبح جذرها من نوع، وبقية الكيان (الجذع والأغصان والثمار) من نوع آخر، بمعنى أن ما تحت التراب نوع، وما فوق التراب نوع آخر، وكما لا تستطيع الشجرة أن تنفصل عن جذرها أو تغيره ولو أرادت (على اعتبار أن التطعيم يتم في الجذع وليس في الجذر) فكذلك يظل من المستحيل أن يكون للشجرة وجود ملموس، لو قطعت من مستوى التربة (أي من مكان التطعيم الذي زالت معالمه القرون وصيرت الجذع كتلة عضوية واحدة) علما بأنها ستعطي نفس الثمار، حتى ولو شقت أو قطعت!! وتبقى النتيجة الوحيدة لعملية القطع أو الشق هي تأخر نمو الشجرة أو قتلها، وليس تغيير نوع الشجرة!! وهذا الاجراء لا يقبله إلا عقل مخرب للكيان وعدو

لوحدة الأوطان (مع ملاحظة وجود فارق هنا في التطعيم، وهو النوع العضوي الإنساني، والنوع الثقافي الرياني...) .

على أنه ومن بين الاحتمالات الواردة في هذا المجال، آن تظهر من حين لآخر بعض الفروع الفاسدة أو الميتة، أو بعض الأغصان الطفيلية التي تنبت من جذع الشجرة - أحيانا - ولكنها لا تلبث أن تخضع لعملية الزهر الموسمي (في الأحوال الطبيعية) من قبل المهندس الفلاحي (تطبيق قوانين الدستور) حتى يترك المجال لنمو الشجرة، بكيفية عادية، كبقية أشجار البستان، علما بأنه لو تترك الشجرة لمدة أطول (من اللازم) دون المعالجة، بالسقي والتهوية والزهر والأدوية، والتهذيب الضروري الذي تقتضيه كل شجرة مثمرة في هذا الوجود... فإن بعض ثمارها قد تبدأ في الفساد والتدني في الجودة، شيئا فشيئا، ومع مرور السنين على نفس الحال، وفي غياب العلاج اللازم للشجرة - كما أسلفنا - قد تكثر الفروع والأغصان الطفيلية (المتوحشة) والثمار الفاسدة، وقد تصيب بعدواها - مع مرور الزمن - بقية الثمار الأخرى، أو على الأقل تقلل من مردود الشجرة من الثمار الطيبة المغذية والمفيدة!!

وإذا عرفنا أن بعض الأطروحات التي لم يكن أحد يتجرأ على الجهر بها قبل ربع قرن من الزمان في البلاد، أصبحت الآن مقبولة الطرح كما هو واضح، مع رفض التطبيق... فقد يأتي اليوم الذي تصبح فيه بعض هذه الأطروحات منفذة تحت أي شكل من أشكال (التهجين) أو التطعيم على مستوى بعض الأغصان، وهو ما يهدد حتما بتغيير طعم بعض ثمار الشجرة، إن لم يكن قتل الشجرة أو تغيير شكلها على الأقل! وإن قيمة الأشجار المثمرة تقاس -دوما- بنوعية ثمارها، وليس بطول أغصانها، أو كثرة ثمارها الفاسدة، والمفسدة في نفس الوقت!

وكما اثبتنا في فصول هذا الكتاب، فإن فرنسا ظلت حاضرة، وواعية بكل تفاصيل الموضوع، وهي الآن تعمل على تهجين بعض اغصان الشجرة (المباركة) في غياب الزهر التلقائي المعهود على امتداد سنوات الاحتلال المباشر لتراب الجزائر، وخاصة إبان الثورة المسلحة حيث كان يتم الفرز القاطع بين كل ما هو

«ثاوري أو رومي» من جهة، وعربي (الذي يعني مسلم) من جهة أخرى، وتحقق الاستقلال الأصفر نتيجة هذا الفرز الصارم بين من هو مع الوطن ومن هو مع العدو، بصرف النظر عن لهجته وجهته... وأما اليوم فتريد فرنسا أن تعكس الآية، فتجعل الفرز بين من هو «عربي مسلم» من جهة، وكل من هو «فرنسي مسلم، أو غير مسلم» في الجزائر، من جهة أخرى، وبدلاً من أن تشجع هؤلاء الفرنسيين «بالشخصية أو بالجنسية أو بكليةما معا» على الذهاب إلى فرنسا، والالتحاق بالشجرة الأم، مثلما حدث في الفرز الجهادي الذي تم سنة 1962م، مع الكولون، والخونة، (أو الأقدام السوداء، والعقول السوداء) أصبح اليوم يشجع مثل هؤلاء على العودة أو البقاء «في أرض الوطن» لأسباب استراتيجية مفهومة جداً!!

ونحن إذا لم يكن بإمكاننا، ولا من صلاحياتنا أن نطلب من المستعمر أن يتخلى عن وظيفته وعن «لقمة» عيشه... إلا أنه يمكننا - وهذا من حقنا - أن نقتدي به، في عقر داره، فيما فعله ويفعله مع الأغصان المتوحشة، والشمار الفاسدة في «الشجرة» الفرنسية، تجاه عمليات التهجين (الألمانية والانجليزية) في الغابة الأوروبية، ومثال ذلك محاكمة الخائن «كلوس باربي» و «معهد باستور» المذكوراً فهذا هو الوضع الذي توجد عليه الشجرة الجزائرية ضمن البستان العربي الإسلامي في الوقت الحاضر، ويبقى كل شيء ممكناً في عالم الإنسان المتقلب - دوماً - عبر الزمان والمكان من قرطبة وصقلية، إلى طشقند وسامرقند، مروا بكابول ولبنان، والقدس والسودان، ومويطانيا والسينغال والعراق وطهران...

والكلمة الأخيرة والفاصلة ستكون - ولا شك - للشعب الجزائري الأصيل الذي ما قال يوماً لفرنسا، ولا لعملائها «نعم» عندما يترك حراً، أمام صناديق الاقتراع، والاستفتاء على تقرير المصير... والتاريخ - مرة أخرى - بيننا هو الشاهد الأمين.

الجزائر في: 1990/3/20

بطاقة تعريف المؤلف

- من مواليد 23 / 01 / 1944 ساورفة، ولاية تيزي ورو (الجزائر)
- نشأ في عائلة تشتمل بالتعليم العربي في المدارس الأهلية (الحرة)، خلفا عن سلف، منذ الجد الأكبر سيدي نعمان.. الذي تحمل اسمه إحدى بلديات ولاية تيزي ورو حاليا
- بدأ الدراسة على الطريقة التقليدية بحفظ لقرآن الكريم في مسقط رأسه (قرية الحروبة) على يد جده الشيخ المحفوظ بن نعمان، ثم عمه الشيخ الشريف حتى استشهاده سنة 1957، وبعدها على يد والده الشيخ محمد حتى استشهاده أيضا سنة 1959.
- فتح عيبيه على الثورة المسلحة، وترى في أحضان رجالها الذين بدأ نشاطه معهم في سن الخامسة عشر
- ألقى عليه القبض بعد اكتشاف أمره سنة 1959، وعرف ألوانا من التعذيب في معتقل «تاورقة» الذي فر منه ليلتحق بصعوف الثورة كجهاد في الولاية الثالثة، المنطقة الرابعة، لناحية الثالثة ثم الثانية حتى الاستقلال (1962).
- وصح البدقية عندما حصر القلم، فالتحق بسلك لتعليم "كمصر" في الابتدائي وواصل الدراسة حتى دخل الجامعة سنة 1968
- تخرج بشهادة لليسانس في الفلسفة من جامعة الجزائر سنة 1971.
- الماجستير في علم الاجتماع من جامعة القاهرة سنة 1978.
- الدكتوراه في "الأشروبولوجيا، لعسمية" من جامعة القاهرة سنة 1982
- ومن أهم الوظائف التي شغلها بعد ترك مهمة التعليم هي:
- مكلف بمهمة في وزارة لعمل و لشؤون الاجتماعية 1971 - 1973
- موظف (مستوب عن الجزائر) في إطار جامعة الدول العربية بالقاهرة 1973 - 1979
- مستشار بوزارة الداخلية بالجزائر 1980 - 1986
- مدير الدراسات والبحوث بالمعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية، لشامله (برئاسه الجمهورية) بالجزائر 1986 - 1990 وهو الآن متفرغ للبحث والتأليف والمحاضرات داخل الوطن وخارجه

من أهم مؤلفاته

- 01- التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981
 - 02- كيف صارت الجزائر مسلحة عربية؟ دار البعث، قسنطينة 1981
 - 03- لاعروبية بدون إسلام، دار البعث، قسنطينة 1981.
 - 04- الجهاد والثورة، دار البعث، قسنطينة 1982
 - 05- سمات الشخصية الجزائرية، مؤسسة لكتاب، الجزائر 1988
 - 06- فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (للجمعية، الأهداف، الوسائل، البدائل)، منشورات دحلب، الجزائر 1990
 - 07- لتعصب، لصراع العرقي والديني والنعوي لماذ وكيف؟، منشورات دحلب، الجزائر 1991
 - 08- مولود فاسم باب بلقاسم (حياة وآثار، شهادات ومواقف)، دار لأمه، الجزائر 1993
 - 09- هدي هي الثقافة، دار الأمة، الجزائر 1996
 - 10- حزب البعث الفرنسي، دار الأمة، الجزائر 1996
 - 11- الهوية الوطنية (الحقائق والمعالطات)، دار الأمة، الجزائر 1996
 - 12- معناه اللغة العربية، دار الأمة، الجزائر 1996
- وإلى جانب الوظائف الرسمية المذكورة، فهو عضو منتخب في عدة هيئات وجمعيات منها :
- عضو قيادي في اتحاد الكتاب الجزائريين
 - أمين عام المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر.
 - عضو الجمعية العربية لعلوم السياسة بالقاهرة.
 - عضو مؤسس وقيادي (نائب الرئيس) في الجمعية الجزائرية للدفع عن اللغة العربية
 - عضو المنظمة الوطنية للمجاهدين.
 - عضو المنظمة الوطنية لأبناء الشهيد .
 - عضو مؤسس وقيادي، في الجمعية الجزائرية لاتحاد المغرب العربي
 - حائز على جائزة الإمام عبد الحميد بن باديس للثقافة العربية الإسلامية المصوغة من مركز المستقبل الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط، لعام 1992



- ملحق رقم 1 : حلقة من حلقات المقاومة ضد أنصار النزعة البربرية في باريس
(حسب رواية بلفاسم راجف)
- ملحق رقم 2 : حزب الشعب القبائلي (PPK) وحوادث المحادية فرنسا
- ملحق رقم 3 : أطروحات منظري ومحرضي ومؤسسي وأحزاب الحركة البربرية
في عهد الاستقلال.
- ملحق رقم 4 : بيرفيت، المخابرات ومنطقة القبائل.
- ملحق رقم 5 : مطالب الحركة البربرية من خلال توصيات ملتقاها الأول
(إيمكورن، تيزي وزو 1980)
- ملحق رقم 6 : بعض أطروحات الحركة البربرية المطالبة بترقية وتدریس وترسيم
وتوطين وتوحيد اللهجات البربرية.
- ملحق رقم 7 : لائحة رفض من المجلس التاريخي للولاية الأولى.
- ملحق رقم 8 : بيان تأييد من الرئيس أحمد بن بلة.
- ملحق رقم 9 : لائحة رفض من المجلس التاريخي الموسع.
- ملحق رقم 10 : رسالة من مدينة بجاية: لا للنزعة البربرية.
- ملحق رقم 11 : رأي الأستاذ محمد البصري في المسألة البربرية.

ملحق رقم 1

حلقة من حلقات المقاومة ضد أنصار النزعة

البوهرية في باريس

[حسب رواية بلقاسم راجف] (*)

أثناء سنتي 1947-1948 كان عهد الله فيلالي المناضل الأسبق في صفوف «لحجم شمال إفريقيا» على رأس فيدرالية فرنسا لحزب الشعب - حركة الانتصار، وبالرغم من إرادته الحسنة لم يتمكن (فيلالي) من إحراز أي تقدم يذكر لصالح الحزب، وبقي فيلالي في مستوى (المهرج) الذي يفتقر إلى روح التنظيم، وكان مستبدا برأيه لا يقبل أية مناقشة، بل يذهب إلى حد استعمال الشتائم في تدخلاته ضد معارضيه.

وكان يعامل الطلبة معاملة سيئة واصفا إياهم «بالمثأذلين» مما أدى بمحمد علي يحي (الملقب برشيد) بعد وصوله إلى فرنسا إلى مساعدة بعض المناضلين على انتقاد سير الأمور في الفيدرالية التي كان يسيطر عليها فيلالي دون أية مراقبة.

وفي يوم من الأيام اغتنمت فرصة وجود مصالي بمدينة بري كنت رويير (Brie-Comte-Robert) في ضواحي باريس ففصده رفقة جماعة من المناضلين واشتكتنا من تصرفات فيلالي. وبدلا من أن يأمر بجراء تحقيق بشأنه ويقوم بدراسة الوضع مع جميع الأطراف راح مصالي يبرر أعمال فيلالي ويدافع عنه...

وكنيت شخصيا في تعاطف مع الطلبة لأننا كثيرا ما عانينا من اتهامات خصومنا السياسيين التي تصفنا «بأميين» وكنت أرى أنه من الصعب في غياب العنصر المثقف أن يحقق الحزب أي تقدم. وحيث إن الطلبة كانوا يتهربون من الحزب فاجتمعت بهم بمقر الطلبة بشارع سان ميشال في باريس رقم: 115 (Boulevard Saint - Michel) وقسنت لهم: «إنه لا يحق لكم أن تغادروا الحزب ولا كانت خيانة».

وفكرنا في عقد مؤتمر فيدرالي، قال بشأنه مؤغثة عضو القيادة الذي كان قد حل بباريس في زيارة قصيرة: «أنه من اختصاص قيادة الحزب في الجزائر» فقررنا عقد مجلس فيدرالي تطلب تحضيره مالا يقل عن خمسة أشهر وحضره يوم جلسته تقريبا (150) مائة وخمسون مندوبا ونفس

(*) أحد أقطاب الحركة الوطنية الجزائرية، ومؤسس جبهة شمال إفريقيا. وهذا الوثيقة معرّجة إلى العربية من كتاب جلود أول نوفمبر 1954 (بالفرنسية) بن يوسف بن خدة (مشرقات دحطب، 1988)

العدد من مناضلين آخرين وكان ذلك في سنة 1948. وانتخب المجلس الفيدرالي لجنة فيدرالية تضم (25) خمسة ومشرين عضوا وطلب مني أن أكون من بين أعضائه نظرا لأقدميتي في الحزب فقبلت بهتفظ أن أشارك في اجتماعه بباريس بصفتي «مستشارا تقنيا» حسب ما تسمح به الظروف لأن نشاطي المهني الذي يجري خارج باريس وواجباتي العائلية لم تكتفاني من ذلك بصفة دائمة. وأصبحت «عضوا قانونيا» في المجلس الفيدرالي والتحق محند علي يحيى (رشيد) بدوره باللجنة الفيدرالية بعد أن ضم إليها.

مجلس فيدرالي انحزافي

وصل ذات يوم إلى باريس الدكتور شوقي مصطفى والقيبي الصادق سعيدي الذي إتصل بي هاتفيا في مقاطعة لا بروتان (BRETAGNE) حيث كنت مقيما وطلب مني أن التحق به وذلك ما فعلت على الفور ويومه اكتشفت مؤامرة النزعة البربرية التي كان علينا أن نواجهها. وكان قدوم مصطفى وسعيدي إلى باريس بأمر من قيادة الحزب في الجزائر للقيام بتلك المهمة وعلمت مساء وصولي إلى باريس أن اجتماعا للجنة الفيدرالية قد يعقد في الغد على الساعة الثامنة صباحا، فحرصت على أن أحضره لأطلب من منظميه إقامة حفل «شاي» على شرف مبعوثي قيادة الحزب. ولم يكن باستطاعة أحد منعي من ذلك بصفتي «عضوا قانونيا» وتيقنت من بداية المداولات أن أفكار النزعة البربرية قد انتشرت وقطعت أشواطاً وأن أمامي أناسا مصممين على أفكارهم ومتشبهين بها، فطرحت المشكلة واقترحت إدراجها في جدول أعمال الجلسة على الصيغة التالية: «الانحياز السياسي للمجلس الفيدرالي».

وعارض بعض الحاضرين الاقتراح الذي قدمت لأسباب جعلوها ذريعة ومبررا لها حيث أنهم كانوا قد قطعوا الصلة بينهم وبين الحزب في الجزائر العاصمة وبذلك فهم يرفضون استقبال مبعوثي القيادة وحتى التحدث إليهما. وألححت على أن تدرج القضية في جدول الأعمال فاحتد النقاش وأصبح صاخبا عاصفا واصطدم اقتراحي برفض عنيد ومع ذلك كنت لا أزال أحظى ببعض الاحترام ولو كان غيبي في مثل ذلك الوضع لعرض لعقاب شديد ودامت المناقشات سبع عشرة ساعة دون انقطاع. وقبل أنصار النزعة البربرية في نهاية المطاف بمبدأ مناقشة القضية، ولا حاجة إلى ذكر ما كان يتردد على ألسنتهم خلال تدخلاتهم مما يضررونه من حقد لكل ما هو عربي وبصفة خاصة على اللغة العربية والقرآن والاسلام، وكان اقتراحي يتعلق «بإدانة الانحياز السياسي للجنة الفيدرالية بما يخالف الوحدة والمصلحة الوطنية ومصلحة أصحابها الذين تهدف تصرفاتهم إلى تقسيم الحزب وخدمة مصالح الاستعمار عن وعي أو غير وعي».

وجرى التصويت على الاقتراح وجاءت نتائجه على الشكل التالي:

- عدد الأصوات لصالح الاقتراح = 12 صوتا.

- عدد الأصوات ضد الاقتراح = 13 صوتا.

ورفض الاقتراح بأغلبية صوت واحد، وحين افترقنا قلت لأحد أنصار النزعة البربرية «أن الصراع لا يزال في بدايته».

المجابهة

واجتمعت بمصطفى وسعيد ومناضلين آخرين، وقررنا أول ما قررنا تنظيم أفواج للدفاع الذاتي والرد على الاعتداءات التي قد نتعرض لها، وبلغ مجموع عدد الأفواج 70 مناضلا. وطلبنا في نفس الوقت من الفروع تجميد الأموال التي بحوزتها وإرسال عرائض إلى المجلس الفيدرالي لمتج فيها على الانحراف السياسي وتوجيه الدعوة لعقد مجلس يتكفل بانتخاب لجنة فيدرالية جديدة على أن ترسل إلينا نسخ من العرائض، ولقد سمع لنا ذلك المسعى بأن نتعرف على الفروع المعادية لنا وأن نقدر قوتنا، وسرعان ما وقعت المشادات وحرت المشادة الأولى بالدائرة الباريسية الثامن عشرة في شارع أوردونير (18 e arrondissement rue Ordonner) في قاعة تابعة لفندق مقهى حيث اجتمع مائة شخص بدعوة من خصومنا، وأرسلنا ثلاثين من رجالنا لحضور الاجتماع ومع الأسف وصلوا متقدمين، الأمر الذي سمع لخصومنا بأن يجمعوا مقابض معاول وقوارير من زجاج.

وبمجرد أن علمنا بذلك قصدنا المكان على الفور وكان عددا عشرين مناضلا، وفور وصولنا هاجمنا خصومنا ونحطم باب الفندق الزجاجي تحطيمًا وحين رجعت أدراجي رأيت شخصا يقصدي ويده سكين جزار وخرج في تلك الأثناء صديق لي محتجيا بكرسي فرماه باتجاهي فأمسكته وضربت به صاحب السكين وهو أرزقي مغيرة وهو صديق وعلي ينادي فانسحب على الفور.

وفي تلك اللحظات تساق زملائي أشجار الصناد وقطعوا منها فروعا ليجعلوا منها هراوات استخدمناها للدفاع عن أنفسنا ودحرنا عناصر العصاة ففر بعضهم ودخل بعضهم إلى الفندق وتسببت المواجهة في عدة جرحى من الطرفين ودخل ثلاثة المستشفى، وكنت قد أبعدت من جماعتنا العنصر «العربي» حرصا سي على أن تكون القضية قضية قائمة بين أهل القبائل وحدهم حتى لا يضاف إليها طابع «نزاع بين العرب والقبائل» الذي قد يستغله أعداؤنا ضدنا.

وبعد أن انتهت المواجهة جلست إلى المقهى المقابل فرأيت حافلتين معلومتين برجال الشرطة تصلان إلى المكان رفقة سيارة خفيفة. وفي الغد صلبنا من الصحف أن سبعين جزائريا قد قبض عليهم ونقلوا إلى مركز الشرطة وأبضا ثلاثين جريحا.

ورفعت المشادة الثانية في الدائرة التاسع عشرة حيث حصلنا على قاعة الحفلات التي وضعتها البلدية تحت تصرفنا باعتبار أن الحزب حزب شرعي. ولما بدأنا الأشغال أراد بعض أنصار النزعة البربرية أن يتناولوا الكلمة بالقوة وكنت على المنصة في رئاسة الجلسة وصعد أحدهم إلى المنبر وحاول نزع الميكروفون من بين يدي فأمسكته من طرف بذلته وألقيته على الأرض. وحدث عراك وتبادل الضربات. وبعد اتصال هاتفي أجريناه من مقهى صديق، وصلتنا الامدادات ووصل بعدها بقليل خيضر ومزغنة.

وفي تلك الأثناء رفعنا نشيد «فداء الجزائر» ونشيد «من جبالنا» وأرتكب خصومنا خطأ حين تجمعوا في زاوية وشرعوا في ترتيل نشيد لهم، وكانوا في عزلة تامة عن الحاضرين البالغ عددهم مائتين وخمسين شخصا وساعد انعزالهم رجال أمننا في أداء مهمتهم حيث تمكنوا من تطويقهم ودحرجهم إلى الخارج.

وأصبحت إعادة تنظيم الحزب ضرورة ملحة ومستعجلة نظرا لما لحق الحزب من أضرار وشرعنا في إعادة تشكيل الفروع. وبدأنا العمل في مدينة باريس وضواحيها في المرحلة الأولى. وتوصلنا في سياق إعادة التنظيم إلى عقد 5 اجتماعات في اليوم الواحد لإجبار أعدائنا على توزيع رجالهم بين الدوائر الباريسية رقم: 13 و15 و18 وضاحيتي «لوفلوا» و«بيتر» (Puteaux, Levallois).

وفي كل اجتماع من اجتماعاتنا كان يتناول الكلمة مناضل من الفرع وطالب، وكان أغلب المناضلين من منطقة القبائل الذين وضعوا حدا لمغامرة أنصار الزعة البربرية كما هم ينتمون إلى الدوائر رقم: 3 و4 و5 و14 و19 و20 بالإضافة إلى المناضلين المقيمين في ضاحية كولومب (Colombes).

وأما الفروع التي كانت تناصرنا فتوجد في الدوائر رقم: 3 و4 و5 و6 و19 وكانت جميعها في حالة استعداد للتدخل عند الحاجة. وفي الأقاليم الفرنسية الأخرى، لم تجد حركة المنشقين مساندة في مدينة ليون (Lyon) ومقاطعة الأكراس (L'Alsace) ومنطقة الشمال.

وقررنا أيضا استرجاع عتاد وجريدة «النجم الجزائري» وكان العتاد يوجد بمحل في شارع بيسو (Bisson) وتوجهت رفقة شوقي مصطفى إلى المحل وفتح شوقي وأخذنا عتاد الطباعة والورق وطاقات الاتخراط في الحزب ونقلنا الكل على متن سيارات الأجرة ووضعناه عند مناضل تونسي من حزب الدستور الجديد السيد الطاهر فيشة الذي كان مقيما بشارع هافر كوصارتان (Havre-Caumartin).

وأما فيما يتعلق بالنجم الجزائري جريدة الفيدرالية وكبلها السيد مولاي من قرية راضية وهو مناضل قديم انتقل إلى خصوصنا بعد ما ألوه ضننا.

وقد قصصني يوما وطلب مني أن أدفع له مبلغ 150.000 فرنك الذي كان يطالبه به صاحب المطبعة فأجبت «إذا احتفظتم بالجريدة فعليكم أن تدفعوا دينها وإذا سلمتموها لنا فإننا ندفع ما عليها من دين فرفض الاقتراح الأخير وتوقفت الجريدة عن الصدور وأصدرنا الأوامر إلى المناضلين لهجمدوا الأموال التي بحوزتهم فأصبح مجلس الإدارة والجريدة ذاتها في وضع خائق.

وفي إطار إعادة تنظيم الحزب حصلنا على مقر جديد لصالح حزب الشعب - حركة الانتصار، والمقر عبارة عن عمارة توجد بشارع (خزافيه بريفاس) (Xavier Privas) رقم: 22 بحي الطلبة شارع سان ميشال، وقد باعه لنا صاحبه المناضل حسين آشور بمبلغ قدره 650.000 فرنك دفعناه بالكامل بفضل ما حصلناه من مال من عملية الاكتتاب الذي قمنا بها لدى الجزائريين. وكانت العمارة تتضمن أربعة طوابق، وجعلنا من الطابق السفلي مطبخا يترده عليه العمال والطلبة وكان من بين الطلبة من لا يقدر على دفع ثمن الوجبة فكنا نقدمها لهم مجاناً لسد رمقتهم وكان من الطلبة من يعمل ليلاً في سوق الخضار والفواكه مقابل 500 فرنك لليلة الواحدة ويقتصر عملهم على شحن وتفريغ الصناديق لأن السلطات الفرنسية لم تقدم لهم في ذلك العهد أية إعانة.

وبعد وصول أمحمد يزيد وموسى بولكرو إلى باريس بعد إطلاق سراحهما من السجن وأخذنا بزمام الأمور في الفيدرالية لم يعد الطلبة يتجهون من الحزب ولم يعد المثقف يصف العامل بأنه «راعي»

ولم يعد العامل بدوره يصف المثقف بالمتخاذل. وزالت الفكرة التي يعتد على أساسها كل منهما أنه الوحيد الكفيل بتحرير البلاد دون مساعدة الآخر وحلت محل هذا الاعتقاد وحدة العمل بين الاثنين مما زاد الكفاح قوة.

وكان الرهان على فيدرالية فرنسا في إطار النضال من أجل استقلال الوطن رهانا أساسيا، ولا ننسى أن الحركة الوطنية التحريرية نشأت بالفيدرالية وأن أنصار النزعة البرية حاولوا من منطقتها تأسيس قاعدة ينطلقون منها للاستيلاء على الحزب في الجزائر ولر كذب لهم النجاح لأقبلوا على تحطيم الحزب وقطع الصلة بما يخدم مصالح الاستعمار.

نداء إلى الوحدة:

وقبل أن أختتم كلامي أريد أن أضيف ما يلي:

لكل جزائري الحق في أن يتقنى ويتحدث بلهجته الخاصة عن منطقته ولا يحق لأي كان أن يؤلب جزءا من السكان على الجزء الآخر بزرع الحقد ومحاولة إثارة الهلابة والنزاعات في صفوف شعب واحد وجره إلى حرب بين الإخوة، وكفانا من أوامل وأبتام آخرين ولا يستفيد من مثل هذه الفرقة اليوم كما كان الشأن بالأمس إلا عدونا الذي قد يدفع أي ثمن ليتدخل في بلادنا انتقاما من الهزيمة التي كبدناه إياها بفضل ما ضحى به الجزائريون في فرنسا والجزائر من دماء سخية وقد تصبح جميع مكتسباتنا عرضة للتضياع من جراء ذلك وسيخسر اتساع الفلاري الجدد هم الآخرين المعركة .
وأن كافة الجزائريين يجمعهم ماسم مشترك يمثل في الإسلام وفي لغة القرآن الكريم ويتعين عليهم جميعها أن يتحدوا لمواجهه ح كل العديدة التي تواجههم وأن الاتحاد هو الوحيد الذي قد يمكنهم من المضي قدما في درب التقدم وفقا لما ليتطلع إليه الوطن وشهداؤنا.

مجلد رقم 2

حزب الشعب القبائلي

(P. P. K : Parti Populaire Kabyle)

لقد كانت أرض فرنسا المكان الملائم (وما زالت) لأنصار النزعة البربرية الذين شرعوا في نشاطهم هناك، ففي ربيع 1948 التقى بناي ببوده رئيس منظمة الحزب على المستوى الوطني وتحدث معه عن طالب «تطارده» الشرطة الفرنسية حسب زعمه ويرغب في الالتجاء الى فرنسا قصد متابعة دراسته، وهو في حاجة الى تركبته لدى قيادة الفيدرالية، وهذا الطالب ما هو الا أحمد علي يحيى الذي سوف يكتشف لاحقا بصفته محروضا على النزعة البربرية بفرنسا.

ربحمن نيته وافق بوده على طلب بناي، وبهذه الطريقة فالتحق محمد علي يحيى (المدعو رشيد) بفرنسا حيث أدمج في المنظمة، والمعروف عليه انه يتميز بالنشاط والجسارة، اذ سرعان ما ارتقى مراتب المسؤولية حتى أصبح عضوا في اللجنة القيادية الفيدرالية للحزب الشعب - حركة الانتصار بفرنسا.

وعندما انفجرت أزمة النزعة البربرية في ربيع 1949 توصل الى دفع اللجنة الفيدرالية الى انتخاب لائحة تدين «أسطورة الجرائر العربية الاسلامية».

وأمام هذه المناورات كارت القاعدة ضدكم وأخبرت قيادة الحزب بالجرائر العاصمة للاحتجاج ضد من يصفونهم بالعناصر «الملحدة» التي «تجارب الاسلام والعروبة». وقور ذلك اوقدت القيادة شوقي مصطفى الى باريس وهو عضو في المكتب السياسي وصادق سعيد شخصية من الحزب معروفة بمنطقة القبائل، وفي عين المكان انضم الى المؤيدين من القيادة محمد خيضر نائب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في البرلمان الفرنسي وبقاسم راجف. فاعترض سبيل الأربعة أشخاص من أنصار النزعة البربرية كانوا يحتلون موقع قوة داخل الحزب، فمنعهم من الاتصال بالقاعدة.

وقد برزت نسبة وحداث المنظمة التي انساقت الى طرف «رشيد» بـ 80/ تقريبا، هكذا أصبح التضاد أمرا لا مفر من وقوعه، وفي باريس وضواحيها كانت بعض فروع السواحي والمخاضات مثل «كولومب Colombes» والدائرتين 19 و 20 تعتبر نقاط ارتكاز لدى المجموعة الجديدة لاعادة تشكيل المنظمة المفككة. وأغلبية سكان هذه الجهات مهاجرون من القبائل الصغرى، اما الأقاليم الأخرى بفرنسا فإن المنظمة الجنوبية الشرقية قاومت وصعدت بصفة فعالة أمام ضربات أنصار النزعة البربرية بفضل بشير بومعزة في مدينة ليون وأحمد حدانو المدعو (الكابا) في مدينة مرسيليا.

(*) بن يوسف بن خدة، نفس المرجع السابق ذكره.

وقد اكتسبت المواجهة بهاريس خاصة طابع المشادات العنيفة كالضرب بالأيدي والمشاجرة وفي نهاية الأمر وبعد معركة قاسية استطاع مندوبو قيادة الحزب استرجاع المحلات بفضل هجمات أفواج (Commandos) مغاور من المناضلين تحت إمارة بلقاسم راجف، وقد تمكنوا من الأخذ بزمام الأمور، ولم يتم التوصل الى هذه النتيجة إلا بعد المرور على كل محافظة وضاحية ومدينة الواحدة تلو الأخرى، لإعادة جمع أعضاء الحزب وهيكله الفصائل والقسمات وإعادة تشكيل فيديرالية فرنسا الحزب الشعب - حركة الانتصار - من جديد، وذلك ما تطلب ثمانية عشر شهرا من العمل المتواصل.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة الى نقطتين:

الأولى: الاسهام الإضافي والنهائي والحاسم لحل الحرب الذي قدمه أعضاء، قرع طلبه الحزب أثناء السنة الدراسية 1948-1949 نذكر من بينهم مصطفى الأشرف، عبد المالك بن حبيلس، علي مرداسي، محي الدين حفيظ، صغير مصطفى، محمد بن قشاط، وطالين تونسسين هما: الطاهر ثيقة، ومصطفى العفيف. وإضافة إلى ذلك كان هؤلاء الطلبة المناضلون يشكلون لجنة التحرير «لنجم الجزائري» لسان حال الفيدرالية.

الثانية: إعداد طبيعة الهج السياسي الذي يكون متبعاً، وذلك حسب النتائج المتحصل عليها وحتمية السير الطبيعي للأشياء، وكان ذلك يركز على مفهومين: أولهما: إبطال الأساس العرقي للنزعة البربرية أو «الآرية» بوضوح، دون إعادة النظر في المحتوى الثقافي البربري.

ثانيتها: نداء إلى التضحية الوطني من أجل معارضة هذا المنحى وذلك لتحقيق الانسجام والالتزام بدون غموض أو هوادة. إن بقاء النزاع مثل الذي عساه كان سيؤدي حتما إلى إحداث انكسار داخل الحركة التحريرية الوطنية لفائدة الاستعمار وحده.

ونتيجة لما سبق قررت قيادة الحزب طرد محمد علي يحيى وكل الذين شاركوا في العمل الانتعزالي، وتضامنوا معه، وقررت توقيف جريدة «النجم الجزائري» التي كانت تحت سيطرة رشيد وجماعته.

وبعد استعادة التحكم في فيديرالية فرنسا تأكدت قوة ومقدرة التنظيم لهذه الأخيرة في أول ماي 1950 أثناء تظاهرة جماهيرية جمعت بهاريس أربعين ألف جزائري ومئة ألف في باقي أقاليم فرنسا، وبذلك اكتسحت هذه التظاهرة «الكونفيدرالية العامة للشغل» (CGT) كما أعطت الجزائريين الفرصة السانحة للقيام بمسيرة ضخمة مع رفع علمهم الخاص تحت قيادة حزب الشعب - حركة الانتصار.

كان قادة الحزب الشيوعي بالجزائر العاصمة لا يخفون فرحتهم لما حدث في حزب الشعب، متوهمين بتروع من التسرع أن حزب الشعب - حركة الانتصار يتجه نحو الانفجار. لهذا كان مندوبوهم أثناء المحادثات حول الوحدة مع مندوبي حزب الشعب - حركة الانتصار يظهرون دون مواربة كبرياهم وازدراهم للطرف الآخر.

لقد كانت قيادة الحزب على علم بالأفكار التي نشرها أنصار النزعة البربرية ولم تقدم بعد على اتخاذ أي قرار حتى تمكنت من الحصول على دليل مادي للمؤامرة التي حيكت، وكان ذلك بفضل حصولها على رسالة قد بعثها عمر أوصديق من السجن المدني بالجزائر العاصمة (سركاجي) الى وعلي

بناي وقعت في أيدي قيادة الحزب، مما مكنها من اكتشاف وجود حزب باسم «حزب الشعب القبائلي» (P.P.K.) الذي كان يهيكل داخل حزب الشعب - حركة الانتصار. وقد كشف التحقيق عن منطقي هذا العمل المشتت وهم: وعلي بناي، عمر أوصديق، عمار ولد حمودة، وصادق هجرس، فعوقبوا ليس على أفكارهم المسرح بها إلى حد ما، ولكن على مؤامرتهم التجزئية.

وعقب ذلك كلف كريم بلقاسم بمسؤولية المنظمة في ناحية القبائل الكبرى وأوعمران في القبائل الصغرى، وقد سارع أكثر المبعدين إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعي الجزائري ومنهم الصادق هجرس بينما اكتفى الآخرون بالنشاط في فللك، وبعد الاستقلال أصبح الصادق هجرس أمين عام لحزب الطليعة الاشتراكية (ح.ط.إ. P.A.S.) التسمية الجديدة للحزب الشيوعي الجزائري.

لم يزل نشاط أنصار النزعة البربرية موافقة الجماهير، ففي منطقة القبائل من بين اثنتي عشرة قسمة انظمت إليهم واحدة فقط، وهي عين الحمام (ميشليه سابقا Michelet) معقل ولد حمودة، وبقيت تحت نفوذهم سنة على الأكثر.

والمعروف أن الثقافة البربرية والتحدث بالقبائلية كان مسموحا بهما ولم يطرح أي مشكل داخل الحزب، بدليل أن خطباء نجم شمال إفريقيا أو حزب الشعب الجزائري أو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من أبناء المنطقة كانوا يستعملون اللهجة القبائلية. وهم الذين يمتلكون ناصيتها بفصاحة وكذا الأغاني والأناشيد التي تشبع الحماسة والنشاط داخل اجتماعات الماضلين أو التجمعات الشعبية. ولم يكن أحد يرى في ذلك غرابة. فقد كانت هناك أحوة صادقة تربط بين المناضلين بغض النظر عن جهاتهم وحتى أولئك الذين يجهلون القبائلية كانوا يرغبون في معرفتها ويستمتعون بالكلمات القليلة التي يعرفونها، وكان استعمال اللهجات البربرية مقبول بشرط عدم إعادة النظر في المبدأ العربي الإسلامي الذي هو الدعامة الأيديولوجية للحزب، فالشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري (هذاء الجزائر) الذي كان يشده كل المناضلين كتبه جرائري من بني مبراب ألا وهو مفدي زكريا - شاعر الحرب آنذاك، وهذا لم يمنع من التأكيد على أن الغاية أو معنى الكفاح الوطني هو الاعتراف باللغة العربية كلغة وطنية وروسية في الجزائر المستقلة.

ونفسا يتعلق بعبارتي «الجزائر العربية» و «الجزائر الفرنسية» فإن أنصار النزعة البربرية فضلوا «الجزائر الجزائرية» والتي لا تعني أي شيء، وذلك بقصد إخفاء هدفهم. فهل يدعو الفرنسيون إلى «فرنسا الفرنسية» أو الألمان إلى «ألمانيا الألمانية»؟ فمشعار «الجزائر الجزائرية» لا يمكن فهمه إلا كمحاولة تجريد الأمة الجزائرية من شخصيتها العربية الإسلامية.

إن رد فعل قيادة الحزب بمحاكمة محروسي أنصار النزعة البربرية كان سريعا وقويا ومبررا، إذ أنه لا يعقل أن تسمح أية قيادة لتسبها بوجود مجموعة منظمة داخل حزبها تتناقض وأبداها أيديولوجيا وكان المكشوب السياسي يهدف من وراء اتخاذ تلك الاجراءات إلى تفادي التقسيم الذي كان الاستعمار يستهدفه ويغذيه به. رار في الوقت الذي كان الحزب يكمله مجتدا لتطبيق قرارات زدين: تدعيم المؤسسة الحزبية من حيث «اعتاد والأسلحة، لاتصال بالقادة الثنوسيين والمغاربه وكذا القادة العرب بالقاهرة من أجل مساعدة ملموسة (ماليا وماديا) للكفاح المسلح.

كيف كان موقف حسين آيت أحمد الذي كانت قيادة الحزب تشبیه في كونه الدماغ المفكر والمدير للنزعة البربرية؟ ومن أجل اخمد نواياهم، أوفدت له قيادة الحزب عضوين وهما: أحمد بودو والحاج محمد شرشالي اللذين كنشوا في الموضوع: فرد آيت أحمد بالعبارات التالية: «هذه مؤامرة

مديرة من طرف قيادة الحزب ضد مسؤولي منطقة القبائل» وأمام طلب إتخاذ موقف خاص بمساندة أو الاعتراض على النزعة البربرية، العنصرية ضد التفكير «للتحقيق في القضية» على حد قوله، ثم توجه الى منطقة القبائل، ولما عاد صرح لنفس المستوطنين «ما أخبرقاني به صحيح وعليه فساني أتبرأ من هذه العناصر» (أي ذوي النزعة البربرية).

ورغم هذا الاتكار بقيت الشبهات تلاحقه وكان يومئذ القائد الوطني للمنظمة الخاصة، فقرر المكتب السياسي آنذاك إبعاده عن هذا المنصب الحساس جدا ولكونه أيضا محل متابعة من طرف الشرطة الفرنسية، وحفظا على أمنه بالجزائر، أرسلته قيادة الحزب الى القاهرة، حيث انضم الى مندوبي الحزب الشاذلي المكي ومحمد خيضر.

ولقد أكدت بوضوح أحداث ما بعد الاستقلال فكرة آيت أحمد، وشبهات القيادة تجاهه، وذلك من خلال كتابه «مذكرات مكافح» الذي صدر سنة 1983 حيث يقول فيه: «وفيما يخص الشباب الذين بادروا بطرح مطلب اللغة البربرية والذين وجهوا اليها اللوم بأننا لم نستطع أو بالأحرى لم نعرف كيف نعرض هذه القضية في المؤتمر (مؤتمر حزب الشعب - حركة الانتصار - المنعقد في فيفري 1947) أجيبهم بأننا لم نتوقف قط عن المطالبة بذلك، وهويتنا البربرية رافقت حياتنا، فكنا نعيشها، واذا لم تر - عن خطي بدون شك- وجوب المطالبة صراحة بحق كتابة اللغة البربرية وحق تعليمها، فإن الحزب لم يكن يوسع عمليا ان يمنحها هذا الحق ولو أراد ذلك»

ولو طرحت هذه المسألة للنقاش داخل الحزب في ذلك العهد لاجبر عنها رد فعل عنيف من طرف دعاة العروبة وما أكثرهم وطالما أن التطرف يولد التطرف فإن ذلك كان سيؤدي الى نزاع وخيم العواقب بين المتشددين من الجانبين يزيد في خطورته الفقر الايديولوجي لهؤلاء وتكون النتيجة الضربة القاضية على غرار ما وقع في فرنسا.

ليس ببيبي وبين آيت أحمد أية حزارة شخصية. أعرف جيدا أنه التحق بحزب الشعب الجزائري في سن مبكرة، وكان من رواد بث فكرة الاستقلال والتنظيم بمنطقة القبائل وهما مبدآن عزيزان على الحزب في تلك الأيام العصيبة من ستي 1945-1946. ولم يكن يتردد في التضحية بدراسته والارتقاء في خضم النضال ومشاركة المطردين من طرف الشرطة، والظروف الخطرة التي كانوا يعيشونها في الجبال وفي حدود السرية، وللمحقيقة أن في سلوكه وأفكاره ميلا للاعتزاز بمنطقة القبائل التي هي مستقط رأسه على حساب الجزائر كوطن للجميع، وقد ذهب في كتابه الآنف الذكر الى حد القول: «بعد أفريل 1946 أخذت أشارك في اجتماعات المكتب الوطني للتنظيم بصفتي ممثلا لمنطقة القبائل، وقد كشفت حينها أن من بين 14.000 منحرف في الحزب بالتقريب أكثر من 10.000 من منطقة القبائل فضلا عن المتعاطفين. وأن الحزب ما كان ليعيش ماليا لولا مساعدتنا». ونلاحظ تناقضا صارخا بين هذه الأرقام وأرقام أخرى يذكرها المؤلف في نفس الكتاب، حيث يقدر عدد المناضلين بمنطقة القبائل غداة 8 ماي 1945 بـ 800 مناضل على أحسن تقدير (ص: 36) ملاحظا بنفسه أن هذا العدد «تبخر» تماما في 19 ماي عندما أذنت ساعة العمل الثوري.

ويضيف: «أن أغلب المناضلين الذين تم احصاؤهم كانوا في الواقع متعاطفين بالمعنى الوجداني للكلمة» (ص: 37). فكيف يجزم بعد ذلك أن عددهم في أفريل 1946 «يتجاوز 10 آلاف مناضل في منطقة القبائل فضلا عن متعاطفين» (ص: 67).

لأية معجزة هذه التي جعلت عدد المناضلين يتضاعف في أقل من سنة واحدة (من ماي 1945 الى أفريل 1946) من 800 الى أكثر من عشرة آلاف أي أكثر من عشر مرات؟
وقد طلبت من بوده تدقيقا في هذه المسألة على أن يمنحني بعض التوضيحات فكان جوابه: «كنت رفقة محمد الأمين الدباغين نعتقد - بصفتنا عضوين في المكتب السياسي 1946 و1947 - اجتماعات بمسؤولي المناطق لتسوية المشاكل التي تواجههم وتليفهم توجهات القيادة في نفس الوقت، ولم يكن آيت أحمد ممثلا لناحية القبائل يومئذ. بل كان وعلي بناي، وقد كنت آنذاك مسؤول التنظيم على المستوى الوطني.

وكان عدد المناضلين بهذه الناحية بالتقريب ألفا ومئتي مناضل، بينما كان عدد مناضلي العاصمة وحدها أربعة آلاف مناضل وحتى 1948 ارتقى العدد الإجمالي للمناضلين الى عشرين ألف في كل القطر، لكن ما لبث أن تقلص هذا العدد مرة أخرى في أعقاب القمع الذي سلطته إدارة نيجلان (Naegelen) على الحزب في أفريل من نفس السنة».

ونجد شهادة بوده ما يدعمها في شهادة السعيد عمراني عضو قيادة الحزب سنتي 1944-1945 الذي يقول: «في سنة 1945-1946 كنت مسؤولا عن عمالة وهران بينما كان علي رأس عمالة قسنطينة بلورداد ومنطقة القبائل بناي وجنوب الجزائر الوسطى امحمد بن مهل. وقد كنا لاجتماع شهريا كلجنة تنظيم بحضور عضو من اللجنة المديرية، وكان عملنا يتلخص في تقديم عروض حول مختلف الشاغلات ودراسة الأوضاع المستجدة مع تبليغ توجهات القيادة، ومن بين النقاط التي كنا نتعرض لها دوريا المسائل المالية وتعداد المناضلين». ويؤكد عمراني بخصوص النقطة الأخيرة: «ان العدد الإجمالي للمناضلين بين 1945 و1946 كان يتراوح ما بين 9 و 12 ألفا موزعين كالتالي:

- 4.000 بالعاصمة أي الثلث.

- بمطقة القبائل ما بين 800 و1.200.

- عمالة قسنطينة وتأتي في الطليعة مدينتا سكيكدة وعنابة، وأخيرا جنوب وسط الجزائر. وكان أقل عددا عمالة وهران باستثناء مدينتي وهران ومستغانم.
أما المداخيل المالية فيؤكد عمراني أنها ولم تتجاوز أبدا مليون فرنك (ستيم)، ومصدرها اشتراكات المناضلين والمتعاطفين وهبات بعض الأعضاء المحسنين. وكان المسؤول الدائم بتقاضى شهريا 5.000 فرنك (قديم)».

مشاهدات بين المناضلين وراء قضبان السجن:

وفي السجن أيضا يكتب تاريخ الأحزاب الثورية، حيث كثيرا ما يعتدم الصراع بين مختلف التيارات. فقد كان في سجن تيزي ورو قرابة مائة مناضل يتصدرهم الطاهر المعجزي الناطق باسمهم لدى إدارة السجن، وهو مناضل قديم سبق أن تحمل مسؤولية حزب الشعب - حركة الانتصار بناحية البريرة والأخضرية 1946-1947 ورشح في انتخابات المجلس الجزائري التي جرت في أفريل 1948، وأثناء الحملة الانتخابية تم اعتقاله وحكم عليه بثلاث سنوات سجنًا وعشر سنوات نفيًا، مع غرامة مالية قدرها أربعمئة ألف فرنك (قديم) ولم يفرج عنه الا في 3 أفريل 1951.

كان للعجوزي تأثير على رفاق المحنة وذلك لما كان يتميز به من شخصية قوية وبقطة دائمة وجسوح الى العدل والانصاف. وبحكم منصبه هذا وجد نفسه داخل دوامة المناورات السياسية لدعاة النزعة البربرية المسجونين معه، وهم وعلي بناي وعمارولد حمودة وعمر أوصديق وآيت مدري والسعيد أوبوزار وعلي فرحات والسعيد ساحلي مرشح الحزب عن دائرة عزازقة في انتخابات أفريل 1948. فقد كان هؤلاء يقومون بحملة ارجاف مكشوفة تجاه السجناء عامة، وخاصة المقبوض عليهم في الجبال، وبالأخص منهم جماعة 1945. وكانت الحملة تستهدف ضرب قيادة الحزب اذ كانوا يستغلون أبسط الأسباب لإيغار صدور السجناء عليها والنيل من سمعتها بينهم.

ولم يكن بعضهم يتحرج من الادعاء بأن قيادة الحزب قد تركت المساجين وشأنهم، والترويج لدعاية مسمومة مباحضة للعرب والمسلمين يستمدونها من أدبيات الشيوعية وآراء الدارسين المهتمين بالبربرية، ويعذونها - لسوء الحظ - بهزيمة العرب في فلسطين وما كانوا يرددونه في هذا الصدد: «إن هذا الدين - الاسلام - هو الذي حال بيننا وبين التقدم بالإضافة الى العرب ولغتهم، فهذه الديانة هي سبب مأسائنا، انها ديانة شعوب في طريق الانحطاط».

إن هذه الدعايات الكاذبة استهدفت عامة المساجين، وأكثرهم أميون ومنهم من نجا من مجزرة 8 ماي 1945 ومنهم من كان مطاردا بتهمة محاولة اغتيال شخصيات إدارية، ومن ألقى عليه القبض بمناسبة انتخابات أفريل 1948. ولحسن الحظ فإن هذه الدعاية (المباحضة للعروية والاسلام) لم تؤثر في أغلبية المعتقلين وإن أحدثت شيئا من البلبلة في الأذهان نظرا لسمعة مروجيها ومقدرتهم على الاقتناع، ومرد هذا الفشل الى أن أكثر المعتقلين كانوا مسلمين ملتزمين انحذروا من مناطق يقدر سكانها القرآن الكريم ويحبون اللغة العربية، ومن ثمة لم يتأثروا بهذه الدعاية الكاذبة. والواقع أنه لا فرق بين العروية والاسلام سواء بالجزائر أو في باقي أقطار المغرب على عكس ما هو سائد بالشرق، حيث هناك فرق بين العروية والاسلام لكون العرب في المشرق منهم المسلمون ومنهم المسيحيون.

غير أن حملة التشهير بقيادة الحزب وجدت صداها لدى لسجناء الذين اقتنعوا بسهولة بدعوى إهمال القيادة لهم، وهو ما بحث فيهم الكآبة والغم بالإضافة الى ما كانوا عليه من بؤس وعوز. فبعد وحشية استنطاقات أجهزة الشرطة ومعاناتهم لعذاب جسدي لا يبدو له نهاية، يتطلب منهم جهدا دائما ومستمرًا، كان هؤلاء المساجين المناضلين - أحيانا - يفرقون في دوامة الشك حينما ينظرون الى خطورة التهم المنسوبة اليهم (العديد منهم كانوا عتبهين بعدة جرائم). وعلى ذلك فإنهم ما فتئوا أن أصبحوا ضحية الريبة وعدم الثقة خاصة وهم يجدون أنفسهم وسط المشاجرات المرتبطة بوضعية السجون ونظام السجون.

فنجم عن ذلك جو خائف من الريبة والكراهية والاحقاد بين مجموعة العجوزي التي تمثل الأغلبية ومجموعة النزعة البربرية. هذه الوضعية جعلت السجناء يعيشون تحت الضغط في حالة استنفار دائم، حتى إن الرجل كان ينام وتحت فراشه أية أداة معدنية حادة تمكنه من الدفاع عن نفسه في حالة الاعتداء عليه. ومن الطبيعي أن تتأجج العواطف في مثل هذا الجو المشحون طالما أن المرض كان حقيقيا وعميقا وقد وجدت إدارة السجن الفرصة لاقحام نفسها في الصراع ومحاولة استقلاله.

وهكذا داهم ذات صباح رجال الدرك وشرطة الاستعلامات السجن وأخرجوا المعتقلين من الزنانات وطمحهم على بطونهم بعد فجرهم من ثيابهم ثم أخذوا يمزقون كل ما لديهم من كتب ودمائر ورسائل، يكسرون مواصينهم ويهشرون أمتعتهم المتواضعة، ويخلطون مؤنهم بالمواد غير القابلة للاستهلاك. كان الهدف من هذه العملية التي أشرف عليها المحافظ هاغار (HAGARD) من شرطة الاستعلامات هو إهانة الجميع والتراجع عن بعض الحقوق، كان المعتقلون قد حصلوا عليها بفضل كفاحهم المستمر وألامهم القاسية. وأمام هذه الإهانة لم يجد المعتقلون بدا من الوقوف صفا واحدا في مواجهة إدارة السجن.

وفي خارج السجن وقع حادث مؤسف بين حنفي فرنان مسؤول حزب الشعب - حركة الانتصار في منطقة القبائل المتابع من طرف الشرطة، وعلى فرحات المعروف بمبولة البربرية، وهو مناضل قديم بنجم شمال إفريقيا، وهو من تيزي راشد، أعيد إلى الحزب بعد أن فصل منه في السابق، وكان يتميز بمجرفته وقساوته، وقد استفز ذات يوم سي الحنفي وتجهده بمسدسه فكان مسؤول الحزب أسرع منه فأصابه في كتفه إصابة نقل على إثرها إلى مستشفى تيزي وزو.

هذا الحادث أثار ضجة كبيرة يومئذ لأن إدارة الاحتلال كانت على علم بالتوتر القائم بين الحزب ودعاة النزعة البربرية.

والجدير بالذكر أن الأغلبية الساحقة من مناضلي منطقة القبائل لم تتأثر بهذا العمل الأيديولوجي التخريبي، لأن إشعاع الزوايا ظل قويا بالمنطقة لاسيما أنها كانت من أحسن المنافعين عن الاسلام واللغة العربية ومع ذلك مست الأزمة بعض أعضاء المنظمة السياسية والمنظمة الخاصة.

العروبة و الاسلام:

نحاول الآن تقديم بعض التوضيحات حول مفهوم حوهرى ألا وهو مفهوم العروبة الذي هو مفهوم ثقافي أساسا، فهو لا ينحصر في سكان الجزيرة وحدهم، إذ أنه لا يقوم على العرق أو اللون، ذلك أن هناك شعوبا سراء مثل الشعب السوداني تعلن انتماءها للعروبة، حيث أن السودان عضو في جامعة الدول العربية. فالعرب يشعرون بالانتماء إلى ثقافة واحدة شأن الأنجلوسكسون (بريطانيا، أمريكا الشمالية) أو اللاتينية (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا، لبرتغال، أمريكا الوسطى والجنوبية) الذين يشعرون أن تيارا ثقافيا مشتركا يربط بينهم.

لاشك أن شمال إفريقيا قبل مجيء العرب كانت عامرة بالأهالي الذين قاوموا غزاة كثيرين، ومازال التاريخ يذكر الكفاح المتواصل والحروب التي خاضوها ضد الرومان، وذلك تحت إمارة ملوك، نذكر على سبيل الشهرة ماسينيسا ويوغرطا، وقد كان الاحتلال الفرنسي أشبه ما يكون بالاحتلال الروماني، ولا أدل على ذلك من كونه اتخذ مرجعا له.

والملاحظ أن الجزائريين والفرنسيين لم يكوّنوا مجتمعا متدمجا، بل ظلوا يكوّنون مجموعتين متميزتين في تعايش طيلة أزيد من قرن وربع قرن دون أن يحدث بينهم تواصل واندماج، وكانت العلاقة بينهما علاقة غالب ومغلوب، مسيطر ومسيطر عليه، قايما مثلما كان الأمر في العهد الروماني، أي على طرفي نقيض لعلاقات التواصل التي يدعو إليها الاسلام في إطار رؤية جديدة قائمة على المساواة المطلقة والتضامن والأخوة بين الناس وبين الشعوب، وبفضل الدين الاسلامي

الحنيف انصهر العرب والبربر في بوتقة واحدة انصهارا عميقا وخصبا لم يسبق له مثيل، ومد تيسر ذلك بفضل تعاليم الاسلام العامة لكافة الناس جنسا ومكانا ورمانا. ورسالته الداعية الى الحرية والعدل، وكذا انتشار اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي أصبحت لغة الحضارة الاسلامية بدون منازع. وإذا كان الجزائري يريد أن يتعرف على الفترة الزاهرة من تاريخه فقد كان يتعين عليه أن يبذل جهدا فرديا ومضنيا في البحث والتقصي من أجل الاطلاع على مؤلفات بعض المؤرخين الفرنسيين القلائل الذين كانت تتوفر فيهم صفة النزاهة والموضوعية. ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد وجود المدرسة الفرنسية للناطقين بالقبايلية والناطقين بالعربية، وكذلك بعض المؤرخين الاستعماريين الذين كانوا يعتبرون البربري «آخر همجي أبهى» ويتحدثون بكل بساطة عن «الثوابت» البربرية المتمثلة في الانقسام والتقهقر. لقد تعرض المغرب العربي كله الى سلب شخصيته حيث حاولت الكنيسة تنصير المسلمين، ففي المغرب الأقصى كان إصدار الظهير البربري سنة 1931 يستهدف إقصاء التشريع الإسلامي عن سكان جبال الأطلس، كما قامت الدبلوماسية الفرنسية من جهتها بعزل المغرب والجزائر خاصة عن العالم العربي الإسلامي، وكانت الفرنسية هي اللغة الرسمية. ولم تكن الجزائر في نظر فرنسا سوى بلد لا تاريخ له ولا ثقافة ولا تقاليد، وسكانها عبارة عن فسيفساء من مجموعات عرقية متخلفة ومتمردة ليس أمامها غير اختيار واحد هو إما الوقوع في أحضان فرنسا وإما الفناء.

ولاشك أن هناك فرقا لغويا بين الناطقين بالعربية والناطقين بالبربرية لكن هذا الفرق دأبت سياسة الاستعمار على تضييقه.

وفي هذا السباق تتجلى النزعة البربرية كمشكلة مفتعلة اختلقها الاستعمار منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر. إن المشكلة لم يسبق أن طرحت من قبل، وقد لفقها من أجل تقسيم وحدة الشعب الجزائري «لحرق تسد». وأثناء الحرب التحريرية ومع وصول الجنرال ديغول الى الحكم في فرنسا، كان أول اجراء اتخذه هو اللجوء الى تطبيق سياسة التفرقة. وفي 19 سبتمبر 1959 أعلن عن فكرته الخاصة بمبدأ تقرير المصير.

سبدا تقويو المصير

إن نضال شعبنا البطولي بعد خمس سنين من حرب ضروس والضغط الدولي ألزما ديغول باقتراح اجراءات ملموسة لحل القضية الجزائرية التي أصبحت تكلف فرنسا أكثر فأكثر وتهدها في صميم وحدتها الوطنية، لكن كيف؟ أعن طريق تقرير المصير، بتنظيم استفتاء على ثلاثة اختيارات: اما الاستقلال، واما المشاركة مع فرنسا، واما الفرسة (Francisation).

رفض ديغول الاستقلال والفرنسة واختار المشاركة بهيئت تكون «حكومة الجزائريين من الجزائريين واتحاد وثيق معها (أي فرنسا) فيما يتعلق بالاقتصاد والتعليم والدفاع والعلاقات الخارجية»؛ أي الحكم الذاتي الذي يعني السيادة المحدودة، وما أن هذه (السيادة) لا يكتفي بها ديغول فلقد عمد الى تجزئة الأمة لاضعافها. يتصور ديغول مناطق ذات حكم ذاتي على أساس مجموعات عرقية مبنية على نظام فيديرالي. كما يقول ديغول: «نجد هذه المجموعات المختلفة الفرنسية والعربية

والقبائلية والمزابية الخ، التي تتعايش في هذا البلد، ضمانات تتعلق بحياتها الخاصة وإطارا للشعوان
فيسا بينها». ذلك هو النظام الفيدرالي الذي هو امتداد للقانون الأساسي لـ لانيبيل (Lanuel)،
1958، الذي يهدف في الواقع الى تجهئة الجزائر.

وأجهت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المفوضة آنذاك باسم جبهة التحرير هذا المفهوم
التجزئي بمفهوم الأمة الجزائرية المكونة من شعب واحد منذ عصور عديدة، ذي تاريخ واحد وثقافة
عربية اسلامية أعطت الجزائر وجهها الحقيقي وشخصيتها القوية في كفاحها ضد الاستعمار. وإلى
جانب هذا الشعب توجد أقلية مسيطرة، ألا وهي الأقلية الأوروبية حيث اتخذها ديفول ذريعة لابقاء
امتيازات المعمرين. ولا بد أن يجد هذا المشكل حلا في إطار دولة جزائرية موحدة.

وقد تجلّى دور الإسلام هنا بوضوح إذ هو الذي شكل الهوية الثقافية للجزائر، كما تجلّى
بصورة أكيدة دوره الأساسي في تخطيط الحواجز العرقية والاجتماعية بين الأفراد، وكان المصدر
الأساسي للوعي الوطني وتطوره لدى المواطنين.

لقد نادى دعاة النزعة البربرية (البربريست) بعد الاستقلال علانية بالاعتراف بالعربية
والبربرية كلغات وطنية رسمية. وفي الحقيقة فإنه لا توجد لغة بربرية واحدة وإنما لهجات بربرية
تتضمن نسبة عالية من الكلمات ذات الأصل العربي فهناك اللهجة القبائلية المستعملة في منطقة
القبائل الصغرى والقبائل الكبرى مع بعض الاختلاف، وهناك الشاوية (الأوراس) والشنوية والتارقية
(الهقار) والمزابية وهلم جرا. فأيا منها نختار؟ وكيف نبرر اقضاء اللهجات الأخرى إذا أردنا أن نرسم
أحداها؟ إن هذا لم يفت متخصصي وخبراء اللهجات البربرية ولذلك فهم يقترحون لغة واحدة هي
"تامشقت" التي مازال الثوار يتكلمونها في الهقار ويستعملون حروف "التيفناغ" لكتابتها. هذه
الحروف التي يحاول هؤلاء المتخصصون احياها من جديد. ويحاول علماء اللغة والمسانبات الفرنسيين
أن يثبتوا ويجددوا هذه اللغة على مستوى المفردات والنحو والصرف واخراجها من طي النسيان كخدمة
القضية. «فالأكاديمية البربرية» في باريس تبث دروس البربرية في أوساط المختبريين الجزائريين في
فرنسا. وكذلك «معهد اللغات الشرقية» في باريس ومعاهد أخرى. أما اللهجة العربية الدارجة فهي
تنحدر من العربية الفصحى التي بعد أن كانت لغة الحضارة الاسلامية فقد ضعف استعمالها لدى
العامة عبر قرون الانحطاط والظلامية، وأدخلت إبان الاستعمار كلمات الى الدارجة من أصل فرنسي
واسباني وإيطالي. وأصبحت هي لغة التواصل بين العامة مع اختلافها من ناحية الى أخرى. وقد
ذهبت الدولة الاستعمارية الى حد تعليمها في المدارس الثانوية كبديل للعربية الفصحى وذلك
لتمكين الأوروبيين الذين يرغبون في دراستها للمتاجرة مع أهل البلد الأصليين (Indigènes). وقد
كانت العربية (سواء العامية أو اللغة الفصحى) تعتبر لغة ثانية بعد الفرنسية التي كانت الوحيدة
حيث تعتبرها من اللغات الحية بينما تعتبر العربية الفصحى لغة ميتة على غرار اللاتينية واليونانية
القديمة. هذه الدارجة الفقيرة والهجيئة العاجزة عن نقل حضارة عظيمة (مثلها مثل البربرية الموسومة
بالأمازيغية) هي التي يقترحها اليوم دعاة النزعة البربرية كلغة وطنية. ومع العربية العامية فإن
العرب المثقفين لن يستطيعوا لا قراءة ولا فهم تراثهم الثقافي. وسينقطعون نهائيا عن الشعوب
الاسلامية الأخرى التي تحتاج، من أجل دوافعها الدينية الى تعلم لغة القرآن، وبفضل القرآن الكريم

انتشرت اللغة العربية بأفريقيا الشمالية وأصبحت على مر الأيام لغة كافة أقطار المغرب الذي أضحي منذ الفتح الاسلامي جزءا لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي.

لقد عرفت منطقة المغرب العديد من النزاعات بين العروش والأسر المالكة وبين العشائر والقبائل، لكن هذه النزاعات لم تشكل بأي شكل من الأشكال لا في الاسلام ولا في العروبة كمبادئ أساسية لا صعيد عنها.

وكان كفاح الجزائر للظاهرة الاستعمارية في التاريخ المعاصر جزءا لا يتجزأ من كفاح البلاد العربية بالشرق. فهذه البلدان التي كنا نحس ونتأثر من أعماقنا بكل ما يجري بها من أحداث، فحزب الشعب - حركة الانتصار كان يتابع باهتمام بالغ التطورات السياسية في هذه الأقطار لاسيما المناقشات الكبرى التي كانت تجري في رحاب الجامعة العربية. فقد ندد بتقسيم فلسطين منذ الإعلان عنه سنة 1947 ولم يكن هناك جزائري أبي لا تهتز مشاعره عند استماعه لأناشيد البلاد العربية، والمعروف أن فرنسا دأبت منذ احتلال الجزائر وبصفة منتظمة على تطبيق سياسة مسح شيعية للشخصية الجزائرية، وذلك حيث حاولت بواسطتها هدم الاسلام باعتباره الركيزة الأساسية للمجتمع الجزائري، فوظفت لتحقيق هذا المشروع الضخم تاريخ البلاد والشعب وجعلت المؤرخين الاستعماريين يهجون لرد الاعتبار الى الماضي اللاتيني (ما قبل الاسلام) للمنطقة، يتمجيد عصر الكنيسة الذي استغرق عدة قرون كاملة متجاهلين تماما أهمية إسهام الحضارة الاسلامية، وبأسلوب التزييف والتعتيم هذا أصبح التاريخ من أدوات الاستعمار الثقافي بالجزائر، فكثيرا ما يرد ذكر مرحلة ما قبل الاسلام للتنويه بالحضارة العربية للكهنة لا لشيء إلا لأنها قاومت الفتح الإسلامي، ولا يغفل هؤلاء المؤرخون بتشبيه العهد الاسلامي «بالعهد المظلم لمنطقة المغرب، بسبب النزاع الأبدي بين العرب والبربر». وهذه الأكاذيب الصارخة، ولسوء الحظ فعلت فعلها في نفوس وعقول بعض مثقفينا بالفرنسية.

إن هيمنة الايديولوجية الاستعمارية على التاريخ أدت الى تشويه العهد العربي الاسلامي لشمال افريقيا تشويها مستمرا، والتكرار لخصومة تراث الحضاري، بل تجاهل شخصيات بارزة مثل طارق بن زياد الذي فتح الاندلس، وبالتالي أوروبا للحضارة الاسلامية. وذهب التاريخ الاستعماري الى حد فرض مؤامرات صمت حقيقية على الممالك الكبرى كدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين ودولة الموحدين في عهد المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، ويرجع السبب في ذلك الى كون هذه السدول العظيمة والعديدة بتلك الرموز الشامخة، كانت تمثل العصر الذهبي للمغرب الذي يشكل مع الاندلس دولة واحدة مزدهرة وقوية حيث كان يشع نور العلم والمعرفة والثقافة كأقوى ما يكون الاضواء.

والواقع أننا لا نملك إلا استحسان كل ما يتعلق بشمال افريقيا وماضيها التاريخي الخافل بالانتصارات والآثار والمعالم الشهيرة المتناثرة عبر المنطقة والتي تشكل مغاخر مكانها. لكن عندما يسخر هذا الماضي التاريخي لتشويه الوجه الحقيقي لشمال افريقيا ومحاولة توجيبه وجهة مناقصة لشخصيته وهويته الثقافية أي جعله يتنكر لعقيدته الإسلامية وعرويته لصالح الهوية اللاتينية التي ما انفكت تترصده، وهذا دفعه الى إدماج جديد، وتنكر لتراثه المشترك لصالح قيم ثقافية مستوردة. إننا نقف بثبات ضد هذا المسمى لأن مثل هذه السيارات تدفع به حتما نحو اللبنة.

ويمكن القول إن الأحداث التي تميز بها تاريخ الجزائر منذ أزمة النزعة البربرية قد أكدت صواب موقف قيادة حزب الشعب - حركة الانتصار. فالإسلام كان أهم دافع لحرب الاستقلال التي استغرقت سبع سنوات ونصف سنة، وكان العرب خلالها أحسن حلفائنا، وقد استعادت اللغة العربية مكانتها الطبيعية في الجزائر المستقلة. إن الإسلام دين عالمي يستوعب الثقافات واللغات التي تتميز بها الشعوب المختلفة التي تكون الأمة الإسلامية، لا يمكن أن يقبل دعوات تطلق - مثل الدعوة البربرية - من رؤية جهوية متعصبة ومفرقة وقصيرة النظر، ورؤية تختلف اختلافا جذريا عن روح التسامح التي تتنازعها العقيدة الإسلامية، هذه العقيدة التي تبدو أكثر ما تكون أصالة عندما تسمو لتحتوي اللغات والأجناس والأمم المختلفة. فاللهجات البربرية المستعملة في بعض مناطق الجزائر يمكن أن تدرس أو تكون موضوع أبحاث علمية على مستوى التعليم العالي، والحالة هذه أليس من الأنسب أن نكتب بالحرف العربي عوض الحرف اللاتيني باعتباره عامل تقارب روحي ووطني؟

إن المغرب بكامله - مثل باقي أنحاء العالم الثالث - مازال يزرع تحت نير الغزو العسكري الغربي في أخبث أشكاله الثقافية ووسائله التكنولوجية الهائلة الأكثر تطورا، فلنعرف كيف نصون وننمي هويتنا الثقافية في ظل الوحدة، حتى نتمكن من مواجهة التحديات العديدة والضخمة التي نواجهها.

ملحق رقم 3

اطروحات منظرية و محرضي و مؤسسي وأحزاب الحركة البربرية في عهد الاستقلال (من خلال النصوص والوثائق)

مجموعة من الوثائق الصادرة عن الأكاديمية البربرية (في باريس) التي أنشأتها فرنسا سنة 1967 بعد استقلال الجزائر. لخلق التيار المعارض للتعريب، ودعمه بالدعوة الى تعلم اللغة البربرية وإذكاء النعرات الطائفية والعرقية بين أفراد المجتمع الجزائري. وتحتوي هذه المجموعة على خمسة وثائق (+ منشور سري عن الحركة البربرية). نلخص ترجمتها في الآتي:

الوثيقة رقم: (1):

« .. إنه لمن المؤسف - حقا - أن اللغة البربرية مهددة من جميع النواحي (الكلام موجه من الأكاديمية البربرية الى بعض أفراد المجتمع الجزائري) تارة بسياسة التعريب التي تهدف الى استئصال البربرية من جذورها.. وتارة بإهصال البربر أنفسهم للغتهم.

إنه على الرغم من الغزوات اللغوية المتتالية، التي استهدفت بلاد (الجزائر) من (الفينيقيين ووندال، بنزنطينيين، وعرب، وإسبان، وأتراك، وفرنسيين) فإن اللغة البربرية ما انفكت تقاوم من أجل البقاء في هذه الأثناء، بدليل أنها ما تزال تتحدث بين 45٪ من سكان الجزائر (*) و60٪ من سكان المغرب و1٪ في تونس و30٪ في ليبيا.

ولقد واكبت، ونقلت اللغة البربرية إحدى أقدم الحضارات في العالم، وها أنتم اليوم ترون الحالة التي هي عليها، فلا داعي الى أن نحدثكم عنها، فتعليمها منعدم تماما في الابتدائي والثانوي، وفي جامعة الجزائر تدرس - مع الأسف - على نحو شبيه بطرق التدريس في الزوايا، فضلا عن أن الطلبة في آخر السنة الدراسية لا يجتازون الامتحان لنيل أية شهادة في اللغة البربرية، وذلك خلافا لموسكو، وفيلادلفيا، ولندن، وباريس، حيث تدرس اللغة البربرية ويمكن للطلبة أن يجتازوا الامتحان ويحصلوا بمقتضى نجاحهم على شهادة في اللغة البربرية، وهو ما يجعلنا نطرح التساؤل، هل يجب على البربري أن يذهب الى روسيا، أو أمريكا ليحصل على شهادة في اللغة البربرية؟

إن تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس الآن، كله تزيف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة اسمها العروية، وبالنسبة لنا جميعا (لسان حال الأكاديمية البربرية) هي مسألة شرف وكرامة.

وعليه فإن الأكاديمية تطبع نشرة شهرية تتناول فيها مسائل النحو، والتاريخ، والحضارة البربرية تتخذها كوسيلة موجهة للتحرر الثقافي للشعب الجزائري.

الإشتراك السنوي في هذه المطبوعات يعادل قيمة (14) ديناراً جزائرياً، بالعملة الفرنسية. إننا نعتمد على تفهمكم، ومساهماتكم لتحقيق هذا الهدف، حتى نتسكن من أن نحفظ للبربر بتراثهم الثقافي.

لها اللغة البربرية.

الأكاديمية البربرية، باريس في 1973/01/25.

(*) هذا رقم مبالغ فيه جدا، والرقم القريب من الواقع بالنسبة للجزائر هو يتراوح ما بين 12 و18٪ على أكثر تقدير.

الوثيقة رقم (2) منشور سري:

أيها البربر استيقظوا!

أفيقوا من نومكم العميق الذي ظلمتم تغطون فيه لقرون عديدة، دون أن تشعروا بأن هناك من يحرص بكم. لقتلكم شر قتل، دون أن تأخذوا بحياتكم.

إنهم يحاولون أن يفصلوا عنكم أبناءكم، وإذا لم تشدركوا هذا الأمر (أي التعريب) (*) فإنه سيتذكرون لكم (أي أبناءكم) (*) بعد وقت ليس ببعيد، بل يصيرون أعداءكم.

حان الوقت لكي تفتحوا أعينكم قبل أن تفوتكم الفرصة (أي قبل تحقيق التعريب) (*) ولا تنفعكم السدانة حينئذ.

من جهة أخرى، انهم يبنون (أي العرب) (*) تاريخكم دون أن تبالوا، ودون أن تدركوا أن الشعب الذي يضيع ماضيه لا مستقبل له تحت الشمس، ويخدرونكم دون أن تبدوا أية مقاومة، فأوشكتكم أن تضيعوا روحكم.

تفرض عليكم عقائد، ومبادئ تتعارض مع تقاليدكم وحضارتكم العريقة.

يحاولون أن يطفئوا نوركم، ويحقنوكم بمقار يتلفكم، لأنه سيحولكم إلى أناس لا ذاكرة لهم، ولا انتماء ولا ارتباط.

أليس الكثير منكم أصبح الآن لا يتلفت إلى الوراء، إلى ماضيهم الذي يستحيون منه وكأنه ليس من دواعي الفخر والإعتزاز أن يكون الفرد بربريا...!

لقد أرقنا دماخنا (الضمير عائد على دعاة البربرية) (*) كثيرا من أجل قضائها لا تخفنا. كفى؟ لقد ظلمنا مجرد مرتزقة في خدمة مختلف الأقوام الذين احتلوا أرضنا (يقصد هنا العرب وهو بيت القصيد) (*) لقد غزونا إيطاليا لحساب أمجاد جنبل، وفتحنا إسبانيا وجنوب فرنسا لحساب العرب الذين ما تزال نشيد بهم. يجب علينا (الضمير عائد على دعاة البربرية المعادين للتعريب) (*) أن نضع حدا لهذا اللبس (أي عدم التفريق بين العرب والبربر في الجزائر) (*).

إننا لسنا عربا ولا حتى ساميون.

قاوموا، عارضوا، قبل فوات الأوان! ذلك أن اليوم الذي يمر، يقرينا - أكثر - من الاضمحلال والروال.

الأكاديمية البربرية (1973)

(*) أن لكلام المدرج بين قوسين في النص هو من تعليق المؤلف وليس موجودا في النص الأصلي المرسل باللغة العربية من باريس إلى بعض الجزائريين داخل الوطن.

BERBERES, MES FRERES !

De tout temps, nous avons donné notre sang en abondance, et pour des causes qui n'étaient pas les nôtres. Ce faisant, nous n'avons été que des mercenaires au service de nos divers occupants . Nous avons en effet envahi l'Italie ... pour la gloire d'Hannibal. Nous avons également conquis l'Espagne et le Midi de la France ... pour le compte des Arabes avec lesquels on continue à nous confondre .

Cette confusion doit cesser .

Nous ne sommes pas des Arabes, ni même des sémites .

Réagissons ! Réagissons donc pendant qu'il est encore temps ! Car, chaque jour qui passe nous rapproche du néant où l'on veut nous engloutir .

**VIVRE , SANS HONNEUR ETAIT
CHOSE IMPENSABLE POUR NOS AIEUX .
MONTRONS-NOUS DIGNES D'EUX , ET NOUS
SERONS SAUVES.**

AGRAW IMAZIGHENE, 5, Rue d'Uzès 75002 PARIS tel: 236.08.49

BERBERES, REVEILLEZ-VOUS !

Sortez de ce long sommeil où vous vous êtes plongés depuis de longs siècles. Du reste, ne vous rendez-vous pas compte que l'on est en train de vous tuer brutalement, sans même prendre la précaution de vous insensibiliser ? Et vos enfants qu'on s'active à séparer de vous et de tout ce que vous représentez ! Si vous ne réagissez pas maintenant, vous ne vous reconnaîtrez plus bientôt en eux . Ils deviendront même vos ennemis. Aussi, est-il temps que vous ouvriez les yeux, car demain il sera trop tard .

Par ailleurs, on falsifie votre histoire et vous restez passifs, ignorant qu'un peuple séparé de son passé n'a plus d'avenir propre . On vous drogue à cet effet, et vous vous laissez faire au risque de perdre votre âme, si noble et si ardente. On vous impose des doctrines, des principes qui jurent avec vos traditions et votre civilisation plusieurs fois millénaires. On cherche à éteindre votre lumière intérieure et on injecte dans votre organisme, pourtant si solide, un sérum qui vous perdra, parce qu'il donnera naissance à un autre être que vous, un être sans mémoire et sans attaches. Beaucoup d'entre vous, ne commencent - ils pas déjà à ne plus regarder derrière eux, à tourner le dos à leur passé dont ils ont honte ? Comme si ne pas être BERBERE constitue une promotion ?

الوثيقة رقم: (3):

أبجدية البربرية (*)

وإذا كان العرب يدينون (في وضع حروفهم الهجائية) (*) بالفضل للأراميين، والأوروبيين يدينون للفينيقيين.. فإن البربر لا يدينون لأحد، في وضع الحروف الهجائية للغة.. أي أنهم قد اخترعوا - إذن - هذه الحروف التي ترجع إلى عهد ضارب في القدم (3000 سنة) والتي حافظ لها عليها إخواننا التوارق في الصحراء..»

الوثيقة رقم: (4):

«الكثير من الناس يعرفون أن العرب أتوا إلى بلادنا في القرن السادس الميلادي، حيث نعرف أن بلادنا كانت دولة قوية... (هذا غير صحيح، فقد كانت البلاد مستعمرة بيزنطية) (*) ونستطيع أن نتساءل، هل كان أسلافنا لا يحسبون بلغتهم؟ (أن الحساب الآن في لهجات اللغة البربرية، كله بالعربية، ماعدا منطوق الرقم: 1، 2) (*).

من حسن الحظ أن التوارق، والميزابيين والشلوح.. ما يزالون يحسبون باللغة البربرية، واليكم فيما يلي هذا الترقيم، آملي أن نكون قد لبينا رغبة قرائنا..»

تخليق المؤلف:

الأرقام مثبتة في الوثيقة رقم: (4) مع العلم أنها غير مستعملة، ومجهولة تماما لدى من يدعون أنهم بربر في الجزائر أو في بلاد المغرب العربي كلها (باستثناء التوارق) وهي أعداد تلفظ ولا تكتب، أي لا تستعمل الترقيم البربري إلا في الحديث الشفوي، وإذا أراد أحد أن يرقم شيئا فعليه أن يكتب منطوق العدد كاملا مثلا: إذا أراد كتابة (1129) يكتب: (ألف ومائة وتسعة وعشرون بالحروف البربرية) (II)

* ملاحظة:

كل الكلام الوارد في النص بين قوسين (...) هو من إضافة المؤلف كتخليق على مضمون النص. أما الحروف الواردة في الوثيقة (3) فلقد تم نقلها بالآلة، لأنها تكتب باليد فقط، وهي شبيهة إلى حد بعيد بالهيوغليفيه، والصينية

الوثيقة رقم: (5):

وهي عبارة عن مجموعة من الأقوال المنسوبة إلى بعض الكتاب والباحثين والمؤرخين الفرنسيين.

«إن جيل فرنسا لماضي شمال إفريقيا، أمر سيذهل أحفادنا».
لويس، بيرتران (من الأكاديمية الفرنسية)

«هل تعرفون أن من بين الـ 600.000 جزائري الذين يعملون في فرنسا،
حوالي 400.000 منهم لا يتكلم اللغة العربية
وبالتالي فهم ليسوا عربا، بل "قبائل" (أوبر)؟»

«يجب الأخذ في الاعتبار، الوضع الذي
خلفته فرنسا نفسها، والذي نطن بموجبه أن
الجزائريين عرب... والحقيقة أن نسبة العرب
في الجزائر لا تتجاوز 3 أو 4٪، وأن
الجزائريين هم في الواقع بربر أو (قبائل)».

ج. ل. دي شومان
(تاريخ جبهة التحرير الوطني، ص: 21).

«يبدو لدى الكثير أن شمال إفريقيا ما هو
في الحقيقة إلا امتداد أو فرع من الجزيرة
العربية، ولا يهمهم إذا كان في جزئه الأكبر،
يقع غرب خط الزوال لباريس، لماذا؟ من أجل
الإسلام؟ ألم تأت المسيحية من المشرق
أيضا؟ لماذا لا نعتبر أيضا الفرنسيين
والإنجليز مشاركة؟»

حسين مرقسي
(نظرة عامة من التاريخ البربري، ص: 19).

«عموما يجهل الناس أن سكان تونس
والجزائر والمغرب هم تقريبا كلهم بربر، إلا
أننا نصفهم بكل وقاحة عرب!!»
أ. جوليان
(تاريخ شمال إفريقيا) (ص: 10)

«إن سيطرة الدين الإسلامي واللغة
العربية التي هي وسيلة نقله، جعلت
الأوروبيين يظنون، وخاصة بعد دخولهم
الجزائر، إن شمال إفريقيا يقطنها العرب
لوحدهم.. ولكن في الأخير اتضح أن شمال
إفريقيا، هي بربرية حقيقية، حيث فئة
ضئيلة عربية تهيمن على أغلبية محلية لم
تتغير كثيرا»

أوجان كبروني
(البربرية والإسلام في فرنسا)

**" L' IGNORANCE FRANCAISE DU PASSE
DE L' AFRIQUE DU NORD
EST UNE CHOSE QUI STUPEFIERA
NOS DESCENDANTS "**

LOUIS BERTRAND, de l'Académie Française

**"Savez-vous que, sur les 600.000 Algériens qui
travaillent en France, 400.000 environ ne parlent
pas l'arabe et ne sont donc pas des Arabes,
mais des Kabyles (ou Berbères)? "**

" Aujourd'hui on ignore généralement
que la population de la Tunisie, de
l'Algérie et du Maroc est presque ex-
clusivement formée de Berbères que
l'on qualifie audacieusement d'arabes. "

G.-A. Julien

Histoire de l'Afrique du Nord page 10.

" La prédominance de la religion
musulmane et de la langue arabe
qui lui sert de véhicule, avait fait
croire aux Européens, en particulier
à l'époque de la conquête de
l'Algérie, que l'Afrique du Nord était
exclusivement peuplée d'Arabes .
Mais on a finalement reconnu que
cette Afrique du Nord est
véritablement une Berbérie où une
mince couche arabe repose sur un
substratum autochtone à peine
modifié. "

Eugène Guernier

La Berbérie, l'Islam et la France .

" Il faut tenir compte du fait créé
par la France elle-même, qui
veut que les Algériens soient
Arabes ... alors qu'il n'y a pas
plus de 3 à 4 % d'Arabes en
Algérie ; que les Algériens sont
en réalité des Berbères (ou
Kabyles). "

J.-C. Duchemin

Histoire du F. L. N., page 21.

" Pour bien des esprits, l'Afrique du
Nord n'est qu'un prolongement, une
sorte de tentacule de l'Arabie ; peu
importe qu'elle se situe, dans sa plus
grande partie, à l'ouest du méridien de
Paris. Pourquoi ? A cause de l'Islam ?

Mais le Christianisme, lui aussi, ne
vient-il pas d'Orient, et les Français et
les Anglais sont-ils pour autant des
Orientaux ? "

Hocine Mitougui

Vue Générale de l'Histoire Berbère, page 18.

«انظروا الى البلادن التي فتحها العرب: غابت فيها
الحضارة، وحتى السكان، وحتى الثرى يبدو عليه تغيير
طبيعته»
ابن خلدون (*)

«لقد أعطى البربر لروما أباطرة كانوا في الريادة ضباطا
عظما، وكان لديهم رجال ممتازون: ماسينيسا، أبولي،
بوبا الثاني، القديس أغسطين...»
الجنرال برعمون (بربر وعرب)

«إن عبقرية البربر هي التي وضعت ولأول مرة قاعدة
العقلانية (القديس أغوستين) وهي أول من طالب بحرية
الفكر (ابن رشد)» (*)
(أوجان هيرني)

«إن البربر لا يُقيدون لا عن طريق الخوف، ولا عن طريق
الإحسان»
(سالوسغر - مؤرخ لاتيني)

(*) لم يشر النص الى مصدر هذا لقول «المغرض» المنسوب لابن خلدون (١١)، فهل قاله في المقدمة

أم في التاريخ أم في... ١٢

(*) متى أصبح ابن رشد من أعلام الأكاديمية «البربرية» ١٢

" Voyez tous les pays conquis par les Arabes : la civilisation en a disparu, ainsi que la population ; le sol même paraît avoir changé de nature ."

*Ibn khaldoun
Prélogomènes .*

" C'est le génie des Berbères qui, le premier, a formulé l'axiome du rationalisme (Saint Augustin) et revendiqué la liberté de la pensée (Averroès)."

*E. Guernier
opuscule cité.*

" Les Berbères ont donné à Rome des empereurs qui furent parmi les meilleurs, de grands généraux. Ils ont eu des hommes remarquables : Massinissa, Apulée, Juba II , Saint Augustin..."

*Général Brémont
Berbères et Arabes .*

" Le Berbères ne s'enchaînent ni par la crainte ni par les bienfaits."

*Salluste, historien latin
86-35 avant J.-C.*

" C'est l'épée des Berbères qui a décidé de la victoire à Cannes."

*Tit-Live
59 avant, 17 après J.-C.*

**Communiqué de l'Académie Berbère - Agraw Imazighène
5, rue d' Uzès - PARIS 2e - Tél : 236 - 08 - 49**

الوثيقة رقم: (6):

نداء الى طلبة الثانويات (*) أفريل 1980 - أفريل 1987

إن يوم 20 أفريل 1980 والأحداث الدامية التي اتسم بها تبقى راسخة الى الأبد في ذاكرة كل الجزائريين التقدميين، لأنها تمثل منعطفاً تاريخياً في التاريخ السياسي والثقافي للبلاد.

في الواقع، هذه هي المرة الأولى التي تتجرأ فيها الجماهير الشعبية، بعد انتظار طويل، لتسعى الى تحريرها من نظام تافه يدعي مؤيدوه بأنهم يدافعون عن مصلحة الشعب. ومن خلال خطبهم الديماغوجية لا يتوقفون عن تأكيد عروبة الجزائر. وهذا يمكن دحضه لأنه يستند على أسس تاريخية صحيحة من الناحية الإنثروبولوجية أو اللغوية...

نؤكد لكم أن حركتنا ليست عنصرية ولا انعزالية.
أيها الأخوة الطلاب والطالبات، سواء المعربون منكم أو البربروفون Berberophones لا يجب أن تنخدعوا بمن يدعون أننا عنصريون أن انعزاليون لفرض تفرقتنا والسيطرة علينا أكثر.

نعم للاشتراكية العلمية.

نعم للوحدة الوطنية.

لا للسيطرة العربية الإسلامية.

نعم لحرية التعبير.

(*) هذا النداء عبارة عن منشور (سري) للحركة البربرية موجه الى الطلبة في ذكرى مظاهرات 1980 والمنشور موجه بالفرنسية وحدها (تعريب المؤلف).

محلوق وقعر، 4

ملاكة المخابرات الفرنسية بالحركة البربرية في الجزائر هذه مجموعة من الوثائق الرسمية والتعليق الصحفية عليها، وهي منشورة ضمن ملف خاص انفردت به مجلة لوبراسيون الفرنسية في عددها الصادر يوم 1980/07/08.

(الترجمة للمؤلف)

جريدة لوبراسيون: 8 جويلية 1980

الركن السياسي

«بيرفيت» المخابرات و«منطقة القبائل» (العدد الأول)

مناسبة انعكاسات قضائية لقضية قديمة، ومناورات مؤسسة قديمة (الأكاديمية البربرية)، نلاحظ تسرب شبح المخابرات الفرنسية والجزائرية. وضمن هذا الديكور، فوجئنا؛ بتوقيع الآن بيرفيت، حافظ الأختام نفسه، على وثيقة أقل ما يقال عنها أنها عبارة على تدخل خطير في شؤون القضاء في فرنسا من جهة، والشؤون الداخلية للجزائر من جهة أخرى، وهذا يؤكد حتما، أن الاهتمام بالحركة البربرية -الهرية الثقافية القبائلية كبير في أوساط الحكومة الفرنسية.

هندما "يهتسم" حافظ الأختام وزير العدل والمخابرات الفرنسية الجزائريتها بالحركة البربرية

إن حافظ الأختام رجل غير حذر، فرغم تكذيبه الخبير المتعلق بوثيقة حررت بيده، وكشفت خيانة أصدقائه من التجمع من أجل الجمهورية أربي أر، إلا أنه لا يستطيع إقناع الرأي العام، ونشر هذه المرة وثيقة يتهتم من خلالها وزير العدل بالتدخل الواضح في الشؤون الداخلية لجزائرية، إذ أن الأمر يتعلق، لا أكثر ولا أقل، بالاستغلال الأمثل للخصوصية البربرية في فرنسا لخدمة مصالح باريس، وينوي وزير العدل في الأخير التدخل في ملف جنائي يوجد في مرحلة التحقيق. ضجتان جديدتان ستهم من دون شك «الإلهي» (الرئاسة)، و«الكي دورسي»؛

PEYREFITTE , BARBOUZES ET KABYLIE

Peyrefitte, les barbouzes et les Kabyles

A l'occasion des retombées judiciaires d'une vieille affaire et des mésaventures d'une vieille institution - l'Académie berbère -, on voit se profiler les ombres des barbouzes françaises et algériennes. Et dans ce décor - oh ! surprise - apparaît la signature d'Alain Peyrefitte, le Garde des Sceaux lui-même, au bas d'un document qui constitue une grave ingérence dans les affaires de la justice française comme dans les affaires intérieures de l'Algérie. Décidément, du côté du gouvernement français, on s'intéresse beaucoup au mouvement berbérophone et à "l'identité culturelle" des Kabyles.

**Quand le Garde des Sceaux, le SDECE
et les services algériens " s'occupent "
du mouvement berbérophone**

Le Garde des Sceaux est un homme imprudent. Ses démentis affichés, au sujet d'un document rédigé par lui et mettant en lumière la "trahison" de ses propres amis du RPR n'avaient pas convaincu l'opinion. Cette fois, nous publions un document où le ministre de la Justice se rend coupable d'ingérences à peine déguisées dans les affaires intérieures de l'Algérie, puisqu'il s'agit ni plus ni moins d'utiliser au mieux le particularisme berbérophone en France pour les intérêts de Paris. Enfin le ministre de la Justice se propose d'intervenir dans un dossier pénal en cours d'instruction. Deux nouvelles casseroles qui intéresseront à la fois l'Elysée et le Quai d'Orsay

LIBERATION 8 JUILLET 1980 .

حافظ الاختتام

وزير العمل

ا. ج. م. م.

باريس في 31 ماي 1978

سيدي المحترم،

لقد اهتمت كثيرا بذكرتكم حول أهمية الظاهرة البربرية
في المغرب، والمنفعة التي تستطيع بلادنا أن تجنيها إذا عرفت
كيف تلعب بالخصوصية البربرية.
أنتم فعلا على حق، وأنا متيقن من ذلك، وباستطاعتنا أن
نأخذ بعين الاعتبار هذه الخصوصية، خاصة فوق التراب الوطني
(الفرنسي).

سأبعث بنخسة من مذكرتكم هذه الى كل من وزير الداخلية
ووزير الشؤون الخارجية.

وفيما يتعلق بوضعية السيد محمد بسعود، سأطلع على
الملف وسأرى فيما إذا أمكن إعادة النظر فيها.
تقبلوا سيدي، أسمى عبارات مشاعري.

الآن بيرفيت

السيد «جاك بينات»

رئيس بلدية «بوسك - لو - هارد».

5، شارع فاغان،

75006، باريس

La Garde des Sceaux
Ministre de la Justice

PARIS, le 31 MAI 1978

AS/DD

Ad Monsieur,

J'ai été très intéressé par votre note sur l'importance du phénomène berbère au MAGHREB et le bénéfice que peut en retirer notre pays s'il sait jouer de la spécificité berbère.

Vous avez raison, j'en suis convaincu et nous devons sur le territoire national surtout, tenir compte de cette spécificité.

Je communique votre note au Ministre de l'Intérieur et du Ministre des Affaires Etrangères.

En ce qui concerne la situation de M. Mohand BESSAOND, je vais m'informer, et compte tenu du dossier peut-être sera-t-il possible de réexaminer son cas ?

Veuillez agréer, je vous prie, Monsieur, l'expression de mes sentiments les meilleurs.



Alain PETREFITTE

Monsieur Jacques GENET
Maire de BOUC-LE-MARTIN
5, rue Varin
26006 PARIS

جنح تدخل في شؤون الغير، وجنح أفضلية من إضاء «آلان بيوفيت»

إن هذه الوثيقة المؤرخة بتاريخ 31 ماي 1978 والموقعة من طرف حافظ الأختام تستدعي التعاليق التالية:

1 - هذه المراسلة تثبت أنها صدرت فعلا عن أمانة الأختام، لأن شكل الرقن خاص بمصالح ديوان أمين الأختام أولا، ثم أن الخط والإضاء للرسالتصادران عن «آلان بيوفيت» ذاته. وأخيرا فإن الرموز أ. ج. د. د. AG/DD مستعملة فعلا من طرف المصالح الراقنة للوزارة، ولما سئلت عن الموضوع، فإن أمانة الأختام لم تؤكد الخبر، كما لم تنفاه!

2 - أن المرسل إليه، السيد جاك بيهات، قد أكد مصدر الوثيقة وأثبت شرعيتها، كما أنه أعترف بتسليمه نسخة منها إلى السيد بسعود.

3 - فيما يخص الفقرة الأولى، والواضحة وضوح الشمس، هل يعقل أن يكون أمين الأختام يجهل شخصية السيد جاك بيهات ومهامه؟ فإن هذا الأخير قد اتهم في سنة 1976 من طرف الصحافة والعدل الجزائريين، بانتمائه إلى المخابرات الفرنسية، يكون السيد جاك بيهات قد كلف من طرف «السدك» (المخابرات الفرنسية) ابتداء من سنة 1973 «بتوظيفه» عناصر تائمه للعمل تحت إشراف مولود كعوان «معارض» للدولة الجزائرية، تحركه المخابرات الفرنسية، وذاك بيهات، الذي كان يعتبر اختصاصيا في الشؤون الجزائرية تم التبليغ عنه كعميل مكلف بالتجنيد من طرف المتسببين في الانفجار الذي هز مقر القنصلية الجزائرية بمرسيليا في 29 ديسمبر 1973 والذي أسفر عن خمسة قتلى (5)، وفي الثالث من جانفي 1976، على الساعة التاسعة و45 دقيقة مساء تم الكشف عن محاولة اعتداء بالقرب من ورشات المجاهد الهومي بالعاصمة الجزائرية، وأكد مرتكب هذه الجريمة، المدعو روسو أنه كان بمثابة منقلد لأوامر جاك بيهات، ضابط في المخابرات ويعمل تحت غطاء مديرية التخطيط ثم وزارة التعاون.

4 - أن أمين الاختام يؤيد التحالف التي يراها أحد أعضاء المخابرات الفرنسية فيما يتعلق باستخدام الخصوصية البربرية فوق التراب الوطني الفرنسي، هل أمين الاختام يجهل أن وكيل النيابة بمرسيليا أعطى الأمر بفتح تحقيقات وتشكيل لجان استثنائية في هذه المدينة، وفي «تولون» قصد استدعاء أحد المدافعين على الخصوصية البربرية «خاصة» وهو «مولود كمران» قائد منظمة «جنود المعارضة الجزائرية»؟ هذا الأخير، كله ولاء لملك بهنات أشرف على تدهير سلسلة من الاعتداءات ضد الممثلات القنصلية الجزائرية في عدة بلدان أوروبية.

5 - فيما يتعلق بقضية السيد: معتمد بسعود فإن حافظ الاختام قد أعاد النظر فيها بالفعل، فبعد اعتقاله في 24 مارس 1978، أفرج عنه بعد هذه الرسالة بقليل، أي في 26 سبتمبر من نفس السنة، وقد حكم على السيد بسعود بالسجن القطعي (الحبس) في شهر فبراير 1980. وفي شهر جويلية من نفس العام، يستفيد مرة أخرى بحكم العدالة، إن حافظ الاختام بغض النظر عن مواهبه الاستراتيجية في مجال الشؤون الخارجية، وميوله الملحوظ إلى التدخل في الشؤون الجزائرية، يعرف كذلك كيف يحمي المتعاملين معه، من أجل المصالح الفرنسية رغم أنف «الكي دورسي» (الخارجية) مستغلا لحسابه، كل الخيوط والتسهيلات التي يوفرها له منصبه، وذلك بالرغم من أن القضية مقضي فيها:

آلان دوفران، وفريدريك لوران.

باريس: يا منطقة القبائل: انت محل اهتمامي

كانت تمثل الجزائر، في عهد ديغول، حجر الزاوية لسياسة فرنسا الخارجية في إفريقيا وفي عهد جيسكار ديستان ظهر نوع من الغموض، فكانت في البداية، وبحكم الدبلوماسية زيارة رئاسة رسمية زينت بتغطية إعلامية ضخمة، وكانت كذلك فترة تميزت بالمناورات المدسوسة والمزامرات الخبيثة، خبيثة وأحياناً قاتلة مثل الاعتداء بالمتفجرات ضد القنصلية الجزائرية بمرسيليا في 29 ديسمبر 1973 (الذي خلف خمسة قتلى وعشرة جرحى)، كانت هذه نقطة الانطلاق لسلسلة من الجرائم التي تعرضت لها المشكلات الجزائرية في أوروبا والمحلات التابعة للودادية في باريس والمقاطعات الأخرى. وأكد اعتقال مديرية العدوان على «المجاهد» في الجزائر، شيئا وهو أن فرنسا كانت تسلح وتنظم «الجنود» حتى «ميشال بونياورسكي» ذاته دخل الحلبة بتمصصه دور «ماكيفيل» المخطط لاستراتيجية التوتر هذه، ومع مرور الزمن تقلص النزاع الفرنسي - الجزائري، غير أن عهد «ديغول» قد ولى إلى الأبد، واسترجعت فرنسا شيئا فشيئا كثنائي زبون للجزائر، بينما تحاول هذه الأخيرة أن تبيع غازها لباريس بأحسن ثمن، إلا أنه من السذاجة التصديق بأن الحناجر قد أغمدت... فإن الأصالة القبائلية والمطالبة الملحة بالخصوصية البربرية، هي وسيلة تفرقه في أيدي المستعمر ولا زالت تجلب ما يسمى «بالأوساط الفرنسية» أن السلطات في باريس استطاعت في وقت ما، مساعدة وحماية، ظهور مطالب بربرية، وإن كانت ثقافية فقط، غير أن انكشاف الغطاء لن يخدم الأكاديمية البربرية «للرائد بسعود» في المستقبل حيث فقدت مصداقيتها في أعين الأجيال القبائلية الجديدة.

كما تبين الوثيقة التي ننشرها اليوم، فإن النوايا الفرنسية ونوايا حافظ الأختام سنة 1978 لم تتغير. وهكذا فإن الانتفاضة الديمقراطية لتييزي وزو، التي حلت وقدمت في فرنسا تحت شكل تمرد جهوي، أن الحملة الإعلامية المغالطة تهدف اليوم إلى ترجيح النزعة البربرية كوسيلة بإخفائها الأسباب التي أدت إلى أحداث «ربيع منطقة القبائل».

مناورات قضية الأكاديمية البوبرية

إن رسالة «آلان بوبريت» هذه تجعلنا نحلم، إذا، أننا نشعر وكأننا عدنا الى سنة 1830، رغم أنها ليست مزورة، بما أن المرسل إليه أكد لنا ذلك، وحتى طلب منا أن لا ننشرها إلا أننا لما علمنا، بعد تقاطع، أن المحترم جاك بينات، رئيس بلدية نورماندية صغيرة، على مقربة من التقاعد، هو في الحقيقة عضو في «السداك» (المخابرات) الذي نددت الجزائر بتورطه في اعتداء جنود المعارضة الجزائرية ضد جريدة «المجاهد» في ديسمبر 1976، راجعنا موقفنا من هذا الأمر، ذلك أن رأي الجالية المناضلة القبائلية بباريس، كان أهم في نظرنا، ذلك أنها كانت على علم بوجود هذه الوثيقة منذ شهر، وكانت تخشى من أن تنشر، لأن نشرها يدعم أطروحة «المؤامرة الدولية التي كانت وراء أحداث منطقة القبائل» التي طرحتها حكومة الشاذلي - غشير أن الخيط لم يكن موثوقا، خاصة إذا كان الشخص الذي سلمنا هذه الوثيقة وألح على نشرها، هو السيد هبد العزيز صايبي... وهو إنسان غريب له هيئة شرطي في ثياب مدنية، وعيناه تشغل من مكان لآخر، تدخل في الميكروفون يوم الظاهرة التضامنية مع طلبة مدينة تيزي وزو، وهي المظاهرة التي نظمت أمام مقر السفارة الجزائرية بباريس في السابع من أبريل 1980، وقد حرص في تدخله المتظاهرين على احتلال العمارة (مقر السفارة) بالقوة - وأعاد الكرة بمناسبة الحفل الغنائي للمطرب «إيدير بقاعة الأولامبيا» أين استطاع أن يوصل الى حلبة القاعة برقية قرئت على المتفرجين هذا نصها:

«إخواني القبائل، كونوا بأعداد غفيرة في الموعد يوم الثلاثاء 8 جويلية على الساعة الواحدة والنصف زوالا أمام الغرفة الحادية عشر لمجلس قضاء بباريس، أين سيحاكم أباؤكم بنذالة، والتزموا بالانضباط».

ما نوع المحاكمة التي ستفتح > إنها محاكمة أربعة مسؤولين عن الأكاديمية البوبرية وهم: «الرائد» بسعود (الملقب بمحمد أعراب)، وسليفي، والهواري... والمدعو صايبي، والتهمة الموجهة لهم هي اختلاس أموال التجار القبائل للعصامة (الفرنسية).

أنشئت الأكاديمية البربرية سنة 1967 من طرف مجموعة من الأعيان ذوي اتجاهات مختلفة وهم: السيد: رحمان، ضابط سابق في الجيش الفرنسي، ثم التحق بجهة التحرير الوطني إبان الحرب التحريرية، والسيد: حنوز، ثري أخذ على عاتقه تمويل المشروع، وسليمان هازم، مغني قبائلي قديم، وحميسي، منشط سابق لحصة «القبائل بلدي الجميل» بالإذاعة واللفزيون الفرنسية، وبتجمع الأربعة في ميزة واحدة: كلهم يحملون الجنسية الفرنسية. ثم التحق بهم جزائري «أصيل» هو «الرائد» بسعود، شخصية «بارزة» تتميز بنشاط حثيث، رغم الصعاب التي اعترضت طريقه، كان عضوا في «الولاية الثالثة» التي كان على رأسها «مسيروش» ثم لجأ إلى الحدود، أين ثار سنة 1958 ضد «استبداد» بومدين وبوصوف ونشر فيما بعد كتابا تحت عنوان «سعداء هم الشهداء الذين لم يروا شيئا» وكان من الأوائل في صفوف «جهة القوى الاشتراكية» للسيد آيت أحمد، سنة 1963، ثم انسحب من هذه الحركة آخذا عليها «ماركسيته المخالفة» ونشر في ذلك كتابا تحت عنوان «جهة القوى الاشتراكية: أمل وخيانة»، وأعاد تنظيم الأكاديمية، معطيا إياها دفعا جديدا: اكتشاف حروف تيفناغ القديمة، نشر منشور تنظيم محاضرات حول «المحاضرة» البربرية دروس مسائية والمراسلة، فأصبحت الأكاديمية مكانا تلتقي فيه عدة أجيال بربرية متعطشة لاسترجاع هويتها، إلا أن الشباب منهم، سرعان ما احتجوا على الوضع ورأوا في المسؤولين القداماء للأكاديمية ميولا كبيرة للفرانكفونية، فأنشأوا سنة 1973 مجموعة دراسية منافسة «فانسان»، فاتهمهم بسعود بالولاء إلى الصين، فأفرغت الأكاديمية من طاقاتها الحية، بفعل هذا الانكسار، وبدأت تضمحل، حتى الوصول «السيد» لصايب سنة 1975، فاقترح مناهج صارمة: إرغام التجار القبائل على دفع الاشتراكات «كما كانت تفعل الاتحادية بفرنسا أيام حرب التحرير». فسرعان ما اشتهرت المؤسسة «والحترمة» باختلاس الأموال وفي نهاية 1975 تمعدت الأمور: أتهم مولود كحوان (مسؤول منظمة جنود المعارضة الجزائرية) الأكاديمية، بتزويدها بالأموال الضرورية، عملية الاعتداء ضد اليومية «المجاهد»، فنصب أحد المشتركين المتطوعين كميناً لبسعود، وفي 24 مارس 1978، كان السيد أوقاسي في انتظار «الرائد» في إحدى وكالاته السرية الثلاثة، الكائنة بشارع «دورانانو» ليسلم له مبلغا كبيرا - كان قد

وعده به - وبمجرد وصول بسعود، رفقة صايبي حتى تصاعد الشجار بينهم، فتدخل شرطيان من الشرطة القضائية وأدركا بعد تفتيش سريع المتنازعين يحملون أسلحة بدون رخصة، فاعتقل الجميع، أحتج بسعود أن يعامل كقطاع الطرق، وشرع في إضراب عن الأكل رغم معاناته من داء السل، وزاد غيظه سبب آخر: فقد علم أن أوقاسي عضو هام في الأمن العسكري الجزائري بباريس، ومن خيط لآخر تأكد من تسرب عنصر آخر بينهم وأقر أنه صايبي، ألم يكن هو الذي شجعه على حمل السلاح دون أي سبب؟ وأفضى بسعود بأسراره لصديق له منذ زمان طويل، فقال إنه يعرف «جالك بينات» منذ التحاقه بالمقاومة مع جبهة القوى الاشتراكية، كان هذا الأخير يزعم أنه خبير شغوف في التاريخ البربري وقد درسه في الجامعة!! وكان السعيد رجال (مهلهل) جزائري كان أخوه معروفا في قضية «دبراي» فيما بعد) هو الذي عرف بسعود بجالك بينات وكان قد عرض عليه الأسلحة، وعلى إثر زيارته له في سجن «فران» اقترح «بينات» لبسعود أن يكلم «آلان بيرفيت» في الأمر، وكان جواب الوزير واعدا، بالفعل، ففي 26 سبتمبر 1978 خرج كل من بسعود وصايبي من السجن بطريقة غريبة، إذ لم يتحصلا على حرية مؤقتة من المحكمة، أو قرار منع محاكمة، في محاكمة نوفمبر 1979 لم يمثل أمام المحكمة.

وبعد التأجيل حكم على بسعود في فبراير 1980 بسنتين سجن، وثمانية عشر شهرا لصايبي، إلا أنه لم يلق عليهما القبض وطعنا في الحكم من جديد، ومحاكمة جديدة وتغيب جديد في شهر أبريل 1980، وأثناء الأحداث التي كانت مدينة تيزي وزو مسرحا لها، تحصل صايبي بالغرابة! على قانون «لاجئ سياسي» بينما لم يستطع بسعود من تحقيق ذلك حيث قوبل طلبه بالرفض!

ملحق رقم 5

مطالب الحركة البربرية من خلال توصيات ملتقاها الأول المنعقد بمنطقة إيعكورن بولاية تيزي وزو في صائفة 1980 بعد أحداث تيزي وزو، الواقعة في شهر أفريل من نفس السنة. النصوص كانت كلها باللغة العرنسية. (الترجمة للمؤلف)

**ملتقى إيعكورن
(من 1 إلى 31 أوت 1980)**

ملخص التقرير

إن حركة تيزي وزو في ربيع 1980 التي كان لها أثر «عميق» في كل أرجاء الوطن أثارت مشكلة في غاية الأهمية تعود أسبابها إلى ما يلي :

- البحث عن هوية جزائرية حقيقية.
- العمل على ترقية لغتي الوطن (الأمازيغية والعربية الجزائرية) .
- الثقافة.
- حق التعبير عن الرأي.

هدف هذا الملتقى يتمثل في طرح مشكلة الثقافة في الجزائر مرة أخرى وبصورة أوضح لدحض الادعاءات الكاذبة التي نشرتها مؤخرا الصحافة الوطنية والتي كادت أن تؤدي إلى ما لا تحمد عقباء.

إن محاولة تحريف المشكل ونسبه إلى جهة معينة من الوطن في حين يعتبر مشكل الشعب الجزائري بأسره، وإن كانت جهة ما تعني من هذا المشكل أكثر من الجهات الأخرى قد كشفت عن العواقب الخطيرة الناجمة عن احتكار الاعلام من طرف اللامسؤولية والطائفية والتعسفية.

إن ملتقى «ياكورن» يهدف إلى خلق الحوار ورفع الخطر المفروض على النقاش الديمقراطي للمسألة الثقافية، وبأمل أن مناقشة الملف الثقافي التي وعد بها رئيس الجمهورية ستكون مناقشة شعبية وأن السلطات المعنية ستأخذ بعين الاعتبار رأي المواطنين في ذلك.

- مشكل الثقافة في الجزائر يرتبط بثلاثة محاور رئيسية :
- مشكلة الهوية الحقيقية للشعب الجزائري والاعتراف ارسسي بلغته الأمازيغية والعربية الجزائرية
- مشكلة حرية التعبير.
- مشكلة الثقافة في تنمية المجتمع.

1) مشكلة الهوية الثقافية للشعب الجزائري :

من المؤكد أن التعريف الرسمي لهوية الشعب الجزائري لا يتضمن الحقيقة الأمازيغية والسبب في إبعاد الأمازيغية عن هذا التعريف يعود الى الحركة الوطنية الجزائرية التي قهرت بسيطرة الإيديولوجية العربية الإسلامية على حساب أي بعد أمازيغي للأمة. امتدت هذه السيطرة الى ما بعد الاستقلال لتصبح المنطلق لكل محاولة للتعريف بالشخصية الجزائرية، واخلط بين ARABITE والذي يعتبر إحدى الحقائق الثقافية للوطن والعروبة. ARABISME الإيديولوجية العربية ككل. بدأ بسيطر شيئا فشيئا على الحياة السياسية الوطنية ليصبح المنطلق الوحيد لأي تحليل للشخصية الوطنية. والجدير بالذكر أن الإحصاء العام للسكان لعام 1966 قد أهتم - ولو بصورة محدودة جدا - بالتركيبة الأمازيغية لشعبنا في حين لم يذكرها بتاتا إحصاء 1977.

وقد كان لهذه النظرة عواقب نذكر منها على الخصوص :

أ - عدم الاعتراف بلغتي الشعب الجزائري : الأمازيغية والعربية الجزائرية بحجة أن هاتين اللغتين غير قادرتين على خلق « ثقافة كبيرة ».

أنه لمعترف به علميا الآن أن مفاهيم « اللغة الكبيرة » و « اللغة الصغيرة » هي عبارة عن خرافات، لأن المعيار الوحيد الذي يحدد استمرار لغة ما، هو مدى استعمالها في الحياة اليومية للشعب. ولهذا فإنه من الصعب أن نقول أن الأمازيغية والعربية الجزائرية قد تجاوزهما الزمن لأنه بإمكان أي لغة أن تصبح قوية. كل هذا يتوقف على الوسائل المتوفرة للنهوض بها.

الوسائل المتوفرة للنهوض بها.

هنا يتدخل عامل آخر في تقدم أو تأخر لغة ما وهو الإرادة السياسية للدولة للنهوض باللغة أو لقمعها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فهناك دول عديدة في الشمال والجنوب والشرق والغرب انطلقت من لغات أضعف من لغاتنا ومع ذلك استطاعت أن تحقق بلغاتها تقدما اجتماعيا ملحوظا.

ومن جهة أخرى، إذا أردنا فعلا ضمان تعليم سليم لأطفالنا فإن الطفل يجب أن يبدأ دراسته بلغته (الأم) حتى لا يتعرض الى مشاكل تعرقل نموه. وفي هذا الصدد فإن المدرسة الأساسية تنطلق هذه السنة. فهل خصصت جزءا من برنامجها الى لغات الشعب ؟ والجواب مع الأسف بالنفي وخاصة فيما يتعلق بتأمازيغت.

والسؤال الذي يبقى دائما مطروحا هو : هل تبقى لغات الشعب دائما مهمشة ؟

ب) تحريف تاريخ الجزائر نظرا لسيطرة الإيديولوجية العربية - الإسلامية. ويوجد هناك قصد في الكتابة الرسمية للتاريخ لإخفاء أو تشويه الوقائع والشخصيات التي تمثل الحقيقة التاريخية.

فالنظرة التاريخية نظرة «أجنبية» و «حيدية» و «منقصة» تعتمد على السيطرة العربية في الدول العربية. والسؤال المطروح هو معرفة ما يمكن أن تحمله للوطن هذه الإيديولوجية التي هي تليص للأمة الجزائرية نفسها.

وكما لا يجب النظر إلينا كمنتوج للتاريخ العربي، فاختلافنا هو إمكانياتنا في المستقبل، وكل تحليل للهوية الوطنية، يجب أن يتناول مفهوم الاختلاف بكل وضوح وكل شرف، ولا يجب أن يتناول كسنة من سائر التراث القبلي.

ج) إبعاد أغلبية الشعب الجزائري من الثقافة التي تعتبر حكرا على نخبة تتقن الفرنسية أو العربية النصحى.

2) مشكلة حريات التعبير الثقافية :

إن غياب حرية التعبير الثقافية أدى إلى حق ثقافة الشعب الجزائري وجعلها مجرد فولكلور وبالتالي تكريس فراغ ثقافي.

وعناء جهود فاشلة متواصلة لتعريف و « اقتراح » ثقافة وطنية عربية إسلامية على أساس العصر الذهبي للإسلام.

إن المشاكل التي يتخبط فيها المسرح الجزائري الناشئ، وخنق الإنتاج السينمائي واستحالة نشر أي شيء بالأمازيغية أو العربية الجزائرية والعراقيل التي تعترض الأغنية... كتمانغت، هذه كلها تعتبر مؤشرات لسياسة تهدف إلى كسر كل المبادرات الثقافية للشعب.

3) الثقافة في سياسة التنمية :

إن السياسة الثقافية في الجزائر المرتكزة على التعريف العربي - الإسلامي والتجاهلة للتعبير الأمازيغي، تترجم في الميدان بالتعريب. وأقل ما يمكن أن نقوله هو أن هذه السياسة :

- تؤدي إلى الفصل بين المثقف الجزائري وشعبه، لأن العربية الفصحى ليست اللغة (الأم) لكل جزائري. ولهذا فإن المدرسة، موزى أن تكون امتدادا .. للوسط العائلي ولحيط الطفولة الجزائرية، أصبحت إطارا للإتقطاع والصراع.

- تبقى التبعة التكنولوجية للبلاد بالنسبة للشركات متعددة الجنسيات. وبهذا فإن العمال يصبحون ثقافيا خاضعين لتكنولوجية مستوردة لا يستطيعون التحكم فيها، ومحيطهم الثقافي خال منذ البداية من أي نشاط وطني منظم.

- تناقض اللغات الشعبية بالخطب الكاذبة تعتمد على « التحديث المعادي للتقاليد ».

- تعتمد على إيديولوجية لا تتفق مع مصالح المتعلقة بالديمقراطية والاشتراكية وقيمنا الخاصة.

- ويتفاقم المشكل مع غياب حريات التعبير، وتتشكل جماعات ضاغطة مأجورة من الخارج، حول

المفهوم العربي - الإسلامي، مع التجاهل التام للأمة الجزائرية، وإملاء على البلاد سياسة ثقافية نعاينها مفعجة منذ الآن.

- وهكذا وبمعزل عن الجانب النوعي الذي لا يمكن إنكاره، فإن ديمقراطية التعليم خيالية.
- وعلى سبيل المثال، تكفي الإشارة، أنه عكس ما نسمع، فإن نسبة التصدريس عموما في انخفاض منذ 1976.
- لكن المشكل الثقافي بالجزائر جد واسع، فالهياكل الاجتماعية القديمة تم حشدها أو جمعها أو حورت صراحة (الجامعة تحت المراقبة، انفجار حياة الحي بالمدن).
- لم ينجز أي عمل يسمح بتلازم مع التحولات الهيكلية التي تميز مجتمعنا الحالي، فهناك أزمة اجتماعية بالجزائر.
- إن فشل سياسة التعريب، إنتاج التهمية الثقافية على جميع المستويات، تضاول العادات، فالاحتجاج الشعبي يبين ضرورة إعادة تحديد السياسة الثقافية بالجزائر تبعا لانشغالات الشعب الجزائري. وتدخل الاقتراحات التي تفرضا للمنافسة في هذا الإطار.

ملخص الاقتراحات والمطالب « لجنة حريات التعبير والثقافة »

نظام الإعلام:

استعمال لغات الشعب الجزائري (العربية الجزائرية والأمازيغية) في منظومة الإعلام على الأقل في الراديو والتلفزة أولا. وفي الصحافة المكتوبة بعد التطورات اللغوية والتقنية.

السبعا:

تشجيع الخلق والإبداع في ميدان السينما باللغتين العربية الجزائرية والأمازيغية، إستيراد الأفلام التي تساعد على تطوير الوعي السياسي الاشتراكي.

المسرح :

يجب تشجيع الخلق والإبداع المسرحي باللغات الشعبية وإعادة فتح قاعات المسرح المغلقة (سطيف، معسكر...).

الإبداع الأدبي:

تشجيع الإنتاج الأدبي باللغات الشعبية وترجمة الكتب الى الأمازيغية والعربية الجزائرية، كما يجب إعادة النظر في سياسة استيراد الكتب، بحيث يجب مراعاة الاختيار الاشتراكي.

ميدان الموسيقى:

حق وجوه الفرق الموسيقية والغاء الرقابة على الأغاني الملزمة وحرية استعمال اللغات الشعبية.

الراديو والتلفزة:

الراديو :

القناة الأولى :

- البث بالعربية الشعبية الجزائرية.
- الأخبار بالعربية الشعبية الجزائرية.
- دور رئيسي للثقافة الشعبية.
- ديمقراطية الالتحاق بالقناة.

القناة الثانية .

- حجم الساعات وقوة البث يجب أن تكون متساوية مع القناة الأولى.
- بث برامج لكل الجهات البربرية في الجزائر (شاوية، التوارق، شنوي، مزاب، القبائل)
- ديمقراطية الالتحاق بالقناة.

التلفزة .

- استعمال نظامي للغات الشعبية الجزائرية.
- إلغاء البرامج الأجنبية الرجعية.
- إعطاء مكانة رئيسية للثقافة الشعبية الجزائرية.
- تطوير الإنتاج الفني مع الأخذ بعين الاعتبار مشاكل الشعب الجزائري.
- إنشاء قناة ثانية للثقافات الجزائرية مع استعمال اللغات الشعبية فقط.

الثقافة وتنمية المجتمع:

محر الأمية في اللغات الشعبية :

يجب إنشاء مطابع جهوية، وتكوين إطارات مؤهلة وتحقيق التعليم بالمراسلة ونشر برامج تعليمية بواسطة وسائل الإعلام.

- يجب استعمال لغات الشعب في كل المجالات : في التدريس والبحث والتكوين المهني.
- يجب البدء في إحصاء عدد المعلمين الذين يحسنون اللغات الشعبية.
- يجب إنشاء لجنة لغوية وطنية تتكون من باحثين وأساتذة في مختلف الاختصاصات.
- يجب أن تكون هيكلية هذه اللجنة كما يلي :

- مدير مكلف بالتنسيق.
- لجان فرعية كل واحدة تتكلف بلغة معينة.
- مراسلين جهويين.

استعمال اللغات الوطنية في الإدارة :

إن تطوير اللغات الشعبية الى لغات رسمية يعتبر شرطاً من شروط التقدم الاجتماعي ولكن حتى يتحقق ذلك يحق لكل مواطن لا يعرف اللغة الرسمية الحالية أن يتقدم عند الحاجة الى مسؤول أو عون إداري بلفته الأصلية ويحق له أن يحصل على الرد باللغة التي يحسنها ويمكن للمواطن عند الحاجة أن الراديو:

يطلب ترجمة للنص المتعامل به.

كما يجب توفير قواميس للغات الشعبية حتى يسهل انتشارها.

كتابة الوثائق الرسمية باللغة الرسمية وبلغة أخرى حسب الجهة.

وفي ميدان القضاء - يجب حضور مترجمين للغات الشعبية.

يجب كتابة كل المعلقات والملصقات والشعارات وغيرها بالإضافة الى اللغة الرسمية بلفته الجهة

الموجودة فيها - مع الرجوع الى استعمال الأسماء الأصلية للمنطقة.

ملحق رقم 6

بعض أطروحات الحركة البربرية المتعلقة بالمطالبة بترقية وتدرّيس وترسيم وتوطين وتوحيد اللهجات البربرية في لغة واحدة، وفتح فرع لهذا الغرض في جامعة تيزي وزو..

تحت عنوان بارز « من التيفيناغ الى برامج الإعلام الآلي » ورد نقلا عن وكالة الأنباء الجزائرية في جريدة « المساء » مقال، أو تصريح مطول منشور بتاريخ 1990/01/09 جاء فيه :

« قوة أو معجزة. اللغة الأمازيغية تنجو من الموت وتظهر الى العلنية بعد أن أطلق سراحها في الجو الديمقراطي الجديد مكتوبة، بل ومصحوبة بأول صحيفة في تاريخها تتمثل في (أسالو) التي يصدرها حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية لتشكل إحدى الأحداث الساخنة لما تشير من نقاش في الأوساط السياسية والثقافية على الساحة الوطنية ».

والملاحظ هو أن ظهور هذه اللغة الى العلنية لقي ارتياحا من قبل أهلها والمطالبين بها، إلا أن هذا الحدث وافقته أيضا تساؤلات استفسارية من قبل البعض الآخر بأن هذه اللغة وإن لم تغب يوما عن الحياة الاجتماعية فإنها لم تسعفنا الظروف قبل اليوم من جهة أخرى بأن تعترف بنفسها إلا في السرية التامة. أو خارج حدود الوطن بسبب المنع غير الرسمي الذي ظل مفروضا عليها.

كما أن الوثائق الكثيرة المتوفرة حول الموضوع صعبة المآل على المستوى الوطني لكون معظمها نشرت في الخارج.

فما هي إذن اللغة الأمازيغية.. وما هو سر صمودها وبقائها.

من هم أشهر الكتاب والباحثين فيها. ما هو صيدها. وما هي آفاقها المستقبلية..

السيد عبد النور عبد السلام باحث ومدرس هذه اللغة وعضو في المجلس الوطني للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يحاول الإجابة على كل الأسئلة المتعلقة بالأمازيغية التي وما لا شك في ذلك أن التجمع يعلم بأنها اللغة الأصلية لشعوب بلدان شمال إفريقيا وتقتد الى النجير ومالي وجزر الكناري.

في البداية يقدم الباحث لمحة تاريخية حول هذه اللغة فيقول :

« أن اللغة الأمازيغية من أقدم لغات الإنسانية حروفها الأصلية تسمى « التيفيناغ » المتفرعة عن اللغة الليبية العريقة. ولكن عدم استعمالها في الدبلوماسية وفي الإدارة بصفة عامة منذ مصور إذ لم تستعمل حتى في عهد « ماسينيسا » لأسباب تاريخية معينة منحها طابع اللغة الشفوية ومع ذلك

فقد تمكنت الأمازيغية من تسجيل حضورها الدائم في الحياة الاجتماعية للشعوب الناطقة بها وهذا بالرغم من اللغات التي ما فتئت تزاحمها بفعل الغزوات التي تعرضت لها منطقة شمال إفريقيا التي تنتمي الي حوض المتوسط الذي يشكل بدوره ملتقى الحضارات.

وحول سر صمود الأمازيغية وبقائها يسترجع السيد « عبد السلام » عبارة للأستاذ الأديب الراحل « مولود معمري » الذي قال: « أن العجيب لا يكمن في بقاء هذه اللغة الي يومنا بدون كتابة فحسب وإنما المدهش هو أنها بقيت محتفظة، بكل ثرائها وقواعدها النحوية ».

ويشير الباحث في هذا الصدد الى ان هذه القواعد موحدة للأمازيغية حيثما وجدت وأما التغيرات في النطق وفي الألفاظ وكذا الاختلاف في استعمال بعض الكلمات من منطقة الى أخرى فذلك بشكل مصدر ثراء هذه اللغة.

ويستطرد السيد عبد السلام أن صمود اللغة الأمازيغية لعواطف الغزوات والقمع والمنع والسرية يرجع لعدة عوامل تأتي في مقدمتها كونها لغة نابعة من الشعب ومستعمدة منه تشبث بها وحفظها وتوارثتها الأجيال عبر العصور لتبقى لنا اليوم.

ويتمثل العامل الثاني في خاصيتها الشفوية التي ساعدتها كثيراً على البقاء لأنها حسب قوله لو كانت الأمازيغية مثلاً مكتوبة واحتفظ بها في مكتبة دون التحدث بها لانتلفت مثلاً بعدئذ للمعالم الأثرية والثقافية بصفة عامة، خاصة إذا راعينا الظروف الصعبة التي مرت بها.

وأما العامل الثالث الذي ساعد على إثراء الأمازيغية فيتمثل في عدم رفضها للدعم الذي يأتيها من اللغات الأخرى عن طريق الاحتكاك ببعضها البعض.

ويوضح الباحث أن اللغة الأمازيغية شأنها شأن جميع لغات العالم أثرت وتأثرت، من الخطأ العلمي أن يقول أحد أنه توجد في العالم لغة صافية قامة، وعليه فقد أدخلت عليها كلمات من أصل أجنبي لكن دون أن يؤثر فيها ذلك سلباً لأن من سمزات هذه اللغة أنها تملك نوعاً من القدرة في استيعاب الكلمات الأجنبية فيكفي مثلاً إضافة بعض الحروف عليها لأن ندمج نهائياً الى درجة أنه يصعب على أحد أن يتيقن الكلمة الأجنبية من مجموع النسيج اللغوي للأمازيغية التي تتمتع ببنية لغوية وتقنية قوية تمكنها من حماية نفسها من الاندثار والدليل على ذلك هو أنها كانت ولا تزال موجودة».

وعن ما يجب القيام به في مجال التكفل بهذه اللغة في الوقت الراهن وبعد أن تهرقت يجيب السيد «عبد السلام» أن ما يتمين القيام به هو إثبات هذه اللغة بالكتابة التي تعد الوسيلة الوحيدة التي تضمن لها الاستمرارية والانتشار والبقاء لا سيما في عصرنا المتميز بالتكنولوجيا والتطور السريع إذ أن اللغة الشفوية في هذا العصر بكل متطلباته محكوم عليها بالفناء.

ويضيف أن اهتمامنا بإثبات هذه اللغة بالكتابة لا يعني أننا ننوي إهمال خاصيتها الشفوية بل بالعكس، فبالتوازي مع الكتابة سنعمل أيضاً على تطوير الجانب الشفوي الذي لا يقل أهمية خاصة في عصر يشهد تطوراً كبيراً في مجال التكنولوجيا السمعية البصرية.

ومضيف الباحث أن عودة الكلمة الشفوية بقوة في العالم قد يرجع للدور الكبير الذي يلعبه الخطاب المباشر في إقناع الناس وفي تحقيق التقارب بعضهم البعض، بينما الكتابة تبعدهم عن بعضهم.

وعن سبب استعمال الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية يؤكد الباحث أن إتفاق وإجماع علماء اللسانيات على هذه الحروف التي أصبحت دولية أملت ضرورة لأسباب لغوية وتقنية موضحا « أن الأمر هنا لا يتعلق باختيار نظام كتابة أو حروف معينة على أساس عاطفي أو سياسي بقدر ما يتعلق بمراجعة مصلحة هذه اللغة ومساعدتها على استدراك مافاتها والاتصال بركب التطور والمعاصرة ومسألة اختيار الحروف أو نظام كتابة من مهام الاختصاصيين في اللسانيات لكونهم أدري بما تتطلبه لغة ما « والاختيار يكون على أساس علمي ».

وبالإضافة إلى هذا يذكروا الباحث بالمراحل التاريخية وبالظروف الصعبة التي مرت بها هذه اللغة والقائمين على خدمتها حيث يقول « أن الأوائل الذين أنقذوا الأمازيغية من موت مؤكد عملوا في ظروف صعبة جدا بسبب القمع والسرية، فبفض النظر عن عدم تمكنهم من العمل في راحة واطمئنان لم يجدوا بحوزتهم الوسائل اللازمة لعملهم غير الإرادة وآلات راقنة قليلة بالحروف اللاتينية ومع ذلك فقد تركوا لنا تراثا غنيا في مجال الكتابة والبحث لا يمكن الاستغناء عنه اليوم.

وبعدنا عن وجود كمية كبيرة من الوثائق والمؤلفات بالأمازيغية في مركز التوثيق (الأرغاء ناث إيراثن) تتناول مواضيع متنوعة مثل التاريخ والجغرافيا والأدب والجيولوجيا ويرجع تاريخ تأليفها إلى مراحل ما قبل وبعد الثورة التحريرية.

ويشير إلى أن هذه المؤلفات تعرضت مرارا لمحاولات الإتلاف. وعن أشهر الكتاب والباحثين في الأمازيغية يقول السيد « عبد السلام » أن عددهم كبير فمن بين الأوائل نجد « سعيد بوليفة » الذي جمع في سنة 1900 قصائد الشاعر « سي محمد ومحمد » و« بلعيد آيت علي » الذي يعد الزول الذي كتب مؤلفا أدبيا بالأمازيغية يقع في 430 صفحة وهذا الكتاب ألف في سنة 1945 ونشر في سنة 1961 ومقسم إلى ثلاثة أجزاء. وبعدهما جاء الأديب الراحل « مولود فرعون »، ثم « مولود محمري » الذي التف حوله الشباب الباحث في هذا الميدان.

وأما في السنوات الأخيرة فقد ظهرت حركة كبيرة ونشطة من الشباب المثقف من الاختصاصيين في اللسانيات والباحثين والكتاب أنجزوا أعمالا كثيرة تشمل في بحوث ودراسات ومعاجم وكتب كثيرة لا يمكن سردها ومعظم هذه الأعمال نشرت في الخارج.

ويذكر من بين هؤلاء الكتاب والباحثين الأستاذ « سالم شاكر » و« رمضان عشاب » و« الدكتور سعدي سعيد » الذي كتب قصة بالأمازيغية تحمل عنوان « أسكوتي » والمتحدث الذي قام كذلك بعمل في هذا المجال.

ومضيف أنه فضلا عن الكتابة فالشباب الذي يعمل بدون هوادة وبإرادة على ترقية اللغة الأمازيغية والثقافة بصفة عامة أدخل الأمازيغية في عالم الإعلام الأكي. ويشير إلى وجود برامج للإعلام الأكي (الوجي سيال) بالأمازيغية.

ويؤكد السيد «عبد السلام» أن جميع الكتاب بهذه اللغة منذ «بوليفة» أجمعوا على الحروف اللاتينية للأسباب السالفة الذكر.

والخلاف الوحيد الذي يمكن تسجيله في هذا المجال هو أن لكل واحد منهم طريقته الخاصة في الكتابة فمن بينهم مثلا من عبر على لفظ بعرفين ومن عبر عن لفظ بعرف واحد. وباختصار فلم يعملوا طبقا لدراسة نحوية وآستمر الوضع كذلك الي أن ظهرت الي الوجود في السبعينات الدراسة التي أنجزها الأديب الراحل «مولود معمرى» الذي كرس جزءا كبيرا من حياته لخدمة الأمازيغية وهي الدراسة التي غيرت مجرى الأمور بحيث أصبحت مصدرا يعتمد الكتب والمهتمون والمدرسون بهذه اللغة قيسا بهد.

واليوم يمكن القول أنه باستثناء الفوارق الطفيفة جدا المذكورة والناجمة عن تشتت جهود الباحثين بسبب العمل في السرية فإن نظام كتابة الأمازيغية موحد على المستوى الوطني. ويضيف الباحث وعندما فسح لنا المجال للعمل في العلية رحل عنا «مولود معمرى».

وعلى سؤال يتعلق بما إذا كانت للباحثين الجزائريين اتصالات وعلاقات مع الباحثين في نفس المجال في البلدان المجاورة يرد السيد «عبد السلام» أن ما نفكر فيه بالدرجة الأولى في الوقت الراهن هو تحقيق مالم يتمكن من تحقيقه في ظروف السرية قبل اليوم ويتمثل في الاتفاق الوطني النهائي حول نظام كتابة هذه اللغة.

وفي هذا السياق أفصح الباحث عن التفكير في تنظيم ملتقى وطني في الجزائر في منتصف السنة الجارية يضم الباحثين الاختصاصيين وعلماء اللسانيات والكتاب وجميع المهتمين بهذه اللغة تستدعى حضوره منظمة اليونيسف كملاحظ.

والهدف من اللقاء هو بحث الوسائل الكفيلة بإنشاء أكاديمية اللغة الأمازيغية في الجزائر باعتبارها المؤسسة الوحيدة الكفيلة بتقرير نظام كتابة نهائي موحد للأمازيغية يتميز بالفعالية والعقلانية على أساس الأعمال والبحوث المتوفرة والعمل المشترك والمنسق بين المتخصصين في الميدان. كما ستقوم الأكاديمية بتدريب التقنيات والقواعد الخاصة بهذه اللغة وإعدادها للتعليم ويوضح الباحث أننا لا نترفع الي تعليم الأمازيغية قبل إعدادها الجيد وأتقانها.

وعن الآفاق المستقبلية للغة الأمازيغية يؤكد السيد «عبد السلام» على ضرورة رفع الشلل الدستوري عنها بمراجعة المادة الثالثة من الدستور التي تهشها في عقد يارها موضحا «المطلوب هو الاعتراف بهذه اللغة التي أثبتت قوتها بصمودها كلغة وطنية الي جانب العربية والإرادة العزم معترفان لخدمة وترقية اللغة الأمازيغية التي غالبا ما تظهر حيوة الباحثين فيها أنها تفقد لهم لاهنتهم.

وتحت عنوان «3 سنوات للحصول على الماجستير» ورد في استجواب أجرته جريدة «المساء» بتاريخ 1990/5/8 جاء فيه :

«يحرص الطالب بجامعة تيزي وزو على تعلم اللغة الأمازيغية، حرصه على اكتساب مختلف العلوم الأخرى، وقد أنطلق مشروع تعليم هذه اللغة منذ نهاية السبعينات، وكان الطلبة يتلقون درسا ليليا بالحي الجامعي مرة كل أسبوع».

ويشير الطالب «ابن صدوق كمال» من معهد العلوم الاقتصادية الى أن الأستاذ «رمضان عشاب» كان يلقى دروسا خلال سنة 1987 تاريخ انضمامه الى تعلم الأمازيغية، وبعد اجتماع اللجنة الطلابية للمعهد، طالبت بإعطاء درسا آخر في النهار حتى تحضر الطالبات والطلبة غير القاطنين في الحي الجامعي. فوافق الأساتذة المشرفون على تعليم اللغة الأمازيغية كما وافقت الإدارة، إلا أن الطلبة يواجهون مشكل انعدام الوقت للمشاركة في هذه الدروس التي يركز فيها على تعلم الحروف الهجائية المتكونة من 28 حرفا ويعلّمها تلقن القواعد الابتدائية التي أختار لها بعض الاختصاصيين من أكاديمية اللغة الأمازيغية بفرنسا الأحرف اللاتينية لكتابتها مدخلين عليها بعض التفسيرات لموافقة النطق الأمازيغي.

وقد تغلغل حب تعلم الأمازيغية في نفوس الطلبة مما دفعهم للتطوع لإلقاء الدروس لدرجة أن أصبح بكل معهد فرع لها، كما اهتم آخرون بإعطاء دروس في القرى والمدن حسب توفر الظروف والإمكانات.

ويقال أن الكاتب «مولود معمري» كان أول من تطوع لتدريس الأمازيغية وساعدته في ذلك أكاديمية اللغة البربرية بفرنسا، بتوفير قاموس وكتب منها كتاب تحت عنوان «شجرومت دا المولود» بمعنى حروف مولود وكتاب آخر «لرمضان عشاب» «ثيرات تزيغت» بمعنى كتابة اللغة الأمازيغية. وما يقال أيضا أن السيد «سعيد سعدي» رئيس حزب (الأر. سي. دي) كان الطالب الوحيد لمولود معمري في بداية السبعينات وما كان من هذا الأخير إلا أن أقترح عليه الحضور لبيته لأخذ الدرس لكن السيد سعيد سعدي رفض الاقتراح وأصر على البقاء في إحدى مدرجات الجامعة ولو بمفرده وذلك لإثبات وجود هذه اللغة.. التي تجري من أجلها تصالات بين المختصين في الأمازيغية من جزائريين ومغاربة من أجل تطويرها باعتبارها كما قال الطالب «ابن صدوق كمال» اللغة «الأم» التي تفرعت منها «الشلمحية» الموجودة في المغرب و«الشاوية» و«الميراوية» و«الترقية» في الجزائر وذلك بتأليف المزيد من الكتب والمعرض على إدخال تلك التي صدرت في الخارج.

هذا ما يجري على مستوى القاعدة الطلابية. أما في الإدارة فقد أكد لنا مدير الجامعة بتيزي وزو السيد حمدويس الصالح عن تأسيس فرع اللغة الأمازيغية لما بعد التدرج في جانفي الماضي الذي سيفتتح مع الموسم الدراسي المقبل، ويهتم بتكوين الأساتذة في إطار البحث في اللغة والثقافة الأمازيغية والذين سيقومون فيما بعد بمهمة تعليم الأجيال القادمة، وتلوم مدة الدراسة 3 سنوات يتحصل بعدها الطالب - الحامل لشهادة الليسانس في أي تخصص - على شهادة الماجستير في اللغة الأمازيغية.

ويتمتع هذا المشروع في إنطلاقتها الأولى على بعض الكتب الموجودة في الجزائر، في انتظار الحصول على كتب من فرنسا وبريطانيا، كما يساهم في تدعيم هذا الفرع عشرون أستاذا تم جمعهم من داخل وخارج الوطن بعد عملية بحث وتقصى دامت سنوات.

ومن جهة أخرى صرح مدير الجامعة عن إنشاء المجلس العلمي المتكون من 14 أستاذا والمناط به مهمة وضع البرامج الدراسية لطلبة الماجستير في اللغة الأمازيغية ووضع الحروف الهجائية العلمية الإصطلاحية.. وتسيير دائرة هذه اللغة، كل هذه المهام سيعلن عنها رسميا خلال الأيام الدراسية التي ستقام من عشرة الى الثاني عشر ماي الجاري (1990).

أما فيما يخص تمويل المشروع يقول مدير الجامعة: « أن الوزارة قد منحتنا الأموال التي سوف نصيف إليها ما لدينا من إمكانيات مادية سواء بالعملة الصعبة أو بالدينار الجزائري ». كما أبدى ديوان المطبوعات الجامعية استعداده لتقديم يد المساعدة فيما يخص توفير الكتب. وتحت عنوان « الأمازيغية بالعربية واللاتينية » ورد بجريدة « المساء » ليوم 90/5/13 كتفطية للملتقى المذكور آنفا جاء فيه :

« أختتم الملتقى الأول للغة الأمازيغية أشغالها يوم 1990/5/9 وهذا بالمصادفة على ثلاث لوائح تدهو إلى اعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية رسمية مع الدعوة إلى توفير كل الإمكانيات اللازمة لتجسيدها وبالغالي السماح لكل المختصين بالعمل على تدعيم هذه اللغة وتطويرها قهيدا لتعليمها في المدارس.

وتنص هذه اللائحة في انتظار توحيد الأنماط اللغوية على العمل أكثر لإعادة كتابتها بالحروف العربية واللاتينية وعلى ضرورة تنسيق الجهود مع كل المختصين في هذه اللغة على المستوى المغربي والدولي، ومن أجل وضع قواميس لها ثم لائحة التوزيع والإنتاج، فهي تلح على تنمية هذه اللغة من حيث الإنتاج، كتوفير الكتاب البيداغوجي والقواعد والمعادثة مع نشر كتب ذات تخصص علمي وتكنولوجي، فضلا على نشر المجلات المتخصصة والبحوث وإعادة نشر وتوزيع الكتب العلمية الموجودة، وتشجيع الترجمة من اللغة ووضع برامج تلفزيونية ذات طابع ثقافي وتربوي ونوسيع بث القناة الثانية، حتى تصل إلى مختلف أنحاء الوطن، كما تؤكد اللائحة على تدعيم الإنتاج الثقافي بهذه اللغة كالمسرح والسينما، وفنون الرسم والبحث والصناعات لتقليدية، زيادة على اعتماد الإعلام الألي وإنشاء مكتبات محلية وفيديو مكتبات، كما دعت اللائحة إلى ضرورة إنشاء مجمع للغة الأمازيغية وقد شكلت لذلك لجنة تحضيرية في انتظار عقد الملتقى المقبل في غرداية.

وتنص لائحة التعليم والبحث في انتظار توحيد كتابة اللغة الأمازيغية على مواصلة العمل باللغات المعصولة بها حاليا ووضع قواموس ابتدائي يساعد المتعلمين على استيعاب هذه اللغة ووضع ألفاظ لها بالإشتقاق من الكلمات الموجودة وتنظيم حملات لمحور الأمية يشترك فيها تنظيم دروس بالمراسلة والتركيز على النوعية قبل الكمية، وتكوين المكوّن، خاصة إذا علمنا أن هناك دوائر للغة الأمازيغية على مستوى بعض الجامعات والتي يأمل الملتقى أن تعم إلى كل جامعات الوطن.

وتقترح اللائحة أيضا إدراج اللغة الأمازيغية في الأقسام الأولى من التعليم الابتدائي.

وقد ميز هذا الملتقى جو ثقافي بهيج قنل في إلقاء أشعار وعروض مسرحيات لفرقة تجهيلات.

وتجدر الإشارة إلى أن مسألة حظر وثائق أمازيغية بمكتبة الكارد بنالفة منذ 1973 قد طرحت في الملتقى، وطالب المؤتمرون بضرورة رفع الحظر عليها.

لائحة رفض

من المجلس التاريخي للولاية الأولى

نحن أعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى - أوراس النمامشة - وأمناء الولايات الإدارية لكل من (باتنة، تبسة، خنشلة، أم البواقي، سطيف، برج بوعريريج) ومندوبو النواحي للمجاهدين لولاية باتنة، المجتمعون في مقر الأمانة الولائية للمنظمة الوطنية للمجاهدين، شارع ابن باديس، يومي السبت والأحد 11 و12 ذو القعدة 1416هـ، الموافق لـ 30 و31 مارس 1996م.

وبعد النقاش الواسع والتحليل المستفيض، حول أسباب ودوافع وأهداف الحركة الأمازيغية، وقضية عقد المهرجان أو المؤتمر العالمي حول الأمازيغية في باتنة، عاصمة الولاية الأولى التاريخية، وفي هذا الوقت بالدات.

ودعوة ما يقارب ألفين من دعاة الأمازيغية، لحضور هذا المؤتمر، وتخصيص الملايير من أموال الشعب التي كنا نود أن تنفق في صالحه، وليس لتغطية تكاليف هذا المهرجان أو المؤتمر، الذي يخفي من وراءه مشروعا تخريبيا يهدد البلاد في وحدتها الوطنية، ويحارب اللغة العربية والإسلام نيابة عن فرنسا، ضمن مشروع تأمري على وحدة الشعب التاريخية واللغوية، تحت إشراف المكتب العالمي للأمازيغية، وتكوين جمعيات وطنية ومحلية تحظى بالدعم المطلق المادي والسياسي، ولا يمثل أصحابها إلا أنفسهم.

وقد سبق لعدد كبير من الجمعيات التاريخية والثقافية، والمنظمات والاتحادات الطلابية، أن قدمت بيانات شديدة اللهجة، قوية الحججة، إلى رئاسة الدولة، والحكومة، في شأن خطر الحركة الأمازيغية، مثلا: بيان 21 نوفمبر 1994،

وبيان 16 ماي 1995، والرسالة الموجهة لرئيس الحكومة في 15 جانفي 1995،
وودنا لو أنها أحدثت بعين الاعتبار.

وبعد تأكدنا من الدوافع والأهداف الخطيرة لهذه الحركة المشبوهة، التي
تسعى إلى زرع وتفذية الفتنة اللغوية، قصد إيجاد طرف ثالث في الصراع
اللغوي، لتكريس هيمنة اللغة الفرنسية، والمساس باستقرار الأمة.

فإننا نؤكد، باسم سكان ومجاهدي الولاية الأولى التاريخية - أوراس
التنامشة - ما يلي:

1 - الرفض القطعي لعقد هذا المؤتمر أو المهرجان العالمي في مدينة باتنة،
عاصمة الأوراس، في هذا التاريخ، أو غيره فيما بعد.

2 - التصدي لهذه الحركة الأمازيغية ومقاومتها في منطقة الأوراس، بكل
الوسائل الممكنة، على مستوى الولايات الإدارية؛ مع دعوة مختلف الجمعيات
والمنظمات والاتحادات إلى التصدي لها ومقاومتها دون هوادة، ومناشدة جميع
ولايات القطر الجزائري، إلى القيام بنفس الدور، لحماية الشعب الجزائري، في
وحدته الوطنية واللغوية والدينية والتاريخية، وسيادة دولته الفتية.

3 - نتمسك باحترام اللهجات البربرية كتراث شعبي مشترك، عبر العصور،
واعتبارها رافدا للغة العربية، ونرفض تحويل هذا التراث، إلى مشروع تخريبي،
تحت تسيير المحافظة السامية للأمازيغية، بإشراف المكتب العالمي للأمازيغية.

4 - التأكيد على أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن تفرض لغة أخرى
على الشعب الجزائري، إلا باستشارته عن طريق الاستفتاء، نجنبنا للمس بثوابته
ووحدته، واحتراما لسيادته، لاسيما في القضايا المصيرية.

عن المجلس التاريخي للولاية الأولى وأمناء الولايات الإدارية ومجاهديها
ومندوبي النواحي لولاية باتنة.

الموقعون على اللائحة:

- العقيد الحاج الحضر عبيد
- محمد الهادي مسعوداني
- العقيد عثمان سعدي
- أحمد زمولي
- حفظ الله أحمد
- محمد الهادي رزامية
- الطاهر بوشارب
- عباسي بوزيد
- ملاح محمد الصالح م/عمار
- الرائد مصطفى مرادة
- محمد الشريف عابسي (جار الله)
- مصطفى بن عبيد م/مسعود
- عمار معروف
- مختار فيلاي
- محمد بزيان
- العربي مؤمن
- عبد الحميد غنام
- الحاج السعيد بن أحمد
- أحمد بزي
- بلقاسم بوشارب
- بخوش الصديق
- رابحي الصغير
- بن فتالة محمد الصالح
- محفوظ حريقة
- أحمد شلوي
- عبد المجيد بن عمر
- رئيس المجلس التاريخي للولاية الأولى
- الأمين الولائي للمجاهدين، باتنة
- عضو المجلس التاريخي، تبسة
- عضو المجلس التاريخي، تبسة
- الأمين الولائي للمجاهدين، تبسة
- عضو المجلس التاريخي، غنشلة
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، غنشلة
- الأمين الولائي للمجاهدين، غنشلة
- عضو المجلس التاريخي، باتنة
- عضو المجلس التاريخي، باتنة
- عضو المجلس التاريخي، باتنة
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- الأمين الولائي للمجاهدين، أم البواقي
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- مجاهد، باتنة
- مجاهد، باتنة
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، برج بوعريريج
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، سطيف
- مندوب ناحية المجاهدين، أولاد سلام
- مندوب ناحية المجاهدين، اشمول
- مندوب ناحية المجاهدين، ثنية العاهد
- مندوب ناحية المجاهدين، أولاد سي سليمان
- مندوب ناحية المجاهدين، رأس العيون
- مندوب ناحية المجاهدين، مروانة

- محمد حقني
- عبد الرحمن عطية
- منصور بلقاسم
- الواعي محمود
- عبد الحميد حارك
- سموري الدراجي
- صابر بلعقون
- مشقي الجمعي
- محمد ثاري
- قهدوم معجوج
- محمد جعزة
- بن دحمان صالح
- حنفوسي الطاهر
- موسى حجرة
- خبرارة صالح
- مجاهد، باتنة
- مجاهد، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، أريس
- رئيس جمعية أول نوفمبر، الأوراس
- مندوب ناحية المجاهدين، الجزائر
- مندوب ناحية المجاهدين، الشمرة
- عضو المجلس التاريخي، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، عين التوتة
- مندوب ناحية المجاهدين، بركة
- أمين قسمة المجاهدين، بركة
- مندوب ناحية المجاهدين، تكوت
- مندوب ناحية المجاهدين، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، عين جاسر
- عضو الأمانة الولائية للمجاهدين، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، نقاوس

ملاحظة:

- أهدتها بيانات الولايات التاريخية: الخامسة، السادسة، القاعدة الشرقية.

بيان تأييد من الرئيس أحمد بن بله

اجتمعت الولاية الأولى التاريخية (أوراس النمامشة) في مدينة بائمة، يومي 30 و31 مارس 1996، وأصدرت لائحة حول المسألة الأمازيغية تتفق مع تاريخنا، ومع بيان أول نوفمبر. ومنطقة هذه الولاية تنضم (الشاوية) أكبر تجمع أمازيغي بالجزائر، وأكثرهم أصالة من الناحية الأمازيغية، ولاستطيع أية لغة أخرى أن تزايد عليهم في هذا الميدان، ولهذا فإن هذه اللائحة تعبر عن الأمازيغ الأحرار، الوطنيين، الذين لم تشوهم دسائس الاستعمار.

لقد استعمل الاستعمار الفرنسي القديم ورقة الأمازيغية في نهاية الأربعينيات من أجل تدمير حزب الشعب الذي أعد للثورة المسلحة. وتمكنا من إفشال مؤامره، وطردنا من الحزب العناصر التي استعملها، فلجأت إلى الحزب الشيوعي، وبقيت خميرة (البربرقزم) حية إلى ما بعد الاستقلال، فالتقطها الاستعمار الفرنسي الجديد، وأسس عليها الأكاديمية البربرية في جامعة (فانسان) بباريس سنة 1967، من أجل التآمر على هويتنا المتمثلة في الإسلام والعروبة، وذلك بتدمير الوحدة الوطنية، بواسطة خلق لغة وطنية ثائية تدخل في صراع مع العربية، حتى تبقى الفرنسية مهيمنة تلعب دور الحكم في هذا الصراع.

إن سائر الأمم الحبة المتقدمة تعتمد على قاعدة: (لا وحدة وطنية بلا وحدة لغوية)، وتعدد اللغات يعني تعدد الأمم، ومثل يوغوسلافيا، والاتحاد السوفياتي شاهد على ذلك. ولهذا فإن لائحة (أوراس النمامشة) قدمت التناول السليم للمسألة الأمازيغية، وذلك باعتبار تراث اللهجات الأمازيغية رافدا للغة العربية وللثقافة العربية.

وبناء على ذلك فإنني أؤكد بقوة هذه اللائحة، وأهني أمازيغ أوراس النمامشة الذين سموا فوق الفرائز العرقية، وقدموا لنا المفهوم الصحيح لهذه القضية، التي لوحث في السنوات الأخيرة بخطر تمزيق وحدتنا الوطنية، بل وجبر بلادنا إلى حرب أهلية على أساس عرقي، على عرار ما يجري الآن في يوغوسلافيا.

فهنيئا لإخوتنا بالأوراس النمامشة، على هذا الموقف الوطني الذي لا يعتبر خريبا عنهم، ألم تنطلق ثورة أول نوفمبر من الأوراس؟

أحمد بن بله

الجزائر في 28 أبريل 1996

ملحق رقم 9

لائحة رفض

من المجلس التاريخي الموسع^(*)

نحن رئيس وأعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى والأوراس النمامشة، وأعضاء الأسرة الثورية بولاية باتنة، ومسؤولي وممثلي المنظمات، والجمعيات، والاتحادات الطلابية، والشخصيات التاريخية والعلمية والثقافية، والمجتمع المدني بصفة عامة، المجمعين بمقر الأمانة الولائية للمجاهدين باتنة، يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول 1417 هـ الموافق لـ 17 جويلية 1996 م والموقعين أدناه.

1 - بناء على البيان الصادر في 21 نوفمبر 1994 عن لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، المنبثقة عن الأسرة الثورية والمنظمات والجمعيات والاتحادات الطلابية بولاية باتنة.

2 - بناء على المراسلة الموجهة من لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، إلى السيد رئيس الحكومة في 15 جانفي 1995 والمتعلقة بالقضية الأمازيغية.

3 - بناء على لائحة المجلس التاريخي للولاية الأولى، بتاريخ 31 مارس 1996، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

4 - بناء على البيان الصادر عن الندوة الجمهورية للولاية الأولى التاريخية، المنعقدة بباتنة يومي 15/16 ماي 1996 في إطار التحضير للمؤتمر التاسع للمجاهدين والمتضمن رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

5 - بناء على مصادقة المؤتمر التاسع للمجاهدين، المنعقد بقصر الأمم من 29 إلى 31 ماي 1996، على موقف الولاية الأولى، من قضية رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

(*) تراجعت المحافظة السامية للأمازيغية، وأصدرت بياناً في 3/8/1996، أعلنت فيه إلغاء عقد ملتقى الأمازيغية بباتنة.

6 - بناء على مساندة الولايتين التاريخيتين الخامسة والسادسة، والقاعدة الشرقية، وأسرة الثورة بولاية عين الدفلى، وجمعية محافظة وترقية التراث الثقافي لبلدية بجاية، والعديد من الأحزاب والجمعيات والشخصيات الوطنية، لموقف الولاية الأولى التاريخية الراضية لعقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

بناء على ما سبق نسجل ما يلي:

1 - نشيد بموقف الولايات التاريخية، وبعض الأحزاب والجمعيات والشخصيات التاريخية والعلمية، وكل المساندين والمؤيدين لموقف الولاية الأولى التاريخية، كما نشيد بما ورد في التوصيات الصادرة عن الملتقىين الوطنيين المنعقدين بباتنة وهما: ملتقى التعريب، وملتقى المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، وكذا توصيات المؤتمر الجهوي للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

2 - نستنكر تصرفات المحافظة السامية للأمازيغية، التي تريد أن تتحدى موقف الأسرة الثورية، والمجتمع المدني، والشرائع الواسعة من أبناء الولاية الأولى التاريخية، وباقي الولايات والجمعيات والمنظمات، والمساندين من مختلف جهات الوطن، للموقف الراض لعقد مؤتمر الأمازيغية في باتنة عاصمة الأوراس الأشم.

3 - إيماننا منا بالدفاع عن الوحدة الوطنية والحفاظ على الثوابت الوطنية، والتمسك بمبادئ وقيم ثورة أول نوفمبر 1954، وتحسبا لما يترتب عن المؤتمر المزمع عقده بباتنة من فتن، وإثارة للنعرات، فإننا نرفض رفضا قاطعا عقد هذا الملتقى في مكانه وزمانه، حتى لا يتحول باتنة، رمز الوحدة الوطنية، إلى حقل للتجارب السياسية، وقاعدة للمخططات التفريعية.

4 - مرة أخرى، نؤكد أمام الله والتاريخ، وأمام الشعب الجزائري وسلطات البلاد، أن الأوراس لا يتحمل العواقب، التي تنجم عن انعقاد هذا الملتقى في باتنة من 24 إلى 30 أوت 1996، أو في موعد آخر، ويقتى المصرون على عقده يتحصلون وحدهم النتائج السلبية التي قد تنجم عنه، والتي نحن في غنى عنها.

عن الموقعين/ الأمانة الولائية للمجاهدين - باتنة.

ملحق رقم 10

رسالة من مدينة بجاية:

لا للنزعة البربرية^(*)

تجري هذه الأيام في مدينة بجاية أحداث في غاية الغرابة، بجاية المدينة التاريخية بأدائها وتقاليدها ولغتها وأهلها.

ظهرت في السنوات الأخيرة عناصر مريبة تعمل على تشويه تراث بجاية العتيق باسم النزعة البربرية في القرن الخامس عشر الهجري، بعد أن امتزج البربر بالحرب المسلمين في القرن الأول الهجري، وصاروا يكونون أسرة واحدة، عقيدتها الإيمان بالله الواحد الأحد لا شريك له، ولغتها لغة القرآن الكريم، اللغة العربية التي قال عنها رسول الله ﷺ - بمناسبة سوء سلوك بعض المتأقين تجاه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم لأنهم ليسوا عربا - : «ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي» صدق رسول الله ﷺ.

عاش أجدادنا نتيجة هذا التمازج في وئام تام في ظل التعاليم الإسلامية المجددة، فأنشعوا حضارة مزدهرة في المغرب والأندلس شهد بعظمتها ويشهد العدو قبل الصديق، ثم وبدون استئذان، دخلت عناصر مشبوهة في ساحة حياتنا وهي تعمل على تنقيصها بما تنادي به من أفكار غريبة لا صلة لها بمجتمعنا وعقيدتنا وتاريخنا.

تنطلق أصوات تلكم العناصر المشبوهة من الادعاءات الآتية:

(*) الرسالة صادرة عن جمعية المحافظة وترقية التراث الثقافي لمدينة بجاية، وموقعة من رئيسها الأستاذ سيد أحمد الطرابلسي. نشرتها «الشروق العربي» في عددها 1996/6/18.

- 1 - العرب المسلمون كانوا مستعمرين ولم يكونوا فاتحين!
 - 2 - اللغة العربية لغة القرآن لغة فرضت علينا، وليست لغتنا، والإسلام دين غريب عنا!
 - 3 - اللغة الفرنسية والمفردون أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب.
- (1) العرب المسلمون كانوا مستعمرين!

لم يتفوه بهذا الكلام غير منظري الاستعمار الفرنسي ليهيروا استدماهم بلادنا، إنهم ما فتوا يرددون: «إننا وجدنا الجزائر مستعمرة سنة 1830 ولم نفعل أكثر من انتكاكها من استعمار كانت تروخ تحتها».

هذا الادعاء باطل وذلك للاعتبارات الآتية:

أولاً: إن العرب الفاتحين كانوا حاملين رسالة سماوية مهمتهم الأولى دعوة الناس إلى الإيمان بالله واحد لا شريك له، وأن محمداً بن عبد الله عبده ورسوله خاتم النبيين، دعوة الناس إلى التعاون على البر والتقوى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ صدق الله العظيم.

يقول رسول الله ﷺ: «لا فضل لعرب على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى».

ثانياً: عدد البربر المسلمين الذين كانوا في جيش طارق بن زياد البربري الأصل كان بنسبة الثلثين، مقابل ثلث من العرب. لو كان قصد العرب المسلمين استعمار المغرب كما يدعي المغرضون، لما شمع لطارق بن زياد البربري تولي قيادة جيش المسلمين، مكن في أغلبته من البربر، ولكنها العقيدة الإسلامية التي تسم على كل اعتبار وتعمل المسؤولية في يد من يستحقها وجدير بها.

ثالثاً: معظم الدول التي نشأت في المغرب منذ شروق شمس الإسلام على أرجائه إلى يومنا هذا، كانت ترأسها أسر غير عربية الأصل وإن كانت عربية اللسان، ابتداء من الرستميين ثم الحماديين، ثم الزيانيين، إلى غير ذلك من الدول التي تعاقبت على تسيير شؤون محربنا منذ الفتح الإسلامي.

(2) اللغة العربية لغة القرآن لغة فرضت علينا وليست لغتنا والإسلام دين

غريب هنا!!

أريد بادئ ذي بدء أن ألفت النظر إلى أن سكان منطقة القبائل على ما نعلم ونحن منهم، لم يفرضوا دعاة النزعة البربرية للتحدث باسمهم، أو تقرير مصيرهم، أو تحديد هويتهم، لأن مصيرهم مصير كل الجزائريين وهويتهم هي هوية كل الجزائريين. وهذه الهوية موجودة مع وجودنا على هذه الأرض تضرب بجذورها في التاريخ، نحن بربر عربنا الإسلام، واعتنقنا الإسلام طواعية، فتوطدت صلتنا برب الكون رب العالمين، واتحدنا الإسلام منهجاً في الحياة فتحولنا إلى سادة بعد أن كنا عبيداً تحت قياصرة اللاتين، وتبيننا لغة القرآن اللغة العربية بكل فخر واعتزاز، أجدادنا الذين أقاموا صرح الحضارة العربية الإسلامية في ربوع المغرب وفي الأندلس لم يكونوا قاصرين أو بلهاء، وإنما كانوا راشدين واعين مدركين الفرصة التاريخية التي منحها إياهم الإسلام، فأخلصوا له وحملوا مشعله غرباً وشرقاً عالياً.

الثابت تاريخياً أننا قبل الإسلام لم نكن نملك لغة مكتوبة وإنما انتشرت بيننا في العهد القرطاجي اللغة البونيقية ثم عرفنا اللاتينية في العهد الروماني، إلا أنها لم تتوغل في سواد شعبنا مثل البونيقية، بل انحصرت في النخبة السهلة للرومان.

(3) اللغة الفرنسية والفرنسيون أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب!!

هذا الكلام ليس غريباً من أناس جعلوا قبلتهم باريس، كلما لجأوا إليها وما أكثر لجوءهم، استقبلهم رؤساء فرنسا بالأحضان مثل ما فعل ميثران وزوجته بمعطوب النواس، فاستقبلوه استقبال الوصي للقاصر أو المتبوع للتابع، فأغدقوا عليه العطايا والجوائز، لا شيء إلا لأنه يمجّد اللغة الفرنسية والفرنسيين، ويحارب اللغة العربية والإسلام. ألم يصرح في التلفزة الفرنسية «لو عسّمت اللغة الفرنسية منذ سنة 1962 في الجزائر لما كانت اليوم قضية اسمها (تمازيغت)».

نستنتج من هذا التصريح ما يلي:

الدعوة إلى الأمازيغية دعوة مشبوهة تخفي مقاصد غير التي توهم الناس بها، إذ ماذا يعني كتابة هذه اللهجة بأحرف لاتينية! بكل صراحة يعني إبقاء الحرف اللاتيني حياً في حياتنا، وبالتالي يعني بقاء اللغة الفرنسية مهيمنة على دواليب حياتنا، فتكون

الأمازيغية المكتوبة بالأحرف اللاتينية عبارة عن لغة فرنسية بالوكالة قلبا وقالبا.

هذه الدعوة شبيهة بالدعوة إلى الحضارة المتوسطة لمحاربة حضارتنا العربية الإسلامية، حضارة متوسطة في الاسم، وفرنسية في المعنى والقصد، دعوة إلى حضارة متوسطة في الظاهر ودعوة إلى الاندماج في فرنسا في حقيقة الأمر، أصحاب النزعة البربرية يريدون أن يمحووا تاريخنا العربي الإسلامي، الذي هو صفحات ناصعة في جبيننا، دول مستقلة معترزة بشخصيتها العربية الإسلامية ساهمت في تشييد أنبل وأعظم حضارة أخرجت للناس ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية.

تريد النزعة البربرية أن تعيدنا إلى التبعية اللاتينية بعد أن حررنا الإسلام منها. تريد النزعة البربرية أن تقضي على اللغة العربية لغتنا التي سجلنا بها أنصع صفحات تاريخنا المجيد، وتحل محلها لهجة صنعت في مخابر فرنسا الاستدمارية، مكتوبة بأحرف لاتينية لا تمت بصلة إلى شخصيتنا ولا إلى أصالتنا.

لا، لا، كفى مهزلة. إن الظروف الصعبة التي تواجه شعبنا، والفراغ المتفشي في بعض القطاعات، لا ينبغي أن يتحول إلى مطية يركبها الانتهازيون والاندماجيون، ليزرعوا الفتنة بيننا، تدعمهم قوى تغريبية في الداخل وقوى أجنبية في الخارج، تعمل للإجهاز على هويتنا ووحدتنا.

إن مقاصد أصحاب النزعة البربرية صارت معروفة لكل الشعب الجزائري بما تنطوي عليه من تضليل، ودعوة صريحة إلى الاندماج في فرنسا، وإلا كيف نفسر سلوك هذه الفئة التي لا تتعامل إلا باللغة الفرنسية وتمنع على أتباعها التحدث باللغة العربية لغة الجزائريين.

إن الأحزاب السياسية التغريبية داعية الاندماج، التي عجزت عن إقناع الشعب بترهاتها وسخافاتهما، راحت تستعمل دعاة النزعة البربرية في محاولة يائسة لتحقيق مقاصدها الدنيئة في منطقة القبائل.

بجاية في 12 ذي الحجة 1416هـ / 1996/4/30

رئيس جمعية محافظة وترقية التراث الثقافي

لمدينة بجاية سيد أحمد طرابلسي

رأي الأستاذ محمد البصري

في المسألة البربرية

أنا من أصل بربري... ومع ذلك فإن تاريخي النضالي على مدى خمسين عاما قد ارتبط بالوطنية المغربية والقومية العربية.

لا توجد مسألة بربرية بالمعنى السياسي الحقيقي للكلمة - مثلما توجد مثلا مسألة كردية في العراق أو مسألة جنوب السودان، ناهيك عن المسألة الطائفية في لبنان. فالبربر مندمجون تماما في مجتمعهم بشمال إفريقيا بسبب الرابطة الإسلامية، وبسبب التزاوج المستمر، وبلا عقد عنصرية بين العرب والبربر، فوالدة الملك بربرية، وزوجته بربرية... والكثير من أسر المغرب تجد فيها الأب أو الأم من البربر...

إن المشكلة في نظري مشكلة مصالح اقتصادية - سياسية، ومشكلة ديمقراطية في المغرب. فالذين يثيرون المسألة البربرية مثلما هو الحال في الجزائر مثلا، يفعلون ذلك حفاظا على مصالحهم الاقتصادية والوظيفية في جهاز الدولة والإدارة الجزائرية. وهؤلاء هم بربر منطقة القبائل الذين تفرسوا لغة منذ وقت طويل، ومن ثم مكنهم الاستعمار من شغل كثير من المواقع الثانوية في الإدارة والتجارة، وخاصة في العاصمة، التي تقع قرب منطقة القبائل. وحين حصلت الجزائر على الاستقلال كان هؤلاء هم الكوادر الوحيدة المدربة، فانتقلوا من المواقع الثانوية إلى المواقع الرئيسية الأولى التي أعلاها الأوروبيون في أجهزة

(*) أحد السياسيين المرفوفين مغربا وعربيا، والناضلين في سبيل توحيد شعوب الأمة العربية وتحريرها من الاستعمار والاستبداد.

الإدارة والخدمات والإنتاج. ومع اشتداد موجة التعريب في الجزائر بات هؤلاء يشعرون بالخطر على مصالحهم المكتسبة فرفعوا شعار الثقافة البربرية حينما وشعار الثقافة الجزائرية حينما آخر في مواجهة التعريب والثقافة العربية... أما في المغرب فلا تعدو المسألة أن تكون جزءا من اللعبة السياسية «فرق تسد». وقد وجدت بعض القيادات المغربية ذات الأصول البربرية والتي ليس لها قبول شعبي - إما لغياب تاريخ نضالي لها أولغياها برنامج سياسي اجتماعي تقدمي لها - وجدت أن وسيلتها للوصول إلى السلطة أوالمشاركة فيها هي أن تستغل هذه النبرة العنصرية... ولاينجح هذا الاستغلال إلا في أكثر مناطق المغرب تخلفا، وهي منطقة الأطلس. ولكن هذا الحزب لو نزل إلى الدار البيضاء، ونصفها على الأقل من أصول بربرية، فلا فرصة أمامه في النجاح. فبربر المدن لايتجيبون لمثل هذه الدعوات العنصرية المتخلفة...»

في الواقع أن من يدعو إلى الثقافة البربرية في مواجهة الثقافة العربية، ينتهي موضوعها إلى الدعوة إلى الثقافة الفرنسية، حتى عن غير قصد. فحيث أن البربرية لغة غير مكتوبة ولايوجد لها تراث مكتوب، فإن المناهض للعروبة والعربية سينتهي حتما إلى الأخذ بأحد اللغات العنصرية الأخرى. ولما كانت الفرنسية هي الأقرب والأقوى، وهي المتاحة على أي الأحوال، فإن هؤلاء الدعاة سيأخذون بها... من هنا ليس صدفة أن فرنسا هي المشجعة الأولى والرئيسية لحركة الثقافة البربرية. فهي تدرك أن الذين ينجذبون إلى هذه الدعوة سينتهون موضوعها في مجرى فرنسا والثقافة الفرنسية. وإذا كان لي كبربري أن أختار لغة وثقافة غير بربرية، فالعربية هي اختياري، وهي اللغة الوطنية، وهي لغة الإسلام، وهي وسيلتي إلى تراث العرب والمسلمين، ووسيلتي إلى مستقبل قومي عربي مشترك مع بقية الشعوب العربية...»

رأي المستشرق الفرنسي جاك بيرك JACQUES BERQUE

● وسألت الأستاذ جاك بيرك عن رأيه في ما يدور من حديث حول ما يسمى بالصحوة البربرية في وسط القبائل بالجزائر، فأجاب يقول:

□ البربر هم قبائل متوسطية قديمة، يرجع تاريخها في المنطقة إلى القرن الثاني عشر قبل المسيح، وكنت قد اهتممت بهم مثل كثير من المستشرقين. لكنني وجهت اهتمامي وأبحاثي وجهة علمية أكاديمية لا سياسية، لأن الدوائر الاستعمارية كانت تهذل جهودا مضنية لغرس الفتن بين العرب من ناحية، والبربر من ناحية أخرى، في إطار سياسة الشقاق، التي كانت تمارسها بفرض ضرب وحدة هذه البلاد، كما أنها كانت أول من وضع فكرة العروبة، في مواجهة فكرة البربرية، وترجيح إحداها على الأخرى حسبما تقتضي بذلك مصلحته.

وفي أثناء حرب التحرير الجزائرية كانت المفاجأة التي أذهلت الاستعمار الفرنسي، أن البربر وقفوا إلى جانب إخوانهم العرب في صفوف المقاومة، مطالبين بالاستقلال.

● لكن ألا تعتبر هودة البربر للمطالبة بحقوق سياسية خاصة بهم، انصارا للمخطط الاستعماري القديم.

□ لا أنكر أن هذا المخطط قد نجح إلى حد ما، لكن لا تنسى أن هناك عوامل عديدة قد تلعب في هذا الاتجاه، منها إخفاق الموجة التحريرية المصبوغة بالعروبة.

وفيما يتعلق بالمطلب الخاص باللغة، لا أعتقد أنه مطلب مشروع لأنه سيؤدي في النهاية إلى انقسام الولاء. وكنت قد وجهت اللوم إلى صديقي عبد الكريم غلاب صاحب جريدة العلم بالغرب الأقصى الذي تقدم بمشروع يقضي بتدريس اللغة الأمازيغية (البربرية) في المدارس المغربية بطريقة إلزامية، وقلت له: ولست على حق في ذلك. إذ كيف نجر أطفال مدينة فاس العربية على تعلم اللغة الأمازيغية، وذكرت له أن الحل الأمثل الذي أراه، هو نفس الحل الذي أراه بالنسبة لبعض اللهجات الفرنسية في منطقتي الباسك أو بروتاني، إذ يمكن أن تكون هذه اللغات اختيارية لا إجبارية على الطالب في فرنسا.

(٥) حديث أجره مراسل صحيفة الأهرام المصرية د/ سعيد اللاوندي، مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك بتاريخ 1995/6/18.

الفهرس

03 الاهداء
05 مقدمة الطبعة الثانية
09 مقدمة الطبعة الأولى
	الفصل الأول :
19	شهادة فرنسا على نفسها ، قبل أن تبدأ سياسة « فرق تسد »
	الفصل الثاني :
27	بوادر ظهور النزعة البربرية في عهد الاحتلال الفرنسي.....
	الفصل الثالث :
41	المخلفيات... والأهداف القريبة والبعيدة للحركة البربرية.....
	الفصل الرابع :
76	علاقة الحركة البربرية بالفرنكوفونية.....
	نماذج لمجموعة من ردود أفعال الصحافة و الشارع الوطني تجاه الأهداف
83	الفرنكوفونية للحركة البربرية.....

الفصل الخامس:

- 92 علاقة الحركة البربرية بالشبوعية والصليبية.
- غاذج من ردود أفعال الشارع الوطني تجاه هذا المنحى (الشيوعي -
101 الصليبي) للحركة البربرية.

الفصل السادس:

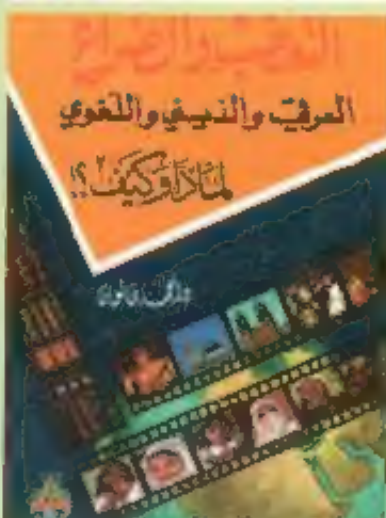
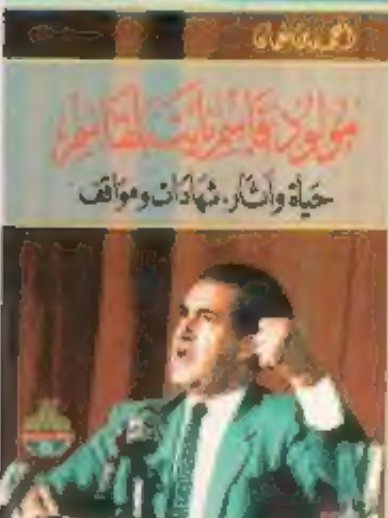
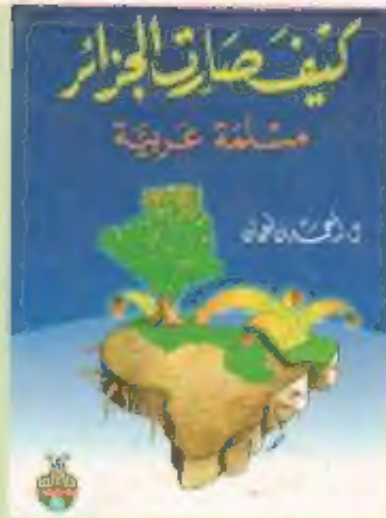
- 108 علاقة الحركة البربرية باللاتكية وردود الفعل الوطنية ازاها.
- غاذج لمجموعة من ردود الأفعال ومواقف الشارع الوطني تجاه المنحى
117 العلماني لأحزاب وأهداف الحركة البربرية.

الفصل السابع:

- 135 مناقشة أطروحات الحركة البربرية.

الفصل الثامن:

- خلاصة عامة تتضمن رأي المؤلف الذي يعكس الموقف الوطني من الاحتلال
الفرنسي ودعاة النزعة البربرية حاضرا ومستقبلا.
165
- 193 الملاحق



ISBN 9961-67-022-1